

التعريب



مَجَلَّة نصف سنوِيَّة مُحَكَّمَة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

المنظمة
العربيَّة
للتربية
والثقافة
والعلوم

32

السنة السابعة عشرة
العدد الثاني والثلاثون

جمادى الأولى 1428 - حزيران (يونيو) 2007 م

التعريب



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد الثاني والثلاثون

حزيران (يونيو) 2007

المدير المسؤول:

الأستاذ الدكتور عادل نوفل

مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور مفيد جوخدار

الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليل

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

الأستاذ شحادة الخوري

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي

مجالات اهتمام المجلة

تتركز اهتمامات المجلة على الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم، للتعريف به وتعريب الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية. وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

- * تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
- * بحوث ودراسات معرفية أو مترجمة.
- * التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
- * من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
- * عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
- * الإعلام عن الأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها

التعريب: مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

دمشق . ص.ب: 3752 . هاتف 3334876 البريد الإلكتروني: acatap@net.sy ،

صفحة الانترنت: www.acatap.net

ع/2007/6/15

السنة الأولى: 1991 . دمشق

في هذا العدد

الصفحة

- * افتتاحية العدد..... 7
- * دراسات في التعريب
- اللغة مركز الدراسات الإنسانية 11
أ.د. محمود السيد
 - تعريب التعليم العالي أولوية الأولويات 33
أ.د. صالح بلعيد
 - أهمية التعريب في حوسبة اللغة العربية 53
أ. عمر مهديوي
 - تقنيات التعبير أم أفانيه وأساليبه..... 67
د. عبد القادر سلامي
 - اللغة العربية والمستوى العلمي للطالب..... 81
د. عبد الرزاق السباعي
 - اللغة والإعلام واعتبارات إنتاج المعرفة..... 97
أ. د. عبد الله أبو هيف

*** التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره**

- في المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام حسان 129
د. عبد الرحمن بن حسن العارف
- تعريب الطب بين التمني والواقع/ الفصل العظمي مثلاً 169
د. حسان لايقة

*** بحوث مترجمة**

- الترجمة العربية في عصر العولمة..... 195
أ. شحادة الخوري

*** من أنشطة المركز خلال النصف الأول من عام 2007 215**

*** قواعد النشر في المجلة 217**

*** إصدارات المركز من الكتب 221**

الافتتاحية

أ.د. عادل نوفل

مدير المركز العربي للتعريب
والترجمة والتأليف والنشر

سعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) منذ نشأتها إلى الإسهام في تعريب التعليم العالي في جامعات الوطن العربي، وقد أنشأت عام (1990) المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر في دمشق ليقوم بتنفيذ أنشطتها في هذا المجال.

وهكذا فقد حسم العرب أمر الحديث في مسألة تعريب التعليم انطلاقاً من مفهوم أن كل أمة لا تحافظ على لغتها في التعليم الجامعي ستكون تابعة لغيرها من الأمم التي تستعمل لغتها، وأن كل لغة لا تساهم في إنتاج العلم ومفرداته ستكون مهددة بالتراجع والنسيان. ومن هنا فإنه من الأهمية بمكان أن يعيش المسار التعريبي ويتواصل في التعليم العالي والبحث العلمي.

فالتعليم بلغة غير اللغة الأم يعني الفصل بين التفكير واللسان وهذا ما سعت وتسعى إليه الدول الاستعمارية في العصرين القديم والحديث، لاسيما في عصرنا الحاضر عصر العولمة. وخاصةً أن هناك من بيننا من يتهم اللغة العربية بالقصور ويعزو تخلفنا عن مقاربة العلوم الحديثة إليها. ولهذا فمن حق لغتنا علينا أن ننفي عنها التغريب وأن نعزز مكانتها وندفع عنها الانتهاكات المتواصلة ونعيد إليها زهوها وألفها. وهذا الأمر لن يتم إلا بأن نكتب ونؤلف وندرّس العلوم بالعربية تمهيداً لتوطينها الذي يعدّ ركيزة الانطلاق إلى البحث العلمي المستتير وتأسيس مجتمع المعرفة في البلدان العربية.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

ولقد أصبح من المعروف أن العلم لا يتجذر في ذهن الطالب إذا ما جرى تلقينه بلغة أجنبية غير اللغة الأم، إذ أن الرسالة اللغوية بهذه الحالة لا تصل مفهومة، وإن وصلت تصل مشوشة. ومن هنا يقوم المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بقيادة حركة تعريب التعليم العالي في الوطن العربي من خلال إصداراته للكتب العلمية المرجعية التي تطلب الجامعات ترجمتها إلى العربية. وكذلك يقوم المركز، ومن خلال مجلته "التعريب"، بنشر البحوث العلمية في كافة مجالات العلوم باللغة العربية.

فقد أثبتت اللغة العربية في عصر النهضة العربية الأولى، علميتها من خلال أعداد الكتب الهائلة التي نُقلت إليها خاصة في العصر العباسي في "بيت الحكمة"، وكذلك تثبت اللغة العربية علميتها أيضاً من خلال استيعابها لكافة المصطلحات العلمية التي يتم استخدامها في تعريب المراجع العلمية المختلفة التي يصدرها المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر والجامعات السورية وتصدرها بعض الجامعات العربية.

فالتعريب هو قرار سياسي حاسم وشجاع يتطلب من كل المخلصين العمل الجاد للمضي فيه وترسيخه.

يتضمن هذا العدد من مجلة التعريب دراسات وبحوث عديدة تدرج تحت المحاور الرئيسية التي اعتمدها المجلة، ومن بينها ما يتعلق بتعريب الطب بين الواقع والتمني، وكذلك تعريب التعليم العالي أولوية الأولويات وأهمية التعريب في حوسبة اللغة العربية.

وكذلك يتضمن هذا العدد عروضاً للجديد من إصداراته وملخصاً عن أنشطة خارج البرامج التي يقوم بها المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر خلال النصف الأول من عام 2007.

آملين من كافة زملائنا أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات العربية والباحثين فيها استمرار التواصل بنشر بحوثهم ودراساتهم في "مجلة التعريب".

والله ولي التوفيق

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

بحوث في اللغة والتعريب

التحريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

اللغة مركز الدراسات الإنسانية

أ. د. محمود السيد

أستاذ في جامعة دمشق

عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مفهوم اللغة ووظيفتها، والدراسات التي تمت في مجالها سابقاً، ثم نقف على مناحي الدراسات الإنسانية وموقع اللغة فيها، ونبين أخيراً بعض الصُّوى على طريق النهوض اللغوي.

أولاً: مفهوم اللغة ووظيفتها

لم يعد مفهوم اللغة مقتصرًا على أنها مجموعة من الأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم⁽¹⁾. وإنما ينظر إلى اللغة حالياً على أنها مفهوم منظومي شامل وواسع، لا يقتصر على اللغة المنطوق بها، بل يشمل المكتوبة والإشارات والإيماءات والتعبيرات التي تصاحب عادة سلوك الكلام، كما يشمل صور التعبير كافة من تمثيل ورسم ونحت وموسيقا، إلخ... إلا أن اللغة المتحدث بها تتبوأ المكانة الأولى بين سائر الجوانب المشار إليها، فالإنسان تعلم الكلام قبل الكتابة، والطفل يتكلم قبل أن يكتب، وما اللغة المكتوبة سوى لغة منطوق بها دونت في نظام مكتوب مصطلح عليه ومتعارف. والافتقار على اللغة في صورتها المكتوبة يغفل النظام الصوتي في هذه اللغة وآثاره الممكنة على التركيب والمعاني، إذ إن اللغة الصوتية هي أكثر وسائل الاتصال ملائمة، وأكثرها شيوعاً واستخداماً في الحياة⁽²⁾.

مع أن المجتمع البشري يحظى بوسائل اتصال، نظراً لكونها تحقيقاً صوتياً لميل الإنسان إلى رؤية الواقع بطريقة رمزية، كما يرى إدوار سابير من أعلام علماء اللسان في العصر الحديث⁽³⁾.

ولقد درس الباحث الأمريكي "تشارلز هوكيت Charles Hockett" الخصائص التي تتميز بها اللغة الإنسانية، فألفى من خلال بحثه أن أهم سمات هذه اللغة أنها اصطلاحية أو تواضعية، وأن مفرداتها تشير إلى أشياء محسوسة في عالم الواقع، وإلى الأفعال التي يؤديها الإنسان أو غيره من المخلوقات، كما أنها تعبر عن الأفكار الذهنية المجردة، وأن الخلف يتوارثها عن السلف، وأنها تشير إلى أشياء وأحداث بعيدة عن المتكلم زماناً ومكاناً، يضاف إلى ذلك كله سمة هامة، ولعلها من أهم تلك السمات، وهي مقدرة لغة البشر على الابتكار⁽⁴⁾.

والواقع تعد اللغة إنجازاً غير عادي، إنه إنجاز بشري يمثل جهازاً مهندساً بإتقان لوصف الأماكن والناس، والأشياء الأخرى والأحداث والأفكار والمشاعر، ونحن نستخدمه لإعطاء الاتجاهات وحكاية الماضي وتوقع المستقبل وللاختيار بالقصص الخيالية، وللمداينة والخداع والانخراط في النميمة، وهي طريقة نافعة في نقل أخبار عن الآخرين ونقل الخبرة إلى الآخرين⁽⁵⁾.

وغني عن البيان أن اللغة تؤدي وظائف متعددة في حياة الفرد والمجتمع، فهي وسيلة الفرد للتعبير عن مشاعره وعواطفه وأفكاره، وبها يقضي حاجاته وينفذ مطالبه ويحقق مآربه في العالم الذي يحيا فيه، وبوساطتها ينقل تجربته إلى الآخرين، كما أنه يطلع على تجاربهم الحاضرة والماضية وعلى تجارب الأمم الأخرى وخبراتها. ثم إن اللغة هي وسيلة المرء للتحكم في بيئته لأنها أداة للتفكير وثمرته، إذ إننا نفكر باللغة، فنحن نشعر بوجودنا وبحاجتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر، ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير، ونحن لا نفكر في الهواء ولا نستطيع أن نفرض الأشياء على أنفسنا إلا بصورة في هذه الألفاظ التي نقدرها ونديرها في رؤوسنا، ونظهر منها للناس ما نريد ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد، فنحن نفكر باللغة، ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست إلا أداة للتفكير والحس والشعور⁽⁶⁾.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

واللغة هي الجسر الذي تعبر عليه الأجيال من الماضي إلى الحاضر ومن الحاضر إلى المستقبل، وتعمل على تمتين العلاقة بين أفراد المجموعة البشرية، فهي مؤسسة اجتماعية وإنسانية، ولا يتم اجتماع بشري بغير لغة.

ومن هنا كانت معرفة اللغة وإدراك كنهها والكشف عن أسرارها، يؤدي ذلك كله إلى معرفة متكلمي هذه اللغة والاطلاع على أنماط تفكيرهم، وتعرف المستوى الحضاري الذي بلغوه، إذ كما يقول هيدجر: حيث توجد اللغة يوجد عالم، ولما كان التاريخ لا يصير ممكناً إلا في عالم، اقتضى ذلك كله أنه حيث توجد اللغة يوجد التاريخ. فاللغة هي التي أوجدت الحضارات، إذ إن الذي يمنع الحيوانات من أن تكون لها حضارة هو في المحل الأول افتقارها إلى اللغة، وعدم وجود قدرة كلامية وفكرية لديها تساعد على مواصلة تجاربها وخبراتها⁽⁷⁾.

وهكذا نرى أن اللغة قديماً وحديثاً تمارس سلطتها علينا سواء بسحر أساطيرها أو ببلاغة خطبائها، أو بتضليل إعلامها وزيف إعلانها، ولكنها وسيلتنا المثلى لتحطيم القيود وتحرير الفكر، والتصدي للجائر والزائف والجامد والتابع والناقل، وغير ذلك من غير الصحيح وغير الأصيل وغير الأخلاقي، فمن خلال مجازها تحررنا من أسر الكلمات والمعاني السائدة، ومن خلال ابتكاراتها نجعل من الإبداع حقاً مشاعاً للجميع، ومن خلال مرونتها نكتسب قدرة التعامل مع تناقضات الواقع ومتغيراته⁽⁸⁾.

وفي عصرنا الحالي، عصر العلم والتقانة والمعلوماتية، أضحت اللغة هي الوجود ذاته، وقد أصبح هذا الوجود مرتبطاً بثقل الوجود اللغوي على الشبكة الإنترنت. وقديماً قال سقراط لجليسه: تكلم حتى أراك، أما اليوم فالشعار هو: تحاور عن بعد حتى يراك الآخرون وتراهم، ومن ثم ترى ذاتك أنت وهي بعيدة عنك أو لصيقة القرب منك، في عصر بات فيه سؤال الهوية: من أنا؟ ومن نحن؟ مطروحاً بشدة على أوسع نطاق⁽⁹⁾.

ثانياً: الدراسات اللغوية

يمكننا أن نميز في الدراسات اللغوية بين عهدين، عهدة الدراسة التقليدية، وعهد الدراسة الحديثة، وفيما يأتي فكرة عن كل من هذين العهدين.

1. عهد الدراسة التقليدية:

يمتد هذا العهد من زمن الإغريق حتى بداية القرن العشرين، وقد اتجهت أنظار الباحثين اللغويين فيه اتجاهين بارزين: أولهما تناول دراسة أصل اللغة ونشئها، وثانيهما تناول الدراسة المقارنة بين اللغات.

أ. نشوء اللغة وأصلها

إن أسئلة: ما أصل اللغة؟ وكيف نشأت؟ ومتى وضعت؟ كانت مثار اهتمام المفكرين والفلاسفة منذ القدم، وكثيراً ما تضاربت آراؤهم وتناقضت فكراً في هذا المجال. ويمكن تلخيص مناحي التفكير في هذا الموضوع في ثلاثة توجهات⁽¹⁰⁾.

التوجه الأول: يرى أن اللغة توقيفية من السماء، بمعنى أن الله علمها آدم فهي وحي من السماء كلها، ومن اصحاب هذه التوجه أفلاطون وهرقليطس عند اليونان، وأحمد بن فارس في التراث العربي الإسلامي والفيلسوف الفرنسي دي بونالد في العصر الحديث.

التوجه الثاني: ويرى أن اللغة موضة واصطلاح من صنع الإنسان، ومن أعلام هذا المنحى أرسطو لدى اليونان، وابن مسكويه في تراثنا العربي الإسلامي وكذلك ابن جني في هذا التراث، والفيلسوف الإنجليزي لوك في العصر الحديث وآدم سميث من المعاصرين.

التوجه الثالث: ويؤق بين الاتجاهين الأول والثاني، فهو يؤق بين التوقيفية والموضة، ومن أعلامه أفلاطون عند اليونان والراهب "غريغوريوس" في العصر الوسيط والقاضي أبو بكر في تراثنا الإسلامي، و"فيكو" في إيطاليا الذي يرى أن هذا التوجه أقرب إلى المنطق والعقل.

وواقع الأمر، ليس في طاقة الباحث أن يكتشف أطوار النشأة الأولى للغة، ولقد رئي أن البحث في مثل هذه الأمور ما هو إلا ضرب من الميتافيزيقية الغيبية التي أبعد ما تكون عن

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

الأدلة العلمية. ومن هنا قررت جمعية باريس اللغوية في أول نظام صدر لها عام 1866 ألا تسمح بمناقشة أي بحث من البحوث يتناول أصول اللغة⁽¹¹⁾ ويرجع السبب الأساسي في ذلك في ضوء رأي فندريس إلى الرغبة في تجنب النقاش العاطفي الذي لا يليق بموضوعية العلم.

ب. الدراسة المقارنة بين اللغات:

كانت الأسفار في القرن السادس عشر عاملاً على اطلاع الغربيين على لغات أخرى، مما أدى إلى ظهور نواة الدراسات المقارنة. فعالج "كانينيوس" في كتابه "بنية اللغات" بعض التراكيب اللغوية في السريانية والآشورية والتلمودية والحبشية والعربية⁽¹²⁾. وفي القرن السابع عشر أبرزت مسرحية "البورجوازي النبيل" لمولير النقاش حول تعليم الكتابة، وظهرت عدة كتب حول مسائل الكتابة في الإنجليزية أو الإسبانية وبرزت الدراسات الصوتية، وكانت تسيطر في هذا القرن النظرية القائلة إن العبرية هي أم اللغات.

وفي القرن الثامن عشر استمرت الدراسات النحوية أكثر من الصوتية، واستمر في هذا القرن الجزء الوصفي للغات الحية من قبل المبشرين والكتاب الذين رحلوا إلى آسيا وإفريقية ونشر العالم الألماني "بالاس Pallas" كتاب مفردات مقارنة بين جميع لغات العالم، وجعله في شكل معجم يشمل 285 لفظة مقتبسة من نحو مئتي لغة أوربية وآسيوية.

ثم أضيف إليها لغات إفريقية وأمريكية في طبعات لاحقة⁽¹³⁾

وشهد هذا القرن البحث في أصل اللغات، ودحض الألماني لايبنتز Leibniz علمياً النظرية القائلة إن العبرية هي أم اللغات، ويعد القرن الثامن عشر عصر النظريات، إذ تعددت فيه النظريات التاريخية في نشأة اللغات واطراد الأسلوب المقارن في دراسة اللغات⁽¹⁴⁾.

وفي القرن التاسع عشر، وعلى أثر اكتشاف اللغة السنسكريتية توجهت العناية نحو دراسة هذه اللغة، فصدرت في الإنجليزية خمسة كتب تعالج القواعد السنسكريتية. ورأى "شليغل Sechlegel" الألماني ضرورة وضع معجم مقارن لبيان الشبه بين السنسكريتية واللاتينية واليونانية والألمانية والفارسية، إذ يرى أن هذه اللغات تشتمل على العديد من الجذور المشتركة، وقد بلغ من اتفاق

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

القواعد السنسكريتية مع القواعد اليونانية واللاتينية حداً لا تختلف السنسكريتية عن كل منهما أكثر مما تختلف اليونانية عن اللاتينية⁽¹⁵⁾ .

وبرز في هذا القرن كل من راسك Rask الدنماركي، ويعود إليه الفضل في تعزيز المباحث اللغوية والمقارنة، كما برز "بوب Bopp" مؤسس القواعد المقارنة، وصنف ماكس مولر اللغات وفق الأسس التصنيفية المعتمدة في علم كعلم النبات، مما يدل على تأثير مناهج دراسة اللغة بالمناهج المعتمدة في العلوم الطبيعية. ويبدو أن الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر توقفت عند حدود الاستقصاء التاريخي والدراسات المقارنة، يضاف إلى ذلك مجازة لغويي العصر علماء الطبيعة في مناهجهم وآرائهم التي طبقت في مجال دراسة اللغة⁽¹⁶⁾ .

2. عهد الدراسة الحديثة:

كانت الدراسات اللغوية دراسات تاريخية ومقارنة في القرن التاسع عشر، فإذا هي تتحول مع "دوسوسير De saussure" إلى البحث في اللغة على أنها واقع اجتماعي، له خصائصه التركيبية وأصواته الخاصة به. فجاء بنظرية لغوية تعد ثورة في الدراسات اللغوية المعاصرة لا في أوربة وحدها بل في العالم أجمع، إذ غيرت هذه النظرية طبيعة التفكير اللغوي، ووضعت حداً فاصلاً بين عهدين من الدراسة اللغوية: عهد الدراسة التقليدية وعهد الدراسة الحديثة التي بدأت مع ظهور مدرسة "دوسوسير"، ويطلق عليها مدرسة "جنيف" أيضاً، وقد انطلقت من رؤيتها أن اللغة نظام أو منظومة "System" وهي ظاهرة اجتماعية تخضع للتطور والتغيير المستمرين، ويجب ألا تنحصر دراسة اللغة في استقصاء أصولها التاريخية البعيدة المدى، ومدى تأثيرها باللغات الأخرى أو تأثيرها فيها، بل لابد أن يتركز البحث في تركيبها وأصولها وخصائص مفرداتها، إذ إن دراسة اللغة في استقصاء أصولها ومراحل تطورها أمر مهم، ولكن الأهم استقصاء واقعها القائم وأشكالها الراهنة في زمن محدد، بمعزل عن خلفياتها التاريخية البعيدة المدى، وقد نظر إلى اللغة على أنها وحدة متكاملة لا تكتسب قيمتها ومعناها إلا من ارتباط أجزائها متمثلة في المفردات والجمل والأصوات، وأن أي تغيير في جانب منها يمتد إلى بقية الجوانب⁽¹⁷⁾ .

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

ولقد دعا "دوسوسير" إلى إيجاد قواعد عامة للغات جميعها، وكان قد أشار إلى ذلك قداماء الإغريق من قبل واعتمده "تشومسكي" من بعد.

ثم ظهرت مدرسة "براغ" اللغوية بعد مدرسة "جنيف" ودعت مدرسة "براغ" إلى الكشف عن تأثير اللغة بكثير من الظواهر العقلية والنفسية والاجتماعية، وهذا أدى إلى ظهور ثلاثة فروع في علم اللغة هي: علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم الأسلوب أو الأسلوبية، وظهر هذا اللون في البحث اللغوي أي الأسلوبية، على يد النافذ "جاكسون".

وكان لإدوار سابير "E. Sapir" دور كبير في تطور الدراسات اللغوية، وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات المتبادلة بين الفكر واللغة، وبينهما وبين البيئة الاجتماعية. ويرى أن اللغة مؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب، وتؤدي وظيفة أساسية هي وظيفة الاتصال، إذ إن هدفها الأساسي هو التعبير عن الفكر والرغبات والعواطف ضمن المجموعة البشرية التي تتكلمها⁽¹⁸⁾.

وكان العالم اللغوي "بلومفيلد Blommfield" أبعد أثراً في الدراسات اللغوية من سابير إذ إنه تأثر بالمدرسة السلوكية التي لا تهتم إلا بدراسة ظاهر السلوك فقط.

وكان "سكينر Skinner" في كتابه المشهور السلوك اللغوي⁽¹⁹⁾ قد حمل لواء الاتجاه السلوكي في دراسة اللغة وتربيتها.

وانتصف النصف الأول من القرن العشرين في أمريكا بالمنهج التجريبي إن في العلوم الطبيعية أو في الدراسات اللغوية، فما من فرضية إلا تخضع للدراسة العلمية، وكان ثمة تأثير بالاتجاه السلوكي في ميدان علم النفس وإعطاء اللغة المنطوق بها الأهمية.

ودخلت الدراسات اللغوية مرحلة جديدة على يد العالم اللغوي الأمريكي "تشومسكي" الذي يعد رائداً في الدراسات اللغوية المعاصرة، بعد أن ثار على المفاهيم التي كانت سائدة قبله، فقد انتقد بعنف نظرية السلوكيين ومنهجهم في النظر إلى طبيعة اللغة واكتسابها، واعتمد تقسيم "دوسوسير" للغة إلى لغة وكلام، إلا أنه فرق بين مظهرين لغويين هما المقدرة اللغوية أو الإبداعية اللغوية، والأداء اللغوي. والمقدرة اللغوية هي مجموعة من القواعد الذهنية وهي قواعد فطرية غير محددة

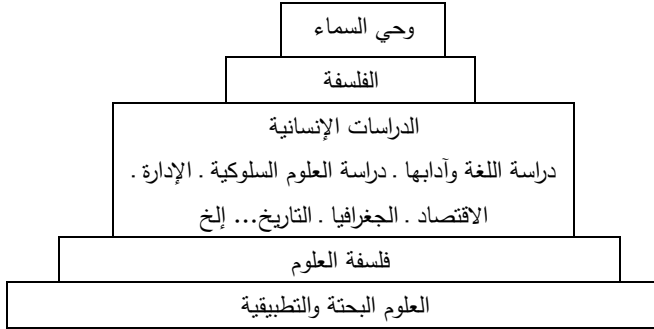
تُمكن الإنسان من صوغ جمل جديدة وفهم جمل أخرى من غير أن يتعلمها سابقاً. أما الأداء اللغوي فيعرفه تشومسكي بأنه ممارسة اللغة واستعمالها في الحياة اليومية، ويرى أن هدف الدراسة اللغوية هو معرفة المقدرة اللغوية من خلال الأداء اللغوي، إذ لا يمكن الوصول إلى تلك القواعد الذهنية التي تنظم لغة من اللغات إلا عن طريق الكلام الخارجي المحسوس، ويسمي تلك القواعد بالقواعد المولدة ويصوغها على هيئة المعادلات الرياضية⁽²⁰⁾. ولقد نحا "تشومسكي" منحى "دوسوسير" في الدعوة إلى إيجاد القواعد العامة أو الواحدة للغات كافة.

ولقد عارض كل من "شارل فلمور Charles Filmor" و"زوب Suppes" ما ذهب إليه تشومسكي من آراء في مجال الدراسة اللغوية، وما يزال السجال في هذه المسارات قائماً⁽²¹⁾. وثمة مدرسة "كوبنهاجن" اللغوية التي حاولت إنشاء بناء منطقي رياضي يستند إلى جهاز من التعريفات والمصطلحات.

ثالثاً: اللغة مركز الدراسات الإنسانية حديثاً

إن دراسة اللغة لم تعد لتقتصر على اللغويين وحدهم، وإنما شملت محاولات قدمها الفلاسفة والمناطق ورجال الدين والعاملون في مختلف التخصصات العلمية، ممن أثاروا تساؤلات تتعلق بطبيعة اللغة ومكوناتها وتعدد وظائفها وعلاقتها بالفكر والإنسان والمجتمع. وثمة من الباحثين⁽²²⁾ من رسم المعرفة الإنسانية بشكل هرمي، الشكل (1)، قاعدته العلوم البحتة والتطبيقية، وهي وسيلة التمكين في الأرض، ووسيلة تمكين الإنسان من حسن القيام بواجب الاستخلاف في الأرض فهي ضرورة أساسية لا بد أن يلم بها كل إنسان.

الشكل (1) خريطة المعرفة الإنسانية



وتأتي فوق العلوم البحتة والتطبيقية فلسفة العلوم، والفلسفة هي حب الحكمة، بمعنى أنه لا بد أن أستخلص من الرؤية المادية حقائق ميتافيزيقية، وفوق ذلك تأتي الدراسات الإنسانية لأن الإنسان مخلوق مُكْرَم: دراسة اللغة وآدابها، دراسة العلوم السلوكية، الإدارة، الاقتصاد، الجغرافية، التاريخ... كل هذه المعارف لا بد أن تدخل ضمن الدراسات الإنسانية، ولما كانت متعلقة بهذا المخلوق المكرم فهي مكرمة وتأتي فوق فلسفة المادة.

وفوق هذا تأتي الفلسفة على الإطلاق، وتتحو إلى توظيف كل نوع من أنواع المعارف المتاحة، سواء أكانت نظرية أو تطبيقية بمعرفة الله سبحانه وتعالى، وفي قمة الهرم وحي السماء.

ولما كان لا يمكن فهم المعرفة الإنسانية في مختلف مستوياتها على الهرم المعرفي إلا بوساطة اللغة، جاءت تقانة المعلومات والهندسة الوراثية في عصرنا لتضع اللغة على قمة الهرم المعرفي، وأصبحت اللغة رابطة العقد للخريطة المعرفية والركيزة الأساسية لفلسفة العلم، وما من مذهب فلسفي إلا وله شقه اللغوي، وما من فرع من فروع الفن إلا ويشارك اللغة في كثير من سماتها، وما من فرع من فروع العلم إلا وله صلته باللغة، وغدت مسألة اللغة ساحة ساخنة للتداخل الفلسفي والعلمي والتربوي والإعلامي والتقاني، وباتت ترتبط بعلاقات وثيقة مع الهندسة، وذلك من طريق هندسة الذكاء الاصطناعي التي تسهم فيها اللسانيات الحاسوبية بقسط وفير⁽²³⁾.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

الشكل (2) موقع اللغة على خريطة المعرفة

إنسانيات

تاريخ.....اللغويات التاريخية
علم الإنسان أنثروبولوجيا.....الأنثروبولوجيا اللغوية
جغرافيا.....التعبير اللغوي المكاني
علم الاجتماع.....اللغويات الاجتماعية "علم الاجتماع اللغوي"
علم النفس.....علم النفس اللغوي

طبيعات ورياضيات

علم الحياة بيولوجيا.....البيولوجيا الجزئية الرمزية
علم وظائف الأعضاء فسيولوجيا.....اللسانيات الأعصابية
فيزياء.....علم طبيعة الأصوات
جيولوجيا.....أركيولوجيا اللغة
منطق رياضيات.....الدلالة الصورية

فنون

أدب، شعر.....الأسلوبية، المجاز
موسيقا.....علم الموسيقى الرمزي
تشكيل.....فنون الخط والزخرفة
الهندسة.....هندسة اللغة
علوم الحاسوب.....اللغويات الحاسوبية
الفلسفة.....نظرية المعرفة

ومنْ يُلقَى نظرة على موقع اللغة على خريطة المعرفة كما يوضحها الشكل (2)، يجد أن هذا الموقع الفريد للغة على خريطة المعرفة الإنسانية "يؤكد أن اللغة ركيزة أساسية للمعرفة على اختلاف أنواعها حتى إنه ليقال: أينما يكن مسلكك في دنيا المعرفة فابحث عن اللغة: قمة العلوم الإنسانية، ورفيقة العلوم الطبيعية، وركيزة الفلسفة عبر القرون، ورابطة عقد الفنون، ومحور تقانات المعلومات، وهندسة برمجتها"⁽²⁵⁾.

ولو وقفنا على العلاقات بين اللغة وبعض العلوم المعنية بها لوجدنا ما يأتي:

1. علم النفس: إن اهتمام علم النفس يتطرق إلى معظم نواحي اللغة تقريبا، وخاصة ما له علاقة بالعقل والنفس البشرية، ومما يشغل بال علماء النفس اللغوي طرائق تكوين العادات اللغوية، إذ نظر الإنسان، ويشغل بالهم أيضاً النمو اللغوي وعلم النفس (سيكولوجية) القراءة، وعلاقة اللغة بالشخصية وأمراض الكلام... إلخ

2. علم التربية: والمربون يتناولون اختيار المادة اللغوية وبناء المناهج اللغوية على أساس تعرف أساسيات اللغة ومتطلبات الناشئة وحاجاتهم واهتماماتهم، ومطالب المجتمع الذي يتفاعلون معه، كما يتناول المربون طرائق تدريس اللغة، وتكوين المهارات اللغوية وأساليب تقويم التحصيل اللغوي... إلخ. ومن المربين من عني بإيجاد وسائل اتصال أخرى غير المنطوق بها لمساعدة الصم والبكم على تعلم اللغة، وإيجاد طريقة للمس لتعلم القراءة والكتابة للمكفوفين، وطرائق أخرى لتعليم اللغة للمتخلفين عقلياً، أو لأولئك الذين لديهم عيوب لغوية مختلفة.

3. الرياضيات: زاد اهتمام علماء الرياضيات باللغة في حياتنا المعاصرة حتى أصبح لعلم اللغة فرع خاص يسمى "علم اللغة الرياضي" يدرس في كثير من الجامعات، وأسبغت النقانة الحديثة على اللغة صفة عملية بالغة الأهمية، فأخذوا يدرسون اللغة من حيث الطريقة الرياضية التي تتحكم في صوغ الرسالة، ثم في فك رموزها، وتخزين البيانات في الحاسوب والترجمة الآلية... إلخ

واحتل "علم اللغة الحاسوبي" مكانة بارزة، فهو علم دراسة أنظمة الحاسوب لغرض فهم اللغة الطبيعية وتوليدها، ومن تطبيقاته الترجمة الآلية، واسترجاع المعلومات والأنظمة التفاعلية مثل قواعد البيانات وتطبيقات الحاسوب المرتبطة باللغة الإنسانية، ومعالجة اللغة الطبيعية من حيث التوليد والتحليل، تحليل الجمل والنصوص والتحليل النحوي والدلالي.

4. **علم الاجتماع:** لما كانت اللغة من أهم مقومات المجتمع كان اهتمام علماء الاجتماع والمتخصصين في علم اللغة الاجتماعي اهتماماً كبيراً، يشاركون فيه علماء الأجناس البشرية "الأنثروبولوجيا" وموضوعات اهتمام هؤلاء جميعاً كثيرة ومتشعبة، تركز في بعض جوانبها على علاقة اللغة بالمجتمع.

5. **الفلسفة:** إن علاقة اللغة بالفلسفة تتبثق من علاقة كلتيهما بالفكر، ووجدت الفلسفة في اللغة أداتها المثلى، إن لم يكن لشيء، فلكون اللغة وسيطاً بين الذاتية والموضوعية. فاللغة هي حلقة الوصل بين الذات العارفة وما تسعى إلى معرفته أو تعريفه من موضوعات خارجها. ولقد لجأت اللغة إلى الفلسفة بدافع من حاجتها إلى نهج معرفي، فوجد "دوسوسير" مؤسس علم اللغة الحديث في فلسفة بيرس الرمزية، مدخله لصياغة العلاقة اللغوية المحورية التي تربط بين الرمز اللغوي ومدلوله، وجاء "تشومسكي" ليتخذ من فلسفة "كانط" أساساً لتنظيره اللغوي، إذ إن كانط افترض وجود قدرة ذاتية كامنة في العقل الإنساني، وهي الفرضية التي أقام عليها "تشومسكي" أنموذجه الذهني بديلاً عن النموذج السلوكي الذي ساد على يد "سكندر" وأتباعه، وتطورت دراسة المعنى على أيدي الفلاسفة أكثر مما تطورت على أيدي اللغويين.

ولقد نجم عن حوار اللغة مع الفلاسفة أن انتقلت اللغة من دور المقترض من الفلسفة إلى كونها مدخلاً أساسياً للبحث الفلسفي⁽²⁶⁾.

6. **علم الحياة (البيولوجيا):** تعد علاقة اللغة بالبيولوجيا في ذروة العلاقات المعرفية بلا جدال، فهي تمثل لقاء اللغة قمة العلوم الإنسانية مع البيولوجيا التي تتسم ذروة العلوم الطبيعية، وتمثل هذه العلاقة أقصى صور المواجهة بين المادي واللامادي، وبين الرمزي والعضوي.

7. **الأدب:** بدأ علم اللغة يرفد الأدب بنتائج دراسته الخاصة بالدلالة والأسلوب، وبدأ أثر ذلك يظهر في النقد الأدبي، وأخذ الأديب وعالم اللغة يعملان معاً في تحليل النماذج الأدبية المختلفة بغية فهم أعمق لها⁽²⁷⁾.

رابعاً: نماذج على تعدد ميادين التخصصات

نحاول فيما يأتي تقديم بعض النماذج على اهتمام العلماء باللغة وعنايتهم بدراساتها، وهم من اختصاصات متعددة.

1. الحدث اللغوي: لو وقفنا على الحدث اللغوي لننتبين من يعنى به من العلماء لوجدنا أن ثمة ثلاثة أنواع من العلماء يعنون بدراسة الناحية الصوتية⁽²⁸⁾، فهناك أجهزة النطق التي تتحرك لإحداث الأصوات يعنى بها عالم وظائف الأعضاء من ناحية وعالم الصوتيات من ناحية أخرى. أما الصوت فبعد انطلاقه في الهواء هو من اختصاص عالم الطبيعة والمهندس الكهربائي المتخصص بوسائل الاتصال، والذي يعنى بوجه خاص بتحويل الأمواج الصوتية إلى أمواج كهرومغناطيسية للاستفادة منها في مجال الاتصالات البعيدة المدى، والصوت الذي يطرق أذن المستقبل أو المتلقي هو من اختصاص عالم وظائف الأعضاء.

أما علاقة الدماغ باللغة والنطق فيشترك في دراستها اللغوي وعالم النفس والطبيب المختص بالجهاز العصبي، وذلك في محاولة لتفسير تلك العلاقة، والإفادة منها في علاج بعض الاضطرابات والأمراض اللغوية من ناحية، وفي الاهتداء إلى أسرار بعض أوجه اللغة من ناحية أخرى.

2. اكتساب اللغة: يعد موضوع اكتساب اللغة من الموضوعات المبدئية في الدراسات الإنسانية عامة، وهو من القضايا المعرفية ذات الطابع الشمولي، إن في توفيره نموذج تقاطع الاختصاصات واشتراك المعارف، أو في اتصاله بقضايا التنظير التأسيسي والمواصفة التطبيقية معاً.

وأول ما يمثل في قضية الاكتساب من حيث طرقه الاختيارية ووسائله العلمية علم التربية. ثم إن علم النفس من العلوم التي تعكف على دراسة ظاهرة الاكتساب بوصفها معطى من معطيات تفاعل النفس مع العالم الخارجي في تقبلها مؤثراته واستجابتها لتحدياته. ومن البديهي أن يهتم علم النفس التربوي الذي هو فرع من الاختصاصيين السابقين بقضية التحصيل باعتبارها إشكالاً

نفسياً وتربوياً في الوقت نفسه.

ويأتي إلى جانب هذا وذاك النظر التجريدي العام لينتظر إلى القضية نفسها من حيث المعرفة وفلسفة العلوم، فيحصل لموضوع الاكتساب جانباً أصولي تتضح بموجبه سبل الإدراك. وإن أحق أجناس المعرفة البشرية بتناول الإدراك في طرائقه وتقلباته إنما هو علم اللغة، لأن اللغة سبيل شامل وغير مقيد في كل تحصيل معرفي واكتساب إدراكي، ولأنها فضلاً عن كونها أداة الاتصال بين الإنسان والعالم الخارجي، ويدخل في ذلك الإنسان ذاته، تنتزل منزلة الرابط الجدلي الفعال بين العقل، من حيث أداة التفكير، ومكتسبات العقل من حيث هي موضوع التفكير.

وعندما قامت اللسانيات المعاصرة على مبدأ الشمول المعرفي ودك حواجز الاختصاصات تناولت موضوع اكتساب اللغة، ما اتصل منه باللغة ذاتها، وما ارتبط بالمعرفة والإدراك جملة، ومما ساعدها على ولوج موضوع اكتساب اللغة ثلاثة أمور:

أولها: ازدهار اللسانيات التطبيقية وخاصة في مجال تعليم اللغات.

ثانيهما: بروز علم النفس اللغوي ضمن أفنان اللسانيات العامة.

وثالثهما: بروز علم التحكم الآلي⁽²⁹⁾.

3. دراسة المعاني: إن مجالات الجدل القديمة في اللغة، على الرغم من انطفاء شعلتها رداً من الزمن، عادت مجدداً في ضوء بعض البحوث المتعلقة بعلاقة اللغة بالواقع وفهم هذا الواقع. وشارك في هذا الجدل وفي الدراسات المتعلقة به الفلاسفة وعلماء المنطق وعلماء اللغة وعلماء النفس، وعلماء الأجناس، وما زالوا يشاركون فيه حتى اليوم.

وتعد الدراسات المتعلقة بالمعاني، الملتقى الذي يجتمع فيه مختلف أنواع العلماء من رياضيين وفلاسفة وأصحاب المنطق وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء الأجناس والمربين، ذلك لأن للمعنى أو الدلالة اللغوية أوجهاً متعددة: منها ماله علاقة بالعقل، ومنها ما له علاقة بالصواب والخطأ والحق والباطل، ومنها ما له علاقة بالمناسبات التي يجري فيها الحديث، وعلاقة

المتحدثين بعضهم ببعضهم الآخر، ومنها ما له علاقة بالحضارة التي تمثل اللغة أهم مظاهرها، ومنها ما له علاقة بالحقيقة أو المجاز، ومنها ما له علاقة بالنواحي الجمالية... إلخ⁽³⁰⁾.

إن دراسة هذا المظهر من مظاهر اللغة برغم تاريخه القديم، قد اكتسب وزناً خاصاً في الآونة الأخيرة بتأثير النظريات التي أتى بها بعض علماء اللغة في وقتنا الحاضر. ولقد كانت إحدى الطرائق العلمية للاستفادة من هذه الدراسات وما زالت هي كتابة المعاجم اللغوية، وكان أصحاب المعاجم سابقاً يركزون على النواحي التاريخية وعلى الاشتقاق اللغوي، ويجهزون المعاجم الخاصة بلغة واحدة معينة. أما التركيز حالياً فيجري على اللفظ والمعاني المتعددة للمفردات في السياقات المختلفة، وتتناول لغتين أو أكثر.

4. اللغة والثقافة: سبقت الإشارة إلى أن دراسة اللغة لم تعد تقتصر على اللغويين وحدهم، ولم يعد الاهتمام منصباً على المشكلات اللغوية وحدها، فدارس اللغة الذي يكون في الوقت نفسه متخصصاً بعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) يهتم أساساً بالعلاقات القائمة بين لغة شعب من الشعوب وجوانب ثقافته، فيدرس على سبيل المثال الكيفية التي ترتبط بها لغة جماعة معينة بمكانة تلك الجماعة أو وضعها الاجتماعي، والرموز اللغوية المستخدمة في الشعائر والاحتفالات الدينية، وكيف تساعد تلك العمليات على نقل المعتقدات والمثل والتقاليد إلى الأجيال التالية. فالدرس الأنثروبولوجي للغة يحاول أن يفهم دورها في المجتمعات البشرية والمهمة التي انطلق بها في رسم الصورة العامة للحضارات الإنسانية.

إن دراسة اللغة في الإطار الأنثروبولوجي يقوم على إلغاء التعارض بين اللغة والمجتمع على نحو يؤدي إلى دراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية ونمطاً سلوكياً في الوقت نفسه.

وتتجه عناية دارسي هذا المجال إلى التخصص في لغات الجماعات المنعزلة نسبياً، وبمعنى آخر يوجهون اهتمامهم إلى اللغات البدائية واللهجات المحلية والإقليمية والآداب الشعبية.

واهتم بعض هؤلاء الدارسين للغة باعتبارها خاصةً إنسانية ووسيلة اتصال بين أفراد الجماعة الواحدة، مما حدا بهم إلى دراسة المهارات الحركية التي تقصح عنها بعض أعضاء الجسم في أثناء التلفظ ودراسة التعبير الحركي في الحياة اليومية في أثناء الكلام الشفاهي، وظهر علم اللغة الأنثولوجي الذي يعنى بدراسة العلاقة بين اللغة والثقافة.

خامساً: صُوبَ على طريق النهوض اللغوي

لست الآن في مجال حصر التوصيات التي تؤدي إلى النهوض اللغوي، وإنما سأركز على أربع نقاط أجدها جديرة فيما نحن في صدد من بحثنا "اللغة مركز الدراسات الإنسانية" وهذه النقاط هي:

1. سيرورة المفهوم المنظومي في شؤوننا اللغوية: في ضوء تكامل الخبرة الإنسانية معرفةً ووجداناً وأداءً، وتكامل المعرفة البشرية في ميادينها المتعددة، وكون اللغة مركزاً للدراسات الإنسانية كافةً كان علينا اعتماد مفهوم النظام أو المنظومة (System) في معالجة شؤوننا اللغوية. ذلك لأن اللغة هي أهم النظم الرمزية في المجتمع.

وينبغي لنا من دراسة أي نظام أن نركز الانتباه على ثلاثة أمور أساسية، أولها مكونات هذا النظام، وثانيها الصلات الوطيدة التي تربط بين هذه المكونات، وثالثها العوامل الخارجية التي تؤثر في هذا النظام، وتربطه بغيره من النظم الأخرى في إطار أكثر اتساعاً وشمولاً.

ولقد أخفق كثير من الجهود التي بذلت في مجال الدراسات اللغوية بسبب النظرة الجزئية المفككة إلى مكونات النظام، فالقواعد النحوية على سبيل المثال هي نظام من نظام أشمل هو اللغة، ولا تقتصر القواعد النحوية على ضبط أواخر الكلام فقط، ولا على البنية الداخلية للكلمة مما يطلق عليه "الصرف" وإنما جاوزت هذا المفهوم إلى التراكيب اللغوية وبنى الجمل الفرعية والأساسية والأصوات والمعاني، لأن تغيير الحركات الإعرابية والصيغ والأبنية يؤدي إلى تغيير في المعنى، وهذا ما دفع إلى أن يدرس علم المعاني في القواعد النحوية لا في البلاغة لأنه ثمرة

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

أي تعليم للقواعد. وهذا المفهوم الجديد للقواعد النحوية تأتّى من مفهوم النظام.

2. النظرة الشمولية إلى الإصلاح اللغوي: وجه ملك الصين قديماً السؤال الآتي إلى الفيلسوف الصيني "كونفوشيوس": أريد أن أصلح مملكتي فيماذا أبدأ؟
فأجابه الفيلسوف: ابدأ بإصلاح اللغة.

والواقع أن تحديد المصطلحات، وإيجاد القواسم المشتركة فهماً وتمثلاً واستيعاباً بين أبناء الأمة يدفع إلى النهوض والارتقاء. وما دامت اللغة مركزاً للدراسات الإنسانية كافة كان التعاون والتنسيق بين المعنيين جميعاً في المجتمع يرتقي بالمستوى اللغوي.

ومن هنا كان الحفاظ على لغتنا العربية مسؤولية الجميع، مسؤولية أبناء الأمة كافة، مسؤولية المجمع والجامعة، ومؤسسات التربية وأجهزة الإعلام والمنظمات الثقافية والاتحادات والنقابات وخطباء المساجد والكنائس، مسؤولية وجهاء النخبة وبسطاء العامة، مسؤولية الناشر والشاعر والعامل والكاتب والقارئ والمدرس والطالب، ذلك لأن اللغة هي الأم التي ترعى كل ناطق بها وكأنه طفلها الوحيد والأثير، تزهو وتنمو إن تمرد عليها شعراؤها، ولا تضيق ذرعاً بصرامة علمائها، وتغفر للعامة تجاوزها، ولا تحرم النخبة من تميزها كما ذهب إلى ذلك الدكتور نبيل علي⁽³¹⁾.

3. بث الوعي اللغوي: إذا كانت الثقافة قد أصبحت محور عملية التنمية في مجتمع المعرفة، فإن اللغة هي محور منظومة الثقافة بلا منازع. ومن هنا كان تركيز القطبية الواحدة على فرض لغتها على العالم معارضة التنوع الثقافي والتنوع اللغوي، ذلك لأنه إذا ما فقد أي شعب استخدام لغته الأم فإن ذلك سيؤدي إلى طمس ذاتيته الثقافية، وفقدان هويته المميزة. وفي هذا الصدد يقول شاعر صقلية "أخبار يويوتيتا":

"إن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل وتسد أفواهها، وتشرّد من بيوتها، وتظل مع ذلك غنية، فالشعب يفتقر ويستعبد عندما يسلب اللسان الذي تركه له الأجداد، وعندئذ يضيع إلى الأبد"

وفي حياتنا المعاصرة نلاحظ أنه على صعيد السياسة والاقتصاد قد أصبحت اللغة من أشد الأسلحة الأيديولوجية ضراوةً، وذلك بعد أن فرضت القوى السياسية وقوى المال والتجارة سيطرتها على أجهزة الإعلام الجماهيري التي أصبح وابل رسائلها وهوائياتها يفعل ما كانت تفعله في الماضي منصات الصواريخ الموجهة، ولا يناظر ضراوة اللغة إلا صمودها، فهي القلعة الحصينة للذود عن الهوية والوحدة القومية، ولا يناظر جبروت اللغة إلا حنوها، كيف لا؟ واللغة الأم هي شريكة ندي الأم في إيضاح وعي الصغير، وهي راعية القيم، وملهمة المبدع وهادية المتلقي⁽³²⁾.

4. إيلاء البرامج التربوية اللغوية الصدارة في سلم الأولويات: لما كان عصرنا هو عصر العلم والتقانة، وهو عصر المعلوماتية، ولا مكان فيه إلا للأقوياء بعلمهم ومعرفتهم، كان المستقبل المنشود للمجتمع العربي يتوقف دخوله إلى مجتمع المعرفة على ردم الهوة بينه وبين المجتمعات المعرفية. ولما كانت المعرفة قوة، كانت التربية هي البداية ونقطة الانطلاق إلى التقدم والنهوض. وما دمنا في صدد اللغة العربية والمعلوماتية كان التركيز على البرامج التربوية اللغوية على الشبكة الإنترنت يتصدر سلم الأولويات، إذ إننا في أمس الحاجة إلى:

- * برامج تعليم اللغة العربية وتعلمها لأبنائها.
- * برامج تعليم اللغة العربية للمهاجرين من أبنائها.
- * برامج تعليم اللغة العربية لغير أبنائها من الدول الإسلامية وغيرها.
- * برامج التعلم الذاتي.
- * برامج تأهيل معلمي اللغة العربية وتدريبهم.
- * برامج تركز على أساسيات اللغة "القواعد النحوية مصطلحاً وتطبيقاً"
- * الترجمة الآلية.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

كما أننا في أمس الحاجة إلى تطوير معاجمنا العربية وإيجاد معاجم جديدة تستجيب للتطورات المعاصرة، وتتنوع في ضوء الجمهور المستهدف والمراحل العمرية، إضافةً إلى معاجم تضم التعابير الاصطلاحية، وأخرى تشتمل على المفاهيم من حيث الأمن والأمان والرفض والقبول والإنجاز والإخفاق والسر والعلن... إلخ.

ولقد آن الأوان لاتحاد مجامعنا اللغوية أن ينجز المعجم التاريخي استناداً إلى مشروع الذخيرة اللغوية العربية.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

حواشي البحث

1. ابن منظور . لسان العرب . الجزء 2 الطبعة الأولى . المطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر 1300 هـ ص 116.
2. الدكتور محمود أحمد السيد – في طرائق تدريس اللغة العربية – منشورات جامعة دمشق – 1992.
3. E. Sapir – la linguistique – paris, Monont – 1969.
4. Charles Hockett: The problem of universal in language ambridge, mass: mit press 1978 P1-29.
5. مايكل كوربالييس ترجمة محمود ماجد عمر . في نشأة اللغة . عالم المعرفة – الكويت 2006 ص 15.
6. الدكتور طه حسين . مستقبل الثقافة في مصر . مطبعة المعارف ومكتبتها . القاهرة 1938.
7. مجلة عالم الفكر . المجلد الثاني . العدد الأول . الكويت 1971.
8. الدكتور نبيل علي . الثقافة العربية وعصر المعلومات . عالم المعرفة . الكويت . 2001 ص 262.
9. الدكتور نبيل علي ونادية حجازي . الفجوة الرقمية . عالم المعرفة . الكويت 2005 ص 206.
10. المرجع الثاني ص 5.
11. جورج مونين . تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين . ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم . جامعة دمشق 1972 ص 16.
12. اللسانيات . مدخل إلى علم اللسان الحديث . معهد العلوم الإنسانية والصوتية بجامعة الجزائر . المجلد الأول . العدد الثاني . الجزائر 1971 ص 27.
13. جورج مونين . مرجع سابق ص 138.
14. المرجع السابق ص 148.
15. الدكتور عبد الرحمن أيوب . اللغة والتطور . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة 1969 ص 19.
16. الدكتور محمد أحمد السيد . اللسانيات وتعلم اللغة . دار المعارف للطباعة والنشر . تونس 1998 ص 46.
17. F. de Saussure – Cours de Linguistique général – paris 1966.
18. المرجع الثالث.
19. B. F. Skinner – verbal Behavior L. N. Y. Appletons Century Crofts.
20. Chomsky, n. Discussion du rapport de Miller, w, et Ervins, s. (the Development of grammar in child language) child development monograph 29 (1964a) 31.
21. الدكتور نايف خرما . أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة . عالم المعرفة . الكويت 1978 ص 90.
22. الدكتور زغول النجار في إحدى محاضراته.
23. الدكتور نبيل علي . الثقافة العربية وعصر المعلومات . مرجع سابق ص 240.
24. المرجع السابق ص 240.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

25. المرجع السابق.
26. المرجع السابق ص 248.
27. الدكتور نايف خرما . مرجع سابق ص 90.
28. المرجع السابق ص 91.
29. الدكتور عبد السلام المسدي . اللسانيات وأسسها المعرفية . الدار التونسية للنشر 1986 ص 138.
30. الدكتور نايف خرما مرجع سابق ص 93.
31. الدكتور نبيل علي . الثقافة العربية وعصر المعلومات . مرجع سابق ص 228.
32. المرجع السابق ص 229.

التحريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

تعريب التعليم العالي أولوية الأولويات*

أ. د. صالح بلعيد

أستاذ بكلية الآداب تيزي وزو . الجزائر

المقدمة

نظراً للوضعية المأساوية التي تعيشها اللغة العربية في أوطانها، والتراجع الملاحظ على كثير من الصُّعَد، وخاصة على مستوى تعميم تدريس العلوم باللغة العربية في التعليم العالي، وعدم التطبيق الفعلي لما تنصّ عليه دساتير الوطن العربي، وهو أن لغة التدريس في التعليم العالي هي اللغة العربية، وغياب القرار السياسي الفاعل في مسألة التدريس بالعربية في التعليم العالي، والشكوك الذي تعيشه الأمة العربية في قضية توظيف اللغة العربية في ميادين التقانة، واستبدال الإنجليزية في المشرق، والفرنسية في المغرب، وقلة إمكانات المؤسسات اللغوية/ العلمية التي أعدت لتفعيل اللغة العربية لمواكبة قضايا العصر، وعدم اعتبار اللغة العربية أولوية الرّقي الاقتصادي والاجتماعي... تبقى قضية التعريب مطروحة بالقوة كأولوية الأولويات في هذا القرن الجديد، وما تزال تشغل أذهان أهل الفكر والحكم، وتختلف بشأنها الآراء والمواقف والسياسات، ويحتدم حولها الجدل، فتثور المشاعر، وتحدث الانفعالات ويتصل الحوار، ويتداعى أمرها كلما نزلنا محفلاً علمياً عربياً، فأجندني أسمع نفس الكلام: **تعريب التعليم العالي ضرورة كبرى**. شعار رفعناه منذ التحرّر، فإلى أين أوصلنا؟ وماذا جنيينا منه بعد خمسين سنة؟ وهل يجدي تكرار الحديث في التعريب عامة، وتعريب التعليم العالي خاصة؟ وإلى أين يوصلنا العزف على وتر

* دراسة أعدت للندوة السادسة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي التي عقدت في عُمان 2006

شبه مقطوع؟

لقد بلغت المديّة العظمى، ومن ذلك ترون أنّ الأسئلة التي طرحتها هي إشكالات عينية يُستشف منها الهزيمة، ولكن ذلك مالا نريد أن يكون، لأنّ مسألة اللغة العربية تتطلّب النَّفس الطويل، والحكمة في التعامل بالخطأ البطيئة المضمونة، والابتعاد عن التهرّج، وتطبيق قاعدة التّريغيب، والاحتكام إلى العقل بمنأى عن الصراع اللغوي، واستكناه النظرية التي تقول: بدل أن تلعن الظلام فالأفضل إشعال الشمعة/ ولا يحزنك إن أخفقت ما دمت تحاول الوقوف على قدميك مجدداً/ ومن يحبّ الشجرة يحبّ أغصانها/ إنّ البستان الجميل لا يخلو من الأفاعي. وعلى هذا فالأمل معقود على النجاح الذي سوف يتحقّق عن طريق تكرار الحديث عن التعريب، فليس كلّ مُعاد مملاً، ولا كلّ معيد مخلّاً، وخاصة عندما يكون هذا الخطاب جديداً في مضمونه معقولاً في اقتراحاته، فلا ضرر ولا ضرار. فبات أمر التعريب ألا يطرح فقط في المحافل الرسمية، أو في مؤتمرات وزراء التعليم العالي؛ لأنّ القضية تتجاوز هذه الفئات، باعتبارنا شركاء في كثير من المسائل التي لها علاقة بالموضوع. ومن هنا فإنّه ينبغي تضافر جهود الجميع، وإشراك جمعيات المجتمع المدني . على وجه الخصوص . بكلّ طوائفها وفئاتها، وخاصة الشباب والفئات الطلابية المعنية؛ فهم قوة اقتراح وفرض. أضف إلى هذا أنّ المعطيات المعاصرة تتطلّب إشراكها في القرار مهما كان نوعه، فلذا لا ينبغي تهيمشها في المجتمع لما لها من تأثير في كلّ الأوساط.

في هذا المكان أريد تركيز حديثي في نقطة جوهرية؛ تنبثق منها نقاط فروع، وهي ما ينصّ عليه عنوان محاضرتي: **تعريب التعليم العالي أولوية الأولويات**، ومنه أطرح هذا السؤال: **كيف يكون تعريب التعليم العالي أولوية الأولويات؟**

أجيب بكلّ صدق بأنّ هذه المسألة يجب أن يعاد فيها النظر، وخاصة في الطرائق التي سلكتها سلفاً ولم تُجدِ نفعاً، ومن هنا فتحتاج إلى خطاب جديد يبنى على تحقيق الآتي:

أولاً: تهدئة خطاب التعريب

إن معالجة التعريب عامة تتطلب الوفاء بمتطلبات تغيير النفس المبادرة والعاملة في ميدان التعريب، أو الداعية إليه للتفاعل مع الآخر تفاعلاً إيجابياً؛ بالقدرة على الحجة مع مواطنينا أولاً، حيث يسود بيننا خطاب التحبيب والترغيب، لا خطاب التنفير والإكراه، خطاب لا يلغي الآخر، فلا تطرف في التعريب، ولا تشييع للغات الأجنبية، ويجب أن تسير الأمور سيراً عقلانياً وطبيعياً؛ لأن مفهوم التعريب عند البعض يعني إلغاء ما ليس عربياً أو مُعرباً، ومن ثم ترتبط القضية بمسألة المنصب وما يتبعه، فلا شك أن الطرف الذي يحس بأنه مستهدف يستعمل كل وسائل البقاء والنفور ورد الفعل، وهذا ما أفرزته بعض الخطابات الإلغائية من تراجع في اختصاص الاقتصاد في بعض جامعات الوطن العربي، والذي كان معرباً بنسبة لا بأس بها، ولما احتد الخطاب الإلغائي تراجعت الهيئة التدريسية عن التعريب وعادت إلى التدريس بالفرنسية، ولم يجد حتى القرار السياسي. فالقرار السياسي السيد قبل أن يكون حاسماً وصارماً يستحسن أن ينبع من الإرادة السياسة ومن الأكاديميين، ومن الهيئة التدريسية التي لا يمنعها قانون عدم التدريس بالعربية، وهي الآن تعمل عكس المطلوب. وإن أمثال هذه المسائل لا تعطي لنا إلا الشتات والتنافر. فعلى كسب الرهان بالجمع بين العلماء والعلميين، وبين كل الهيئات التدريسية، دون النظر في مسألة لغة العمل في هذه المرحلة، التي يمكن أن نعتبرها انتقالية، ثم جعل المجتمع المدني يُحس بأن قضية التعريب قضيته، فإذا أحس بأنها ضرورية فسوف تتداعى كل المعوقات، ويسهل التغلب عليها وليس حلها بالمستحيل أبداً. وإن هذا الخطاب الجديد يجب أن يدور في طبيعته بأنه يعني إحلال العربية مكانها الطبيعي، وزحزحة اللغات الأجنبية كلغات خارجية تُستغل لخدمة العربية، والأخذ بما يفيدنا منها، ولا تكون هي المهيمنة أو المالكة لزام اللغة الأم. ثم العروج على إيجابيات التعريب؛ حيث يجب ألا ينظر بعين أحادية بمعزل عن الأهداف الكبرى إلى وظيفة اللغة وعلاقتها بالمجتمع: من مساهمة في تنمية المجتمع، وزيادة الوعي، فكيف نفكر بلغة، ونكتب أو نتحدث بلغة أخرى، وكيف نُتلقى العلوم بلغة، والمحيط يستعمل لغة أخرى؟ ألا يحدث الانفصام بين الصيدلي والمهني والمحتاج إليهما، فكيف يتعامل

الطبيب المتخرج بالفرنسية مع أناس لا يعرفون هذه اللغة... أشياء من هذا القبيل تجعل الرفض للتعريب يلتجئ إلى الخلفية الفكرية والاقتصادية التي يحملها التعريب ويستعمل الحس الوطني والتاريخي والحضاري فيستهويه الخطاب ويصبح بعد ذلك مدافعاً عن التعريب.

ويجب نقل خطابنا المعاصر نقلة نوعية بالقول إن التعريب هو التجانس الاجتماعي لفئات الشعب للتعبير الحر بلغتهم وربطهم برباط الهوية اللغوية، فلا "تتفصل قضايا عولمة الثقافة والقيم عن قضايا عولمة اللغة، ولا تقتصر عولمة اللغة على التعبير عن المقومات الثقافية العالمية، أو الربط بين المقومات الدينية التراثية والمقومات العالمية الحديثة، أو تحديد مفاهيم المصطلحات المتداولة عالمياً، ولكنها تتجاوز تلك الجوانب للنظر في الأهمية المصيرية للغة في بنية أي قوّة بوصفها وسيلة التفاهم والاندماج الاجتماعي وعاملاً مهماً في التجانس القومي؛ لأنّ استعمال لغة واحدة يؤدي إلى وحدة الرأي والشعور، وتجلي أنماطها في نمط التفكير وتراثها الفكري. فكيف تتحقّق هذه الجوانب أو يُحافظ عليها في عمليات العولمة الثقافية واللغوية التي تتجاهل التنوّعات؟¹

ثانياً: القبول بمبدأ المراجعة لا التراجع

ليس من العيب أن نراجع بعض المسلمات أو الأمور، ولكنّه من المخزي أن نتراجع، فبات ضرورياً إعادة النظر في بعض الشعارات التي رُفعت في القرن الماضي، ولم تُجدِ ثماراً، وكان علينا استخلاص الدروس من التجارب التعريبية المُخفّقة وعدم تفريخها ثانية، والنظر ملياً في التجارب الناجحة ومحاولة تحسينها، واستغلال النتائج الإيجابية التي أعطتها التعريب التدريجي في البلاد التي سلكت هذا التعريب. وعلى العموم لا بدّ من استكناه مكامن الضعف لبناء سياسة لغوية جديدة تراعي التطوّرات المعاصرة، وما أفرزته العولمة اللغوية لوضعها في رهنائنا المستقبلية، وهذا بغية وضع الإجراءات النوعية المطلوب سلوكها حديثاً في البلاد العربية، لتتال

¹ أحمد عبد السلام "العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها العربية" مجلة مجمع اللغة العربية بالأردن. عمان: 2001، العدد 60، ص 119.

العربية وضعها الطبيعي بنظرة جديدة. ولا يكون ناجحاً إلا بتقديم الحلول الكفيلة بترقية اللغة العربية ضمن معطيات التقانة، وكيف يمكن النهوض بميدان العلوم باللغة العربية. ولا مانع أن يطرح أثر القرار السياسي ما لم يستهدف غايته في حد ذاته، فإذا كان غرضه تتميم تعميم استعمال اللغة العربية على جميع المستويات يكون له صدى إيجابي، ولو يتأخر بعض الوقت.

ثالثاً: التخطيط ثم التخطيط

يجب ألا نتطلق أفعالنا من فراغ، أو من عفوية، أو نخضعها للمصادفات، فالمسألة في مجال تعميم استعمال اللغة العربية في المرحلة الجامعية بيئة، والغاية منها استكمال توطين اللغة العربية في العلوم، فهذا يحتاج إلى خلفية جديدة تأخذ في الحسبان القول والفعل، وطرائق التنفيذ والمتابعة، وهذا ما لم يحصل في سابق من الزمن، فكان التعريب شعاراً من وراء المكاتب، ونحن في موقع لا نُحسد عليه، فكان الأجدر تحضير مشروع وطني جدير بهذه اللغة وبتطويرها وفق مقوماتنا وواقعنا، ويقول الطبيب محمود فوزي المناوي "ونحن في حاجة إلى مشروع وطني شامل للتعريب من جانب، والتطوير والتحديث من الجانب الآخر، للحفاظ على اللغة العربية والعناية بها، يأخذ في الاعتبار كل مقومات ومصادر القوة في المجتمع، ويتعامل بواقعية مع مكانم الضعف والقصور، فالأهداف لا بد أن تكون محدّدة بمنهج علمي واضح، تتفق مع التطورات الكوكبية، ومع رغبات الناس وتطلّعاتهم، مع تحديد أولويات التنفيذ، وتحديد التوقيت لكل خطوة مستهدفة، ومع وضع مؤشرات المتابعة والتقييم، على أن يكون المشروع متحرراً من التقليدية، ومتخطياً جميع الحواجز البيروقراطية"². ومن هنا ضرورة العمل على تحضير مشروع ثقافي واستراتيجي أكثر من ضرورة، وكان على مسؤولي الجامعات والمجمعين ومسؤولي المؤسسات الثقافية والخبراء تحضير دراسات الجدوى التي تعمل على حماية اللغة العربية، ضمن معطيات هذا القرن الجديد، بنظرة وخطاب جديدين يراعيان مختلف التطورات التي نالت هذا العالم، باعتبارنا جزءاً منه نتفاعل بمختلف الهزّات التي تصيبه، أو التي تعمل على رقيّه "وفي إطار هذا

² في التعريب والتعريب، ط1. القاهرة: 2005، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص 341.

المشروع ينبغي النظر إلى أهمية تطوير الأساليب التعليمية المتعلقة بتدريس اللغة العربية وتعريب المصطلحات التي أفرزتها ثورة الاتصالات والمعلومات. وهنا تبرز أهمية تفعيل دور مجامع اللغة العربية والمؤسسات والهيئات المعنية باللغة، وبصفة خاصة لجان المسميات بالوحدة المحلية لتوسيع دائرة انتشار اللغة العربية وأعلامها البارزين³. وفي هذه النقطة نولي الترجمة والاقتباس من اللغات التي سجلت حضورها في التقدّم العلمي كلّ الأهمية، وهذا ليس عيباً؛ فقد قام جانب كبير من الحضارة الإسلامية على أكتاف علماء من أصل فارسي أو تركي، ومنهم: البخاري وابن سينا والفارابي وسيبويه والبيروني والرازي والخوارزمي... وقد أضافوا علماً كثيراً إلى ما ترجم عن علماء اليونان كما أدّت الترجمة إلى العربية دوراً كبيراً في العصر العباسي الأول، حين كان الخليفة هارون الرشيد يتقاضى الجزية كتباً، وكان المأمون يُعطي من يُترجم كتاباً وزنه ذهباً. فالترجمة فعل حضاري تعمل على خلق التربة والمناخ الملائمين للدخول في المشاركة الفاعلة في تيار التطور العلمي، شرط أن تمحّص المعرفة التي تؤخذ منها وتدمج في المعرفة الأصلية للغة البلد، فتسير حركة التأليف مع الترجمة سيراً موازياً، ولما سئل الدكتور طه حسين عن كيفية تفعيل اللغة العربية، أجاب: ترجموا ترجموا ثمّ ترجموا.

رابعاً: إعادة النظر في السياسة اللغوية العربية

يشير معجم علوم التربية إلى (السياسة التربوية) بوضعه هذا التعريف: هي النتاج الإجمالي لكلّ العلاقات والتفاعلات والتبادلات بين النسق التربوي ومحيطه، بمعرفة الأولويات والاختيارات التي تتطوي عليها السياسة التربوية عن طريق تحديد الاختيارات الرئيسية، ووضع المرامي وصياغتها في شكل خطط عمل، أو برامج دراسية؛ يجري التدقيق فيها لكي تصبح قابلة للتطبيق؛ حيث تعمل على تحقيق الانسجام بين الأهداف الأخرى المحددة في القطاعات الأخرى، برعاية ما هو ثقافي واجتماعي وإداري واقتصادي وتصاغ من قبل الجهات صاحبة القرار التي يجب أن

³ طه محمد عبد المطلب "المشروع الثقافي وحماية اللغة العربية" ع/ في التعريب والتعريب، محمود فوزي المناوي، ط1. القاهرة: 2005، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص 332.

تشرك المواطنين أو الجماعات التي تمثلهم في عملية التحديد بوضع المبادئ الكبرى التي تحقق المقاصد العامة، والوسائل العاملة على تنفيذها، والتحقق من الأهداف التربوية ومن الاتجاهات العامة لسياسة البلاد⁴. واستناداً إلى هذا التعريف فإنّ دساتير الوطن العربي قد أفتت في هذه النقطة بالإشارة إلى السياسة العامة المحددة في مواثيقها الرسمية بأنّ اللغة الوطنية والرسمية هي اللغة العربية، وأنّ لغة التدريس في كلّ مراحل التعليم هي اللغة العربية إلا في حالات استثنائية، في حين تؤكد كلّ مؤتمرات خبراء التعليم والمجامع ومؤتمرات الوزراء المسؤولين عن التعليم العالي، ضرورة العودة إلى الأصل والقانون، ولكن لا حيلة لنا أمام وضع قرّض نفسه وقبلناه وتعاطينا نتائجه، وأبقينا على اللغة الأجنبية في قطاع التعليم العالي، وأحدثنا القطيعة بين مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي التي يتلقّى فيها التلميذ علومه بالعربية، ومرحلة لاحقة (التعليم العالي) يجد فيها لغة جديدة، فما ذنبه بأنّخاذنا الاستثناء قاعدةً.

يجب أن يعلم الجميع بأنّ الدراسات الميدانية المعاصرة تقول: "...إنّ أسباب عدم النهوض العلمي كحقيقة في عالمنا العربي والإسلامي حتى الآن، هو ارتباط علومنا باللغة الأجنبية المستمرّ في سبيل الوصول إلى المعرفة بدلاً من ربطها باللغة العربية، فانعزلت عن ماضيها في غربة عن تراثها وتاريخها ولغتها، فحدث الانفصام الثقافي الذي زاد اليوم بين العلم وحضارة الأمة، فغدا العلم هجيناً في شجرة لا تألفه، وأدى ذلك إلى بقاء الأمة ناقلة، بدلاً من أن تكون أمة مبدعة⁵". وإنّ هذه النقطة تستدعي التركيز العلمي الذي يمسّ مستوى الاستيعاب بالعربية، فهو أفضل منه باللغة الأجنبية، وهذا ما أبانته التجارب التي أجريت في كثير من جامعات الوطن العربي، باعتبار أنّ اللغة العربية تسهّل تناول العلم، وتوسّع مجال التعليم والتأليف أمام أبناء هذه البلاد على اعتبار أنّها اللغة الأم التي يستشقها المواطنون في كلّ مكان. كما أبانت الدراسات

⁴ عبد اللطيف الفاربي وآخرون، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، ط1. المغرب: 1994، سلسلة علوم التربية 9-10، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، ص 270 (بتصرّف).

⁵ عبد الرؤوف خريوش "تعريب التعليم الجامعي وأهمّ المشاكل التي تواجهه" مجلة اللسان العربي. الرباط: 2000، مكتب تنسيق التعريب، العدد الخمسون، ص 64.

ضرورة إتقان اللغة الوطنية أولاً وتحصيل أساسياتها تحصيلاً جيداً، بمعرفة الخصائص العامة في المراحل الأولى من التعليم الأساسي، ثم يمكن الانتقال إلى تعليم اللغات الأجنبية ما تشاء. وبذا بات التعريب في هذه النقاط المذكورة يعني اعتماد العربية لغة تدريس وتأليف وإبداع في كلّ المراحل التعليمية، ودخول معمعان الثورة العلمية بكلّ تعقيداتها وشموليتها. ونقرّ بأنّ العربية لم تتطوّر حتى الآن تطوّراً جاداً لتصبح لغة علمية مواكبة للعصر؛ لأنّها أقصيت من مرحلة التعليم العالي التي تستوجب مجارة العصر، وتركنا أمرها جائثاً في العلوم الإنسانية، فبقيت مهمشة لا حياة فيها إلا في تراثها القديم، ولم يحصل هذا بفعل فاعل، بل حصل بيد أهلها "لقد تخلينا عن تعريب العلوم تحت مختلف الذرائع، فماذا سيكون مصير اللغة العربية بعد عقود من عدم استعمالها فيما يختصّ بالعلوم؟ طبعاً لا يحتاج الأمر للنباهة لإدراك بأنّ هذه الوظيفة الأساسية للغة ستموت، وأنّ الوقت سيتجاوزها بحيث يصبح من المتعذّر تلافي هذا النقص مهما حاولنا... وسيصبح من المتعذّر على غير المشتغلين بالعلوم وغير المتقنين للغات أخرى متابعة ما يجري من حولهم، وهي حالة مرضية سيق أن وَعَثَ خطورتها الدول المتقدّمة، فبذلت جهوداً كبيرة في سبيل عدم ترك أحد خارج تيار الثورة العلمية"⁶.

عذراً إن قلت: نحن في البلاد المغاربية . باستثناء ليبيا . ندرّس العلوم بالفرنسية منذ خمسين سنة، وننتشيع للتدريس بها في مجال العلوم، فماذا قدّمنا للعالم باللغة الفرنسية، وإنّه باعتمادنا على الفرنسية لم نَقم لنا نهضة علمية؛ لأننا نكرّر الذي قيل بعد ما يتجاوز الوقت، وبقينا في التقليد برغم ما شَغَفْنَا وانبهارنا بحضارة فرنسا، وما تملّكنا آلياتها وما حصلت الإجابة الجيدة للغة الفرنسية من قبل طلابنا، فضلاً عن الاغتراب الثقافي على صعيد المجتمع. وكلّ ذلك سيؤدّي حتماً إلى اتّساع الهوة بين المجتمع وعلمائه وسيضيع الهدف. ولقد سكتنا ونحن نقرأ الدراسات الميدانية التي تعطي لنا النسبة المذهلة لعدد الطلبة المتسرّبين من العلوم بسبب العائق اللغوي،

⁶ تغريد نصر أصغر "تعريب التعليم الجامعي (أضواء على تجربة)" مجلة عالم الفكر . الكويت: 2000، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد الثامن والعشرون، ص 195.194.

فيعيش بعض الطلبة محنة التوجيه بسبب الهزيمة اللغوية في اللغة الفرنسية⁷. وأما الطلبة الذين يذهبون إلى فرنسا لمواصلة الدراسة فتُجرى لهم امتحانات القبول، والكثير منهم يعيد دراسة المواد التي درسها في الجامعة، ويمتنح بعد ذلك، فإذا نجح يقبل وإلا يُرفض ويُطرد. ومن هنا كان يجدر بنا . بوصفنا مسؤولين . توجيه السياسة اللغوية العربية توجيهاً جديداً في مجال التعريب عامة، وفق مبدأ المحافظة على مستوى التعليم؛ فاللغة العربية وسيلة التعبير والهوية والتآلف وإثبات الخصوصية في وقت واحد، ولا يمكن أن يكون لنا اشتراك في الحضارة الإنسانية إلا بالعلم الذي يجب أن تستوعبه لغتنا، علماً أنّ وحدة اللغة تحقق وحدة التفكير، ووحدة التفكير تحقق وحدة الأمة. ثم كما إنّ اللغة العربية في أوطاننا غراء اجتماعي، أو إسمنت مسلّح، تعمل على ربط الماضي بالحاضر، وتعزّز رابطة الوحدة. ومن هنا فإنّ التعريب الذي أقصده هو ذلك الذي تأخذ فيه اللغة العربية محالها المناسبة بوصفها لغة علم تُبرز عمق الفكر، وجوانب الثقافة وتناغم أبناء المجتمع في أفكارهم وتصوّراتهم وازدهارهم، وهذا ما تؤكّده الدراسات: لا نمو ولا ازدهار في الاقتصاد والزراعة ما لم تتم الاستجابة لتعميم استعمال اللغة العربية في كلّ المجالات، وخاصة غمار الاقتصاد. يقول الدكتور محمد مرياتي: إنّ عزوف الدول العربية عن تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية يؤثّر في نموّها الاقتصادي والاجتماعي، وفي توجّهها نحو مجتمع المعلومات، ولن يقوم مجتمع المعلومات في الدول العربية دون وجود معرفة باللغة العربية... وإنّ الجهة التي تستثمر في تعلّم اللغة الثانية (الأجنبية) لتستورد لا تصدر، هي الخاسرة، وإنّ تعلّم اللغة العلمية والتكنولوجية بلغة الأمّ هو خيار اقتصادي فردي وحكومي، ويجب ألا يترك لقانون السوق. ثم إنّ الحاجة إلى سياسة لغوية وطنية عربية فاعلة تأخذ النواحي الاقتصادية بالحسبان أكثر من ضرورة، ويصاحب هذا الفعل تدعيم الترجمة العلمية وتعليم العلوم باللغة العربية. ودعم تعلّم اللغة العلمية الثانية مسألة هامة يجب أن تطرح بجديّة، وتؤخذ فيها الإجراءات التحفيزية التي تعمل على كيفية الاستفادة منها أولاً، ثمّ كيفية تدريسها ثانياً، لا مجرد

⁷ دراسات ميدانية أجريت في جامعة باب الزّوار للعلوم والتكنولوجيا بالجزائر.

اعتماد لغة أنفُق عليها دون مردود نوعي، ودون نتيجة تُقطف منها. وفي هذه النقطة قال أحد الباحثين بأنَّ "الحكومة المغربية استقدمت لجنة من خبراء البنك الدولي للإنشاء والتعمير بقصد الاستشارة، فكان من رأيها أنَّ ازدواجية لغة التعليم هي ممَّا يستنزف مالية المغرب (تبلغ ميزانية وزارة التربية الوطنية ملياراً من الفرنكات، يصرف معظمها في أجور الأساتذة الفرنسيين، فضلاً عن كونها السبب في هبوط مستوى التعليم) وأوصت باعتماد لغة البلاد، وجعلها اللغة الأساسية للتعليم"⁸. وكثيرة هي تلك التقارير السنوية الصادرة عن المنظّمات العالمية التي تشير إلى أنَّ طريق التنمية لا يتحقّق عبر الثقافات الوافدة، كما لا يؤتي ثماره من خلال لغات الآخرين، وإن كان يثري من تجارب الآخرين بعد ترجمتها إلى اللغة الأم. ويقول رفعت كامل بيومي: لقد أبرزت الدراسات المستقبلية أنَّ معدّلات التنمية في العالم العربي تحتاج إلى نقلة نوعية في مجال التعليم والتعلّم؛ خاصة بعد أن دخلنا في بوتقة العولمة والثورة المعلوماتية، التي تتعرّض فيها العربية كالعديد من لغات العالم إلى محاولة التهميش تحت ضغط الهيمنة وثقافة الغزو، مما يستلزم رؤية مستقبلية قادرة على بناء العقل، وملاحظة التطوّر وعلى إحداث التغيير المجتمعي المأمول. ولما كان التعليم هو بوابة الخروج من النفق المظلم، أصبح من اللزوميات أن تتغيّر نظم التعليم وأن تتطوّر لتواكب التقدّم العلمي الذي وصل إليه الغرب، بعد أن شاع استخدام التكنولوجيا الهائلة في مجال المعلومات والاتّصالات إلى الدرجة التي يجب علينا تداركها، وألا تتناقل الخطأ إلى درجة الانفصام عن الغرب، وتتسع الهوة ونُصاب بالعجز عن الملاحقة، وتصبح عملية اكتساب المعرفة ضرباً من المحال، فكيف لنا أن نحلّ هذه الإشكالات؟ أيمن أن نحلّها بلغة أخرى أم بلغتنا؟ الواقع العلمي والتجربة الإنسانية تقول: إنَّ التنمية البشرية لدى أمة لا يمكن أن تحدّث إلا بلغة أهلها، كما نصّ على ذلك تقرير المنظمة الدولية للتنمية البشرية؛ لأنّها ليست وسيلة فقط للتخاطب، ولكنّها أسلوب شامل للحياة، وهي المخزون الثقافي، ورمز متجدّد للهوية الوطنية. وعليه أصبح الواجب أن تكون اللغة في القلب، وأن يكون الشعور الوطني هو الدافع لتقدّمها،

⁸ محمود فوزي المناوي، أزمة التعريب، ط1. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص 176.

والغيرة والكرامة هي الحافز إلى إعلائها، وأن يكون تعريب التعليم وسيلتها وغايتها.

خامساً: تحديد موقفنا من اللغات الأجنبية

بات حرياً أن نكون مرنين في التعامل مع هذا الموضوع، بانفتاح عقلي يتجاوز كل عقبة، فلا مجال فيه للخطأ أو للتنافر، ولا بدّ من تخطيط هذه السياسة اللغوية تخطيطاً يراعي الأخذ والتواصل المفيد مع ثقافة الغرب، ومحاولة التوفيق بين الثقافة الأجنبية وثقافتنا الخاصة؛ بالحوار والتأمل "فلا الرفض المطلق الأعمى يعدّ فكراً، ولا القبول المطلق الأعمى يعدّ فكراً، ففي الأول عناد الأطفال، وفي الثاني طاعة العبيد⁹"، فنقبل ونرفض ما تقتضيه المصلحة. وأعتقد أنّ المنطلق يحصل في هذه النقطة، ويكون التفعيل داخلها، حيث إنّ الدعوة إلى استعمال العربية في التعليم العالي يعني الدعوة إلى إلزام إتقان لغة أجنبية واحدة على الأقلّ، واتخاذها أساساً في تدريس مادة دراسية واحدة في كلّ سنة جامعية، ويحصل الامتحان بلغة التدريس، ولا يعني هذا موضة جديدة، أو حماية مؤقتة، بل هو استجابة لضرورات ملزمة يكابدها المعلم والمتعلم، باعتبار اللغة الأجنبية ليست أمراً ثانوياً، تمدّنا في الوقت المعاصر بكثير من المصطلحات، كما تفتح آفاقنا على مستجدات عالم المعلوماتية، فهي باب واسع ندخله كلّ يوم عبر أيقونات الإنترنت والمصطلحات العلمية، فلا يمكن الاستغناء عنها، ولا الاستغناء عن الاستعانة بالخبرة الأجنبية في المرحلة الجامعية، ولا يعني هذا الخضوع أو الجري وراء هذه اللغات والأجانب، بل يعني عدم التسامح في المغنم الحربي الذي كسبناه (اللغات الأجنبية) فهي زائد فينا وليست ناقصاً. ثم إنّ الخبرات الأجنبية سوف تطلعنا على التطوّرات المعاصرة، وتفتح جامعاتنا على الأخذ والردّ مع العالم الخارجي، فلا يجوز لنا العيش في قفص بلد واحد، أو الاكتفاء بلغة واحدة، وهذا ما لا يمكن أن يكون في عصر العولمة التي اقتحمت عنوة بيوتنا، وحتّمت علينا التعامل في إطار التفتّح، وهنا لا بدّ من التفعيل داخل المجموعة الكونية، وإلا فلا مستقبل لنا.

⁹ زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي. القاهرة: 1971، دار الشروق، ص 3.

واعتقد أنّ هذه القضية هي الأساس، باعتبارها تمسّ الجانب النفسي عند المواطن العربي الذي لم يضع الثقة الكاملة بعد في لغته، بعدما لاحظ تأخرها عن ركب العلم، ورأى ضعف السياسات اللغوية في الوطن العربي وإخفاق التعريب في بعض البلاد العربية، وتردد الحكام في قضيته، وتراجع بعض الاختصاصات عن التعريب، أضف إلى ذلك ما أسبغه بعض الضعاف أو المستفيدين من أنّ العربية لغة أدبية لا مجال لها في العلوم... وكلّها عوامل نفسية تُضعف الهمة وتُنبّط العزيمة، فالحاجة ماسة إلى مشروع قومي يأخذ في الحسبان هذه المستجدات، ويتعامل بواقعية للوصول إلى تعميم استعمال اللغة العربية. ويجب أن تطرح قضية التعريب من باب أنّ التعريب لا يعادي اللغات الأجنبية كلغات علوم يُستفاد منها، ولكن من باب أنّها لا تكون لغات هيمنة، ويجب المرور منها للوصول إلى كلّ شيء، وأنّ ما حصل في بعض البلاد العربية من صراع في مسألة التعريب، هو ردّ فعل للتعريب، صراع بين لغتين إحداهما أجنبية تصرّ على احتلال مكان السيادة في البلاد، ولغة وطنية ترى أنّ شرعيّتها قد انتهكت ومكانتها سُلبت فتطالب بردّ حقّها، وهذا شيء تقرّه الحقوق اللغوية لكلّ اللغات، ومن حقوق اللغة العربية عدم الاعتداء على شرفها. فهل يقبل الفرنسي الذي يدرس اللغة الإنجليزية في أغلب أطوار تعليمه اعتبار الإنجليزية لغة مكّنة للهوية الفرنسية! ثم إنّ التعريب يعني الدعوة إلى تجويد العربية، وإلى ديمقراطية العلم وإشاعته.

وفي هذه النقطة أركّز على مسألة الاحتكاك بالغرب والأخذ عنه فهي مسألة لا جدال فيها، فالغرب سبقنا علماً وحضارة معاصرة، ومن هنا وجب التعلّم بلغته استيعاباً لأفضل ما أنتجه الحاضر من ثورات العلم وتراكم المعرفة وتقدّم التكنولوجيا، مما يوجب التفاعل والتفاهم معه، وليس الأمر مجرد استيراد أو استهلاك زائل للغات، ولكنّه الفهم والوعي لكل معطياته "لذا يجب أن تدرّس مادة دراسية رئيسة واحدة بلغة أجنبية حيّة في كلّ سنة دراسية جامعية، ويكون الامتحان بتلك اللغة، مع إلزام الطالب برصد المصطلح الأجنبي وحفظه في حقل اختصاصه، إضافة للمصطلح العربي، ضماناً لمواكبة التقدّم العلمي والمتابعة العلمية. ومن السهل أن يحاضر الأستاذ ويشرح ويناقش بالعربية، حتى مع ذكر مصطلحات أجنبية إذا لزم الأمر، إذ إنّ ذلك

أجدي وأضمن لفهم الطالب من أن تلقى عليه محاضرة قد لا يفهمها، ثم يقرأ كتاباً حول درس العلم عند البحث في القاموس¹⁰. وهذا الذي ركزت عليه هو من باب النفعية والمصلحة، ذلك أن تأخرنا أظهر ضرورة التدريس في كل سنة مادة رئيسية، أبدعت فيها تلك اللغة ولا يُعلَى عليها، شرط أن لا تزيد على مادة واحدة في كل سنة، ونمثّل لذلك: الألمانية في مواد علم النفس/ الفرنسية في مواد علوم السياسة أو الطب/ الإنجليزية في الإعلام الآلي/ الإسبانية في علوم البحار/ الروسية في الصناعة الثقيلة/ اليابانية في هندسة الحواسيب...

سادساً: إجراء دراسات جادة حول صعوبات التعريب ومتابعة الحلول بكل شفافية

لابدّ من طرح العوائق والصعوبات التي سجّلت على عملية التعريب على طاولة النقاش بكل شفافية، ولا نضع العربية موضع التقديس في أنّها لا تعلق بها الصعوبات؛ فهي لغة مثل اللغات الأخرى تحتاج إلى تطعيم وإلى تطوير، والاحتكاك باللغات المعاصرة المنتجة للعلم، ويجب الإقرار بأنّها لغة أدبية علمية إذا وقع الاهتمام بها. وما أوصل الإنجليزية اليوم إلى ما وصلت إليه من تقدّم واستيعاب لمنجزات الحضارة هو متكلموها ومبدعوها والعاملون على ترقّيتها، فاللغة . أيّاً كانت . بريئة من تهمة العجز والتقصير، وإنّما المتهّم الحقيقي هو الإنسان الناطق بها، الذي يتمسك بسلوكات فكرية مدمّرة لطاقاته العقلية وقدراته الإبداعية. ويجب أن نخرج من المعركة الوهمية في قدرة العربية على خوض مجال العلوم عند الحديث عن أزمة التعريب، فالأزمة نفسية لا لغوية، فابن سينا كتب مؤلفاته العلمية بالعربية ومؤلفاته العاطفية بالفارسية، فالعلمية صفة لاصقة باللغة العربية، وهذه مسألة مؤكّدة، فلا داعي للوقوف عندها كثيراً. وما له علاقة بجوهر المصطلح فإنّه ما كان يجب انتظار وجود المصطلح ليتمّ التعريب، فهل انتظر المأمون وجود المصطلحات ليؤسّس بيت الحكمة، أو تكوين مترجمين ليترجم العلوم إلى العربية؟ ولكن لا ننكر أنّ هناك عوائق نابعة من النّحو، ومن القائمين على تدريس العربية، وعوائق المصطلح العلمي، والرموز، والترجمة والكتاب العلمي، وقلة الدوريات، ونقص التشجيع، وضعف النشر الإلكتروني،

¹⁰ محمود فوزي المناوي، أزمة التعريب، ط1. القاهرة: 2005، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص 32.

وغياب الدعم المادي الملائم وقصور حاد في الترجمة، وقلة المراكز المتخصصة في تعريب العلوم... فللقضاء على هذه المعوقات، يجدر بنا اعتماد سياسات محلية تأخذ في الحسبان خصوصيات كل بلد عربي، وسياسات قومية مشتركة يُجمع فيها على الأهداف والغايات الكبرى التي تجمع البلاد العربية في مسألة اللغة. ومن هذا الموقع أرى ضرورة طرح مختلف الصعوبات بالعمل على وضع جدول زمني محلي/ عربي والعمل على إيجاد الحلول المناسبة، ومتابعة تنفيذ تلك الحلول. فالمسؤول عن هذا الفعل يكون مثل الضابط العسكري الذي يصدر القرار ويسهر على تطبيقه، وهذه أزمة فينا، نوصي ونقترح، ونثور ونقدم الحلول، ولا نعمل على متابعة المقترحات، مع أنّ المسألة متعلّقة بأهل المجامع والمؤسسات. ويجب ألا نتجاهل رأس المال العربي في هذه النقطة بدعوته إلى الاستثمار في عملية التعريب حتى يصبح حقيقة واقعة. وإنّ الاستثمار في اللغة أفضل من الأعمال التجارية (البنسة) التي تموت بموت صاحبها. وليكن شعار المستثمر أنّ تقدّم الأمم مرتبط بتشبّثها بأصولها المتمثلة في لغتها، وإنّ كلّ تهاون في الحرص على هذه الأصول مدعاة لتفقهها وتراجعها في كلّ ميادين الحياة. والغرض من هذا هو أن نواصل التعريب قبل أن يأتي علينا التعريب، والمهم أن نبداً فلكلّ حدّث حديث، وإنّ كلّ حديث عن المصطلح أو الكتاب العلمي أو نقيصة من النقائص يأتي موازياً بعد أن تدخل مرحلة التعريب غمارها، علماً أنّ الحلول تخرج من الأزمة.

سابعاً: الاستفادة من التجارب الناجحة والمُخفّقة

نحن الشعب العربي الذي يقدّم العلوم بلغات أجنبية، وكلّ دولة تقدّم العلوم بلغاتها لأبنائها، نَسأل: هل صرنا في مُلك غيرنا؟ إنّ الأمة إذا غلبت وصارت في مُلك غيرها أسرع إليها الفناء (قول ابن خلدون) فهل لا سبيل إلى انتشار لغة يكون أهلها مغلوبين على أمرهم. إنّ السبيل قائم وسهل إذا كان الإيمان باللغة العربية قائماً في النفوس، فهناك تجارب ناجحة تتمثّل في التعريب الشامل في سورية، فالأحرى الاستفادة من هذه التجربة، ولا مانع من تأكيدها وتنشيط النافع منها بقوة، ولا نستحي من الإشارة إلى بعض النقائص التي تلحق بها بين الحين والآخر. وهناك تجارب جزئية حتى في ميدان تعريب الطب، الذي يعدّ أصعب ميادين التعريب في كلّ من العراق

والسودان، وتجربة جامعة العرب الطبية بليبيا¹¹ وهناك تجارب أثبتت أنّ عملية تلقين العلوم بالعربية أكثر نجاعة وفهماً من تعليمها باللغة الأجنبية¹². وهناك بارقة أمل في بعض الجامعات التي بدأت تدرّس العلوم الدقيقة بالعربية بكلّ فروعها، وبخطأ جيّد أثبتت النجاعة والنجاح. كما أثبتت بعض الجامعات العربية نجاح تعريب الطب والصيدلة وطب الأسنان.

ثامناً: الأخذ بالتعريب التدريجي

للتعريب الجزئي أو التدريجي أو السنوي أهمية معتبرة، فقد جرّب في الأردن في تعريب السنتين الأولى والثانية الجامعتين، ونجح لو لم يوقف. كما جرّب في السودان ونجح وأعطى ثمار التعريب العلمي، وتخرّجت الدفعات الأولى المعرّبة في الطبّ منذ سنتين، بعد أن خاضت التجربة (جامعة الجزيرة) ونالت الامتياز على هذا النجاح الباهر. وجرّب التعريب أيضاً في الأقسام الهندسية في الجامعات العراقية ونجح، فهذه خطة جديرة بالدراسة والمتابعة والاقتداء. وعلى هذا فإنّ العدة قائمة في هذا المجال، ونحتاج فقط إلى تأكيد بعض المشاريع العربية التي أعدت في مجال التعريب التدريجي. ولا ننكر أنّ التعريب التدريجي أعطى الثمار البانعة في الجزائر في مرحلة التعليم العام، ويحتاج مسؤولو التعليم العالي إلى استخلاص نقاط القوة منها. "ومن الناحية العملية، هناك اتفاق عربي شامل على وجوب تدريس العلوم بالعربية في مؤسسات التعليم الجامعي والعالي، وهناك برامج متدرّجة وحلول نوعية للمشكلات. وبالطبع لا يوجد حلّ نهائي، ولكن المؤشرات قوية، ويمكن إعداد برنامج عمل شامل ومفصّل من خلال مقرّرات مؤتمرات التعريب، ومؤتمرات مجامع اللغة العربية، ومؤتمرات اتحاد الجامعات العربية وغيرها من الهيئات ذات الاختصاص، إذ مهما قيل في هذا الموضوع فإنّ قوّة الحلول تأتي من أوسع مشاركة ممكنة لأهل الرأي والاختصاص¹³. وإنّ أمر عدم استكمال مرحلة التعليم العالي لمنظومة

¹¹ ينظر: مجلة اللسان العربي. الرباط: 1997، مكتب تنسيق التعريب، العدد الثالث والأربعون.

¹² فايز الرفاعي "الآثار النفسية للتعريب على طلاب الطب بالجامعات الأوربية" مجلة اللسان العربي. الرباط: 1997، العدد الثالث والأربعون، ص 18.105.

¹³ حسام الخطيب، اللغة العربية، القسم الثالث (إصلاح اللغة والتعليم) تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب. سورية:

التعريب يحول دون تواصل المعرفة. ثم إنَّ توطين العلوم بالعربية في البلاد العربية يرفع من القيمة المضافة للغة وللناطقين بها، ولذا فإنَّ تعريب التعليم الجامعي هو قمة الهرم الظاهر، الذي يجب أن يركز على قاعدة واسعة من البنى التي تضطلع بالمهام الضخمة التي يتطلبها هذا العمل لتوطين العلوم باللغة الوطنية، ومن شأن ذلك الرفع "... من مستواها، فالشخص الذي يتعلم أحد العلوم بلغته، يعمل على نقل ما تعلّمه إلى هذه اللغة، أما إذا تعلّم علماً ما بلغة أجنبية فإنّه ينتقل من محيطه الحضاري والثقافي والفكري واللغوي إلى محيط آخر، أدواته لغة أجنبية وفكر وثقافة وحضارة أجنبية، وهو ما لا تقبله أمم لها اليد العليا التي تفرض ثقافتها وفكرها وحضارتها من خلال لغاتها على أمم اليد السفلى¹⁴.

تاسعاً: تفعيل المؤسسات المجتمعية والثقافية

لقد بات على المجمعين أن يعيشوا واقعهم والتعبير بلغة الشعب، كي يحصل التناغم بين المثقف وعامة الناس، فرسالة المجامع في مسألة التعريب، هي ربط العربية بالعصر ومواكبتها لتطور الحياة العلمية بالقدرة على التعبير عن مصطلحاتها، وجعلها لغة علمية واحدة، يتكلم بها المجمعون والخبراء وعامة الشعب. وعلى المجمعين أن يقرنوا بين التعريب الذي يعني إنقاذ العربية من التهميش الحضاري، وبين إقناع اللغة الأجنبية التي هي ضرورة قصوى. وإنَّ استعمالها مكان العربية هو الشيء المرفوض، لأنّه يؤدي إلى إقصاء السواد الأعظم عن حلقة العلم، فهل مجامعنا على هذا الشكل؟ ومن هذه الزاوية نرى منشورات المجامع تتجه إلى اللغة العربية على أنّها لغة القواعد فقط، وتهمل لغة الإبداع والعلم والتقانة والشعر والفنون والحضارة والأسلوب والإيقاع والصورة والقدرة على التعبير. كلنا يعرف أنّ بعض المجامع والمؤسسات الثقافية تعيش في الأبراج العاجية، شحيحة في عطائها كونها تعيش بعيدة عن المجتمع، وربما لأنّ مواردها شحيحة كذلك، وكلنا يعرف أنّها بحاجة إلى إصلاح لغوي، فلا بدّ من ثورة في هياكلها، ومن زلزال عنيف يحرك اتحاد المجامع ليكون في مستوى الاتحاد الذي يجمع على

2004 منشورات وزارة الثقافة، ص 228.

¹⁴ محمود فوزي المناوي، في التعريب والتعريب، ط1. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص 19.

تنسيق الجهود، كما يعمل على التشريع اللغوي الموحد، وهذا ما لم يحصل في اللغة العربية، مع أننا نلمسه في اللغة الإسبانية التي يتكلمها ملايين من البشر، وتتوزع أكاديمياتها في كثير من دول العالم. فهنا يأتي دور المجمع الذي يجب أن يفهم أن التعريب المقصود في هذا الوقت هو المحافظة على اللغة العربية لساناً واستعمالاً، فهو أعم من تعريب المصطلحات إلى اللغة العربية "... وما ينبغي أن يفهم من التعريب باعتباره جزءاً مكملاً لوظيفة الأداء اللغوي، هو أنه يتجاوز مجرد نقل مصطلحات أجنبية إلى اللغة العربية، إلى ما هو أعم وأشمل لجعل اللغة تستمر في حيوتها وديناميتها للتعامل مع كل مستجدات الحياة ومتطلباتها، ونشر الثقافة العلمية، وتوسيع نطاق تداولها بين أكبر عدد ممكن من الناس، لمواكبة صيرورة التطور العلمي على قاعدة النمو الاقتصادي والتنمية الوطنية¹⁵". فالتعريب المرغوب الذي يجب أن تعمل المجامع على تجسيده هو جعل العربية تسجل حضورها في مجتمع المعرفة باعتبارها مطلباً شعبياً وضرورة لتحقيق النهضة العلمية، فلا يمكن أن تقوم للعلم المتميز قائمة، إلا إذا تعلمناه ورسخ في فكرنا بلغتنا القومية وغرست بذرته وترعرعت في أعماقنا، وحرصنا على ترجمة كل جديد فيه ترجمة فورية، وصار منا علماء ينتجون العلم ويضيفون إليه، والتعريب الجامعي استجابةً لطموح الأمة العربية إلى أن يعود إليها مجدها العلمي على أيدي علمائها المعاصرين. ويستطيع الشباب العربي بلغته الأم تمثل ما يدرسون في العلوم البحثية والتطبيقية تمثلاً علمياً قوياً. وتجدر الإشارة إلى خطورة موقع العربية في هذا العصر أمام التقدم العلمي المذهل في مجال العلم والمعرفة الذي نشهده في ثورة المعلومات والحاسب والإلكترونيات والهندسة الوراثية، فما هي برامج وشبكات تطوير اللغة العربية التي أعدها المجمعيون متناسقة؟ مع هذه الابتكارات، بعد أن فرضت قوى السياسة والاقتصاد سيطرتها على أجهزة الإعلام وعلى صنع الثقافة بوجه عام، وعلى القرار السياسي للدول الضعيفة والمتخلفة، ومنه السياسة اللغوية التي تفرض في البلاد العربية؛ حيث يطلب منها التعديل في منظوماتها التربوية، وفرض تحديد الهيئة التدريسية، بل وتفرض المواد ومفردات

¹⁵ عبد الغني أبو العزم "ماذا تعريب العلوم" مجلة اللسان العربي. الرباط: 2002، مكتب تنسيق التعريب، العدد الثالث والخمسون، ص 162.

التدريس، ومن يدرّس هذه المفردات.

الخاتمة

إنّ التمسك بالعربية هو الخندق الأخير للحفاظ على هوية الأمة في عصر العولمة، كما أنّ التمسك بالفصحى أكثر من ضرورة كي لا تتحوّل من لغة إلى لغو، ويجب الحرص على استخدامها لأنّها النموذج، خاصة في البرامج الثقافية والفكرية ونشرة الأخبار؛ لأنّ ذلك يمثل درساً في اللغة قبل أن يكون عملاً إعلامياً، دون الإشارة إلى ارتباط العربية بكتاب منزل أعطاها وحماها وجعلها لغة الثقافة الإسلامية العامة. فماذا عساني أقول في هذا الوقت الذي انقلبت فيه المفاهيم، وعُكست القيم، وماذا أقول في عصر لم يُنصف العربية، فلو أنصفها لكان من المفروض أن تكون هي أداة التداول في كلّ ما يتصل بمجالات الفكر والثقافة والمعارف، وبكلّ حقول التسيير والتوجيه، وكذلك بكلّ دوائر الإبداع والفنون؛ أي كان من المظنون أن تكون هي اللسان التداولي في كلّ خطاب حيّ يتعلّق بما يسمى في الأعراف الإنسانية بعالم الرموز والمجردات، وعندئذ يكون من الطبيعي أن يتخاطب الناس بلهجاتهم المتحقّقة على مدار الزمن الطبيعي، وهو ما يصطلح عليه بعوالم الماديات وما جاورها.

نعيّب لغتنا والعيب فينا، تساهلنا قليلاً وفقدنا الكثير، فأين موقع اللغة العربية التي هي مرآتنا ومستودع تراثنا وديوان أدبنا، وسجلّ مطامحنا وأحلامنا، ومفتاح أفكارنا وعواطفنا ومركز كياناتنا، وعنوان وحدتنا... وربما يبدو هذا الكلام عاطفياً أو من الكل أم المنافع، لكن تؤكّد الدراسات العلمية أنّ العلم كلّ العلم لا يقوم بلغتنا على أوسع نطاق إلا من خلال ذاتنا وأعمالنا التي نقدّمها من أجل ترقية هذه اللغة، فالطريق شاق وطويل، ولا صيغة سحرية لحلّ كلّ الصعوبات إلا بجدية التعريب. لا شك أنّنا نعيش صعوبات، لكن سنخرج من النفق إذا صدقت النيات وشُدّت العزائم، فنحن في عصرنا الحاضر في أزمة التعريب، فلا بدّ من البحث عن مخرج من هذه الأزمة؟

لقد وصلت محنة اللغة العربية إلى أسوأ حالاتها، فأصبح الدفاع عنها فرض عين، ولكن يجب ألا نذرف الدموع في كلّ سنة على صعوباتنا اللغوية والحلّ في أيدينا، ولا أبتغي رفع

التوصيات حول ضرورة تعريب التعليم العالي باعتباره أولوية الأولويات في واقعنا العربي؛ لأنّه لو تصفّحنا ما وصّت به المنظمات منذ ستينيات القرن الماضي لشكّلت لنا مجلّداً، ولعلّ بعض القراء ينظر إلى هذا الطرح على أنه من باب الازدراء . وأعوذ بالله أن أكون من المزدريين . ولكن أطرح هذه الأمور من زاوية التحيز للغتي التي هي قوام شخصيتي، لغتي تاريخية متجدّدة وحيّة وما وجدتُ فحولاً يحمونها، ولا عاصمةً تؤويها وتشرّع لها، وعلى هذا النهج نحتاج إلى تضافر جهود رجال يؤمنون برسالة اللغة العربية، ويطلّعون على تاريخها العريق وينطلقون من وعي حقيقي بماضيها وحاضرها ومستقبلها مما يدعم الموقف ويرفع اللغة والعلم درجات راقية. وأقترح تشكيل مجموعة عمل تنبثق عن الندوة، ترفع تقريراً مفصلاً للسيد مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ويكون الحديث فيه عن:

. تشخيص واقع اللغة العربية.

. الحديث عن ظاهرة التراجع عن التدريس باللغة العربية في التعليم العالي.

. الحديث عن ظاهرة تمكين اللغات الأجنبية في ميادين التعليم العالي في المواد العلمية.

. تقديم الحلول الجريئة للحدّ من هذه الظاهرة.

. وضع جدول زمني لطّي ملف تعريب التعليم العالي.

وآمل من السيد مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر أن تُعقد الندوة القادمة حول "اللغة العربية ودور الحركات الجماعية في ترقّيها"، ودور جمعيات الدفاع عن اللغة في الحفاظ والعمل على نشر اللغة العربية والدفاع عنها داخلياً وخارجياً. ولا يعني هذا أن المؤسسات الثقافية قد أفلست، بل يلاحظ عليها بعض التراخي لاعتبارات بيروقراطية ومالية، والعهدّة إذن على المجتمع المدني الذي عليه أن يقول كلمته في بطاقة تعريفه، وهي اللغة العربية. لأنّ الوضع أصبح لا يطاق، فقد بلغ خطورة كبيرة، لا بدّ من وضع الحدّ لهذا التنازل الفظيع الذي نهدر به اللغة العربية يومياً، فإلى متى سنبقى سُكوتا ساكتين!!!

التحريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

أهمية التعريب في حوسبة اللغة العربية

أ. عمر مهديوي

باحث في اللغويات الحاسوبية العربية

1. توطئة

تتطوي علاقة اللغة العربية بالتعريب على العديد من القضايا التي يصعب الإلمام بها في هذا المقام. لهذا السبب سنكتفي بالحديث عن قضيتين وهما: تعريب الحاسوب، وحوسبة اللغة العربية. أصبح من المؤكد اليوم، أن حوسبة اللغة العربية في جميع مستوياتها الصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية لم تعد مطلباً ثانوياً، بل أضحت ضرورة حضارية ولغوية تفرضها متغيرات العصر الحديث ومقتضياته التي تسير بوتيرة سريعة. ذلك أن ثورة المعلومات شملت جميع أوجه الحياة، والعولمة غزت جميع المرافق ولم يسلم منها حتى الجانب الثقافي الذي يميز فئة من أخرى، وجعلت الخطيئة ما هو مقدس أو محرم أو محذور مرتعاً خصباً للبحث العلمي والتجارب العلمية يتساوى فيها الإنسان والحيوان. وأصبح في إمكان العلوم وتطبيقاتها الإمبريقية والتقنية معالجة الفكر ومحاكاته بواسطته ما يسمى **الذكاء الاصطناعي**، وأن نتعرف أسرار من التجارب الفيزيولوجية والنفسية (البسيكولوجية) والتصوير الإشعاعي، وأن تحدد مجالات اشتغاله من خلال آليات متطورة جداً. ومن ثمة يمكننا القول: «إن التطور التقني (التكنولوجي) الصناعي وأدوات البحث [العلمي] قربت المسافة بين الروحاني والجسماني، وبين الروحاني والمادة، وجعلت الآلة كأنها إنسان جديد، وكشفت عن وجود كوجيطو صناعي يقف مع الكوجيطو الذاتي على قدم

المساواة من حيث المعرفة والقدرة على الكشف والاختراع»¹.

يهدف هذا البحث إلى تحليل العلاقة بين التعريب باعتباره آلية من آليات التنمية اللغوية، والحاسوب باعتباره تقنية حديثة غزت جميع المرافق الحياتية، وفي هذه الحال سنركز على بداية اللقاء بين الآلة واللغة، بوجه عام، واللغة العربية بوجه خاص، ثم سنبين أهم التطبيقات الآلية التي أنجزت في المنظومة العربية، والعوائق التي وقفت للحؤول دون بلوغها المرتبة التي وصلت إليها اللغات الأجنبية، ونخص بالذكر هنا الفرنسية والإنجليزية. وأخيراً سنتوقف عند المطالب الأساسية لتهيئة العربية وتأهيلها حاسوبياً.

2. مقدمة تاريخية

كانت ثقافة العرب قبل الإسلام محدودة جداً، ومع مجيء الإسلام توسعت مدارك الإنسان العربي والإسلامي، فانطلقت الشرارة الأولى للنهضة العلمية. إلا أن الملاحظ عليها أنها انحصرت في حدود العلوم الشرعية واللغوية. ولعل حثثيات المرحلة تسوغ هذا النوع من التوجه المعرفي، إذ إن الأمر كان موجهاً نحو فهم النص القرآني وتفسير معانيه، واكتشاف أسرارهِ وإعجازه. وفي العصر الأموي بدأت المحاولات الأولى للتعريب، بتعريب دواوين الدولة والعملة المتداولة، ومنذ ذلك الحين، ازدهرت اللغة العربية وأصبح متاحاً أمام المتعلم إمكان قراءة اللغة العربية إقراءها.

وقد اجتذب ازدهار الثقافة العربية في الأندلس إعجاب المستعربين، فأقبلوا على تعلمها والاطلاع على إبداعاتها الثقافية بروح المتعلم، لا بروح الناقد. وفي العصر العباسي، أسس المأمون بيت الحكمة لترجمة علوم الآخرين إلى العربية، حيث كان يدفع على ترجمة الكتاب ما يعادل وزنه ذهباً.

أما في العصر الحديث، فقد غدا التعريب ضرورة حضارية ولغوية، لا مفر منها إن أردنا للغة

* هذا البحث نسخة منقحة ومعدلة من ورقة قدمت إلى المؤتمر السنوي الثاني عشر للتعريب" اللغة، والتعليم والتنمية"، دار الضيافة، عين شمس، القاهرة، 26/4/2006

¹ سامي أدهم، الذكاء الصناعي، مجلة كتابات معاصرة ع 28-29 دجنبر 1996، يناير 1997، ص 35.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

الضاد مسابقة تقانة (تكنولوجيا) المعلومات والاتصالات، وولوج عالم الرقمية من بابه الواسع، ومن ثم تقليص الهوية الرقمية بينها واللغات الأجنبية². بل أكثر من ذلك إن أهمية التعريب بمستوياته المختلفة لم تعد منبثقة من الحماية القومية فحسب، بل أضحت التعريب شرطاً أساسياً لتنمية أدوات التفكير وتنمية القدرات الذهنية والملكات الإبداعية. ولهذا فإن تعريب الحاسوب أو بالأحرى تقانة (تكنولوجيا) المعلومات والاتصالات شرط من شروط تحقيق التنمية الشاملة في البلاد العربية.

ما دور التعريب في النهوض بمستوى اللغة العربية حاسوبياً إذن؟ وما المجالات الحاسوبية والهندسية التي تتطلب التعريب؟
تلزم هي القضايا التي سنحاول الإجابة عنها في الفقرات الآتية.

3. العلاقة بين الحاسوب واللغة الطبيعية

في البداية، نشير إلى أن أول لقاء بين الحاسوب واللغة كان في أوائل الأربعينيات، حين انصب الاهتمام على الترجمة الآلية التي وجهت لأغراض عسكرية واستراتيجية، بترجمة الوثائق العسكرية وأرشفتها، وكثيراً ما أخفقت هذه البداية، نظراً لغياب عتاد لساني صوري قادر على استيعاب خصائص النقل من اللغة الهدف إلى اللغة المصدر. وقد تم التغلب فيما بعد على مثل هذه العوائق اللغوية بفضل تطور الأبحاث اللسانية والحاسوبية، وظهور برمجيات خاصة بالترجمة الآلية ونظمها الآلية، إذ توسعت مجالات تطبيقها لتشمل ميادين عدة وفي مقدمتها المجال اللغوي. ولقد تدرج هذا الالتقاء حتى بلغ درجة عالية من التفاعل العلمي والتقني لأسباب عديدة من أهمها:

1. ظهور الحواسيب الفائقة السرعة، والتوسع في نظم الذكاء الاصطناعي الذي تعد آليات التعامل اللغوي من أهم مقوماته، وتطوير قيود الحيز والزمن واللغة لمضاهاة الإيقاع الطبيعي للتعامل

² مهديوي عمر تأهيل اللغة العربية وتهيتها حاسوبياً لمواجهة عصر المعلوماتية والعولمة، الندوة الدولية حول اللغة العربية ومتطلبات التهيء اللغوي معهد التعريب 27-28-أبريل 2006

البشري.

2. بداية ظهور النظم الآلية الجيدة التي تحاكي مهام الخبراء البشريين، مثل الخاصة بتشخيص الأمراض وتقديم الاستشارات الفنية وغيرها.
3. إمكان إكساب النظم الآلية الخلفية اللازمة وذلك باختزال مضمون الخبرة البشرية بكل ما تشمله من معلومات ومعارف ومهارات وأحكام.
4. انتشار الحاسوب وسيلةً للتعليم وخاصة دخوله في مجال تعليم اللغات.
5. التسابق العلمي والتقني بين دول العالم في مجال الترجمة الآلية.

4. العلاقة بين اللغة العربية وبرمجيات الحاسوب

هي بلا شك أهم القضايا لتهيئة المجتمعات العربية لدخول عصر الحوسبة من بابه الواسع. لذا لا بد أن تكون في هذه الحالة منابع البرمجيات منابع عربية، وإلا ظلت هناك فجوة بين العربية والإنجليزية، فقد طغى الأساس الإنجليزي في السابق على تقنيات الحاسوب وكان الجزء الأكبر من البرمجيات بها، وظلت مدةً طويلة لغة وسيطة. العلاقة بين الحاسوب واللغة تبادلية إذن، لأن دراسة اللغة من منظور منطقي قياسي هندسي، تكشف عن أسس علوم اللغة والقدرات اللغوية، وكيفية قيام الذهن البشري بعمليات تحليل اللغة واكتساب الخبرات واسترجاع المعلومات³. وفي الوقت نفسه تسهم اللغة في تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي الذي يسعى لمحاكاة وظائف الذهن اللغوية والقدرات البشرية، وبذلك تكون العلاقة بين الحاسوب ومنظومات اللغة من قبيل تبادل المصالح، إذ أدى هذا التبادل بينهما إلى ظهور علوم جديدة متعددة وتحقيق مكاسب لغوية حاسوبية يعتبرها بعضهم نقلة نوعية أحدثها الحاسوب في مجال التنظير اللغوي خاصة.

إن معالجة اللغة آلياً ووضعها في منظومة كاملة تضم جميع مستوياتها التي سبق ذكرها، يمكن أن تنمي هذه المستويات وتضيف إليها الكثير. وتهدف العلاقة بين اللغة والحاسوب إلى

³ نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، القاهرة، 1985.

تحقيق ما يلي⁴:

- إقامة نماذج حاسوبية لفهم الأداء الشامل لمنظومة اللغة العربية.
 - الاهتمام بنظم الترجمة الآلية بوصفها مختبرات عملية لفهم أداء اللغة العربية وعلاقاتها.
 - تطبيق أساليب الذكاء الاصطناعي على اللغة العربية غير المشكولة.
 - تحليل دقيق لخصائص العلاقة بين اللغة العربية وتقنيات المعلوماتية وتطبيقاتها.
 - إدخال اللسانيات الحاسوبية في الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث العربية.
- ومن ثم يمكن أن يضيف الحاسوب للغة على جميع المستويات ما يلي:

1. المستوى الصرفي:

- أ. الإحصاء الصرفي وما يمكن أن يضيفه للقواعد الصرفية.
- ب. التوليد والتحليل الصرفيان الآليان.
- ج. ضغط النصوص باستخدام الأسلوب الصرفي.
- د. استرجاع النصوص باستخدام الأسلوب الصرفي.
- هـ. تصحيح الأخطاء الإملائية باستخدام الأسلوب الصرفي.
- و. دعم التشكيل الآلي للنصوص.

2. المستوى النحوي:

- أ. التحليل النحوي وتفكيك الجملة لعناصرها النحوية الأولية "مبتدأ، خبر، فعل، فاعل..."
- ب. الإحصاء النحوي وما يمكن أن يضيفه للقواعد النحوية.
- ج. توليد النصوص.
- هـ. ضغط النصوص باستخدام الأسلوب النحوي.
- و. تصحيح الأخطاء الإملائية النحوية.
- ح. عمل التشكيل (ضبط الحروف بالشكل) الآلي للنصوص.

⁴ نفسه، مرجع سابق.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

- ط. تعليم النحو للصغار ولغير الناطقين بالعربية باستخدام الحاسوب.
ك. الترجمة الآلية من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف أو العكس.

3. الفهم الآلي للنصوص:

بعد المعالجات الصرفية والنحوية والدلالية المعجمية والربط بينها، يمكن لبعض الدراسات أن تصل إلى قواعد تمكن من الفهم الآلي للجمل والنصوص. وقد قامت الدكتورة **سلوى حمادة السيد** (من معهد الإلكترونيات في الدقي، الظهير القاهرة مصر) بحل بعض المشاكل على مستوى الجملة البسيطة من قبيل فك اللبس بين الاسم والفعل وإرجاع الضمير لأصله، وحل بعض المشاكل الأخرى للجمل البسيطة.

يمكن أن تعوض الخبرة والمؤثرات الصوتية أيضاً ببعض العلاقات والقوانين فتنتج علاقات استنتاجية. وقد طبقت هذا أيضاً على مستوى الجمل البسيطة.

هناك بعض المحاولات لتطبيق تحليل الأسلوب تحليلاً دلالياً تقوم بها مشاريع أوربية، أحدها مشترك مع قسم بحوث المعلوماتية بمعهد بحوث الإلكترونيات بالدقي.

وقد أفاد الحاسوب في مجال النصوص الأدبية وأساليب الكتابة، بتحليل أساليب الكتاب المعاصرين مثلاً، من حيث أطوال الجمل والمفردات والتراكيب النحوية، واستخدامهم للضمائر والعطف والظروف والجمل الاعتراضية والظواهر اللغوية وغيرها.

5. الأهداف المتوخاة من التطبيقات الآلية

تتخصر هذه الأهداف في العناصر التالية:

- . الارتقاء بالأساليب التعليمية للغة العربية، وعرضها عرضاً مفيداً جذاباً.
. تحليل النصوص الأدبية وحفظ سماتها؛ مما يمكن فيما بعد من توليد نصوص بنفس الصياغة ونفس الأداء.
. قراءة الكتب آلياً، وعمل ملخصات لأهم نقاطها.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

. استعادة المعلومات عن طريق المحادثة باللغة الطبيعية مع الحاسوب ومع شبكات المعلومات.
. ترجمة الكتب والمقالات من جمع اللغات، والاستفادة منها وخدمة قضية التعريب.
ومن ثم يمكن أن يضيف الحاسوب للغة على جميع المستويات:

- جذب الشباب لدائرة البحث والتطبيق والتبصير بدور اللغة القومية وأهميتها.
- . رعاية الطفولة والمرأة والشباب بوصفها نواة لأي تقدم علمي (صحيًا، اجتماعيًا، دينيًا، هويةً).
- . تنبيه البسطاء على خطورة مخططات التعريب بالاستفادة من المجال الإعلامي.
- . دور الإعلام في النهضة اللغوية والعلمية المرجوة.
- . ارتباط سياسة الدولة ومؤسساتها العلمية بدعم اللغة العربية.
- . الاستفادة من الخبرات السابقة والأجنبية للحفاظ على اللغات القومية.

6. منظومة الحاسوب من منظور لغوي عربي

تهدف المعالجة الآلية للغات الطبيعية إلى بناء برامج حاسوبية قادرة على معالجة المعطيات والمعلومات في الأنظمة اللغوية، والتي تخص المستويات الصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية والتداولية. وغني عن البيان، أن المعالجة الحاسوبية للغات قد خطت خطوات كبيرة ورائدة في اللغات الأجنبية كالفرنسية والإنجليزية، بفضل التقدم الهائل الذي شهدته تقانة (تكنولوجيا) المعلومات والاتصال والإعلام، وانتشار استخدام الحاسوب في جميع أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والخدماتية والثقافية، والإقبال اللافت للنظر على شبكة الإنترنت، واهتمام علمائه بخصائص اللغات الطبيعية في صناعة لغات البرمجة المعلوماتية، وهذا الشيء ساعد على تقدم البحث اللساني الحاسوبي والهندسي، ومن ثمة إنجاز برامج تطبيقية تهم الترجمة الآلية، وتعرّف المفردات والجمل وتوصيفها حاسوبياً، وبناء المدقق الإملائي والنحوي، وأنظمة ذكية للغات مستمدة أساساً من تقنيات الجيل الخامس، وإنشاء واجهات للغات ومحركات للبحث على الوب وغيرها مما يتصل بتقنية البحث عن المعلومات، وتخزينها واسترجاعها. فالعربية والحالة هذه، ما تزال دون المتطلبات والتحديات التي يفرضها عصر العولمة والمعلوماتية وعالمية

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

المعرفة، مما يفرض على العرب أفرادا ومؤسسات بذل أكثر ما يمكن من الجهد قصداً للحاق بركب اللغات الأجنبية التي تسير بسرعة فائقة.

يندرج ضمن تعريب الحاسوب الآلي عدة مستويات:

1. تعريب أنظمة التشغيل:

أي جعل الحاسوب يتعامل مع الحروف العربية بوصفها مُدخَلات ومُخرَجات ومعطيات، وهذا هو أس بقية قضايا التعريب. ويتطلب تعريب الحاسوب إجراء تعديلات على هذه الآليات، بحيث يصبح بالإمكان التعامل السليم مع النصوص العربية بكل يسر، وبأدنى صعوبة دون المرور عبر التراكيب المعمول بها سابقاً. ومن الأجدر أن تكون نظم التشغيل مزدوجة اللغة، برغم ما يترتب عن ذلك من مشاكل ومن أهمها تخزين شفرتين، والتوحيد بين الرموز المشتركة، حتى تهون صعوبات الانتقال من لغة إلى أخرى على المستفيد العربي.

2. الشفرة العربية:

إن تمثيل الحروف العربية في الحاسوب كان موضوع اختلاف ونقاش حاد بين لغوي العربية ومهندسي الحواسيب، ولم يتفق العرب على شفرة موحدة إلا بعد سلسلة من الندوات التي توخت توحيد الجهود وتنميط الشفرة العربية. وهكذا فقد طرح تعريب نظم التشغيل مصاعب جمة، نختار منها أن صناعة أنظمة التشغيل تقع تحت رحمة مصنعي العتاد المادي أو مطوري نظام التشغيل، مما ينتج عنه احتكارية في الإنتاج، مدعومة بالبعد التجاري النفعي الذي لا يخدم في شيء أنظمة اللغات الطبيعية الأخرى ومنها العربية.

3. تعريب لغات البرمجة: الواقع والمأمول:

يعد تعريب لغات البرمجة الحاسوبية أحد المطالب الرئيسية التي تتوخى إسقاط الحاجز اللغوي أو اللساني بين المستخدم العربي ونظام الحاسوب. إذ ما زالت جهود تعريب لغات البرمجة قاصرة على ترجمة أوامرها الأساسية. أما المحاولات الرامية إلى استخدام العربية في المعلوماتية على مستويي الإدخال والإخراج فما زالت في بداية الطريق، وتحتاج إلى بذل كثير من العمل

والتطوير؛ والغرض هو إنتاج الأبحاث الأساسية الموجهة لمعالجة اللغة العربية آلياً. إن تعريب التطبيقات لا يلزم له تعريب لغات البرمجة. ذلك أن تعلم لغة برمجة إنجليزية لا يلزم تعلم الكلمات المحجوزة فقط، ولكن يتطلب أيضاً معرفة رسائل الأخطاء. إلا أن استخدام لغة برمجة أجنبية قد يعني شيئاً من التبعية. وبالمقابل هناك رأي آخر يقول: "لماذا إضاعة الوقت في عمل لغة برمجة عربية؟ خصوصاً أنه يمكن عمل تطبيقات آلية عربية دون الحاجة إلى لغات برمجة عربية."

6. البرامج والتطبيقات الحاسوبية

تسعى الشركات بنوعها العربي والأجنبي، والمؤسسات والمعاهد والخبراء والمجامع اللغوية بخطاً حثيثاً للتوصل إلى بناء نموذج لغوي حاسوبي للغة العربية، تجري فيه إعادة صياغة القواعد الصرفية والنحوية العربية بطريقة تناسب أساليب المعالجة الآلية، وتأخذ بعين الاعتبار الخصائص الذاتية للسان العربي المبين، وتستجيب للحاجات الثقافية والاجتماعية والحضارية للأمة العربية. وهكذا فقد أصبح الاهتمام بتقنيات اللغة العربية يتجاوز مرحلة التعريب المباشر السطحي والمعالجة الفنية، إلى مستوى التعريب الحاسوبي بإنشاء تطبيقات حاسوبية تعتمد أساساً على آخر ما توصل إليه علم الاحتمالات وتقنيات الذكاء الاصطناعي.

إن أول لقاء بين اللغة العربية والحاسوب كان سنة 1962 عن طريق معهد التخطيط القومي في مصر، حيث اقتصر الأمر في البداية على إحلال الحرف العربي محل الحرف الإنجليزي في الطباعة. وغير خاف أن بداية الالتقاء بين الحاسوب ونظام الكتابة العربية لم تخل من صعوبات ومعوقات ترتبط ببعض الخصائص التي تتوفر في اللغات الأجنبية وفي مقدمتها الإنجليزية، ولا تتوفر في العربية البتة⁵. وقد تم التغلب على الكثير من مشاكل الكتابة العربية في غضون الأعوام الأخيرة.

⁵ مهديوي، ع، توليد الأسماء من الجذور الثلاثية الصحيحة: مقارنة لسانية حاسوبية دكتوراه في اللسانيات الحاسوبية جامعة الحسن الثاني، في قيد الإعداد.

على مستوى الحرف: فقد انصبت جهود تعريب الحاسوب في المراحل الأولى على حل مشاكل الحرف العربي بدون شكل، سواء من حيث وحدات الإدخال أو وحدات الإخراج، ثم أمكن لاحقاً التعامل مع الحرف العربي المشكول، كما أمكن إظهار جمال الخطوط العربية المتنوعة⁶.

على مستوى الكلمة: عرفت معالجة اللغة العربية آلياً على مستوى الحرف نقلة نوعية ابتداء من سنة 1973، وثلت هذه القفزة النوعية نقلة أخرى، بمرور اثنتي عشرة سنة أي ابتداء من سنة 1985.

وعلى مستوى الكلمة تم التوصل إلى تطوير أول معالج صرفي قادر على التعامل مع الأصول المختلفة لمنظومة الكتابة العربية المشكولة كلياً أو جزئياً، وغير المشكولة البتة. ومن ثمة بدأت المرحلة الجادة للمعالجة الحاسوبية للغة العربية. ويعتبر المحلل الصرفي العربي من أبرز التطبيقات الحاسوبية التي تتجلى فيها خصائص العربية على مستوى المعالجة المعلوماتية، حيث يمكن من توليد جميع الكلمات التي يمكن اشتقاقها من جذر معين، ورد أي كلمة مولدة إلى جذرها المولدة منه⁷.

على مستوى الجملة: برغم وجود بعض المظاهر النحوية والتركيبية التي تقتصر إلى الاطراد في اللغة العربية، كالاستتار والتقدير وتعدد أوجه الإعراب والتقديم والتأخير، فإن المعالج النحوي التركيبي الآلي قد تمكن من تحليل الكلمة نحوياً، سواء أكانت فعلاً أو اسماً أو حرفاً بمعزل عن السياق أو داخل السياق. فإذا كانت الكلمة فعلاً فقد حدد المعالج النحوي صيغته، الماضي والمضارع بأنواعه (المرفوع، المنصوب، والمجزوم) والأمر، وكونه مؤكداً (بالنون الثقيلة أو الخفيفة) أن غير مؤكد، معلوماً أو مجهولاً، مبنياً أو معرباً، وعلامة كل منهما ظاهرة أو مقدرة،

⁶ محمود عوض المراكبي ، تطويع تقنية المعلومات لخدمة العلوم الشرعية ، ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات.

⁷ ينظر النظام الصرفي الحاسوبي لمرآياتي وزملاته، والمحلل الصرفي التوليدي لِيَحْيَى هلال بمختبر المعلومات والعلاج الآلي للغة العربية.

حرفاً كانت أو حركة. كما يوضح المعالج النحوي ضمائر الرفع التي أسند إليها الفعل، ظاهرة كانت أو مستترة، وضمائر النصب المتصلة به واحداً كان أو أكثر الخ. وإن كانت أسماً فإن الحاسوب يعين حروف الأصالة في الأسماء المجردة التي حصل لبعض صيغها حذف أو تغيير، وحالتها من حيث الإعراب والبناء، وعلامة كل منها الخ. وإن كانت حرفاً فالحاسوب يقوم بتحديد وتعيين سابققتها ولاحققتها ووظيفتها الإعرابية، وعلامة بنائها.

وهكذا (إذا كان الحرف العربي قد حظي بالعناية التي يستحقها، وخاصة تحت ضغط الشركات المسوقة لإنتاج المصارييف، فإن معالجة اللغة العربية العربية ككل (الكلمة والجملة) لم تستقطب عناية هذه الشركات، فلم تدرجها في اهتماماتها، وذلك لعدة أسباب أولاً: أنها لم تر ضرورة في ذلك (الحرف كان ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها)، ثانياً: الجهد الكبير الذي تتطلبه معالجة اللغة (وضع خوارزميات)، وأخيراً عدم توفر الإلمام الكافي بخصائص اللغة العربية وإمكاناتها)⁸.

وخلاصة القول إن الجهود الرامية إلى معالجة الكلمة والجملة آلياً لم تكن تسير على قدم المساواة مع معالجة الحرف، فقد حظي الحرف بعناية خاصة سواء من طرف الشركات والأفراد والمؤسسات والمنظمات العربية أو الأجنبية. ثم إن جهود الباحثين ومراكز التعريب في الأقطار العربية قد انصب اهتمامها على البحث في جذور الكلمات العربية وأوزانها.

7. خاتمة

بناءً على ما تقدم نؤكد أن هناك متطلبات ينبغي أخذها بعين الاعتبار من أجل السير قدماً بمحاولات وجهود التطوير في مجالات عتاد الحاسوب وبرمجيته وتطبيقاته، نلخصها في العناصر التالية:

.تنسيق الجهود والخبرات على مستوى الوطن العربي فيما يتصل بصناعة العناصر الأساسية في

⁸ محمد بن سامي، استعمال اللغة العربية في مجال المعلوماتية ، 1996، ص 12

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

العتاد الحاسوبي.

. تشجيع الأعمال التي تنصب على الترجمة الآلية ونظمها الآلية.

. توجيه العناية والاهتمام للتقنيات المعلوماتية المتطورة، ولاسيما الذكاء الاصطناعي والنظم

الخبيرة والمعالجة المتوازنة.

. عدم الاقتصار على التعريب السطحي للغات البرمجة الإنجليزية، وتطوير وبلورة لغات برمجة

عربية أصيلة، تتضمن الوسائل الضرورية للتعامل السليم مع المعطيات العربية.

. إقرار سياسة لغوية موحدة في التعريب في جميع الأقطار العربية تمكن من تجاوز تعثرات

التعريب السطحي.

. توفير الشروط الضرورية واللازمة لتخطيط اللغة العربية حاسوبياً وتهيئتها لعصر المعلوماتية

والاتصالات، وذلك بدعم البحث العلمي، وتوسيع رقعة التعاون والتنسيق وتبادل الخبرات بين

اللغويين والحاسوبيين والمهندسين.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

المراجع:

- سامي أدهم، الذكاء الصناعي، مجلة كتابات معاصرة ع 28-29 دجنبر 1996، يناير 1997
- مهديوي عمر وسلوى حمادة السيد، تأهيل اللغة العربية وتجهيزها حاسوبياً لمواجهة عصر المعلوماتية والعولمة، الندوة الدولية حول اللغة العربية ومتطلبات التهييء اللغوي معهد التعريب 27-28-أبريل 2006.
- مهديوي. ع، توليد الأسماء من الجذور الثلاثية المعتلة: مقارنة لسانية حاسوبية دكتوراه السلك الثالث في اللسانيات الحاسوبية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، 1999.
- توليد الأسماء من الجذور الثلاثية المعتلة: مقارنة لسانية حاسوبية، دكتوراه في اللسانيات الحاسوبية، جامعة الحسن الثاني، في قيد الإعداد.
- محمود عوض المراكبي، تطويع تقنية المعلومات لخدمة العلوم الشرعية، ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات
- محمد بن سامي، استعمال اللغة العربية في مجال المعلوماتية، 1996،
- نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، القاهرة، 1985.

التحريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

نَقَبَاتُ التَّعْبِيرِ أَمْ أَفَانِيْنُهُ وَأَسَالِيْبُهُ؟

د. عبد القادر سلامي

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة تلمسان

1. النَّقْنُ

التاء والقاف والنون أصلان: أحدهما إحكام الشيء والثاني: الطَّيْنُ والحَمَاءُ: فمن الأول: انْقَنْتُ الشيءَ أحكمته، وانْقَانُهُ: إِحْكَامُهُ. وفي التَّنْزِيلِ: «صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ»¹ ورجلٍ تَقَنَ وتَقَنَّ: مُتَقِنٌ لِلْأَشْيَاءِ حَازِقٌ. وَرَجُلٌ تَقَنٌ: وهو الحَاضِرُ الْمُنْطَقُ والجَوَاب. والنَّقْنُ: الطَّبِيعَةُ، والفَصَاحَةُ من تَقْنِهِ: أي من سُوْسِهِ وطَبْعِهِ. و ابنُ تَقَنٍ: رجل كان جيد الرَّمي يضرب به المثل ولم يكن يَسْقُطُ له سَهْمٌ. ومن الثَّانِي: النَّقْنُ: تُرْنُوْقُ الْبَيْرِ والدَّمَن، وهو الطَّيْنُ الرَّقِيقُ يُخَالِطُهُ حَمَاءٌ تَخْرُجُ من الْبَيْرِ، واستَعْمَلَهُ بَعْضُ الْأَوَائِلِ في تَكْدُرُ الدَّمِ ومُتَكَدَّرِهِ. والنَّقْنُ: الطَّيْنُ الَّذِي يَذْهَبُ عَنْهُ الْمَاءُ فَيَنْسَقِقُ. وتَقَنُوا أَرْضَهُمْ، إِذَا أَصْلَحُوهَا بِأَنْ أَرْسَلُوا فِيهَا الْمَاءَ الْخَائِزَ لِنَجْوَدَ، وذلك هو النَّقْنُ.²

2. الْفَن

الفاء والنون أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على تَغْنِيَةٍ، والآخر على ضَرْبٍ من الضَّرْبِ من الضَّرْبِ فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، والجمعُ أَفْنَانٌ وفُنُونٌ. فمن الأول: الْفَنُّ: وهو التَّعْنِيَةُ والاطِّرَادُ الشَّدِيدُ. يقال: فَنَنْتُهُ فَنًّا: إِذَا أَطْرَدْتُهُ وَعَنَيْتُهُ، وَالْفَنُّ: الْعَنَاءُ. وَالْفَنَّانُ: من قولهم: افْتَنَّ الْخِمَارُ بِأُتْنِهِ واشْتَقَّ بِهَا إِذَا

¹ النَّمْل: 88

² ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 1/ 350-351، مادة (نقن) وابن منظور: لسان العرب، 13/ 72-73، مادة (نقن)

أخذ في طَرْدِهَا وَسَوْفِهَا يَمِيناً وشمالاً، وعلى استقامة وعلى غير استقامة؛ فهو يَفْتَنُ في طَرْدِهَا أَقَانِينَ الطَّرْد. ومن الآخر: الفن: الحال، وواحدُ الفنون، وهي الأنواعُ وأجناس الشيء وطرقه وأضرُّه. ومنه الفن وهو العُصْن، وقيل العُصْنُ القُضيبُ، يعني المَقْضُوبُ، والفن: ما تشعَّب منه، والجمعُ أَفْنَانٌ ثم الأَفَانِينُ؛ لأنها تَسْتُرُ النَّاسَ بِأَسْتَارِهَا وَأُورَاقِهَا. وواحدُ الأَفْنَانِ إذا أَرْدَتْ بها الأُورَاقُ فَنٌ، وإذا أَرْدَتْ بها الأَغْصَانُ فواحدُها فَنٌّ. والفنون: الأَخْلَاطُ من النَّاسِ، وإنَّ المَجْلِسَ لَيَجْمَعُ فُنُوناً من النَّاسِ: أي أناساً ليسوا من قبيلةٍ واحدةٍ؛ وفَنُّ النَّاسِ: جعلهم فُنُوناً. والرَّجُلُ يُفَنُّ الكلامَ، أي: يَشْتَقُّ في فَنٍّ بَعْدَ فَنٍّ؛ والنَّفْنُ: فِعْلَكَ. وَرَجُلٌ مِفَنٌّ: يأتي بالعجائب، وأمرأةٌ مِفَنَّةٌ، وَرَجُلٌ مِعَنٌ مِفَنٌّ: ذو عَنِ وَاعْتِرَاضٍ وَذُو فُنُونٍ في الكلام؛ وَافْتَنَّ الرَّجُلُ في حديثه وفي خُطْبَتِهِ: إذا جَاءَ بِالْأَفَانِينِ؛ وَافْتَنَّ في كلامه وَخُصُومَتِهِ: إذا تَوَسَّعَ وَتَصَرَّفَ؛ وَافْتَنَّ: أَخَذَ في فُنُونِ القَوْلِ. وَيُقَالُ: فَنَّنَ فُلَانٌ رَأْيَهُ: إذا لَوَّنَهُ وَلَمْ يَنْتَبِثْ على رأيٍ واحدٍ. والأَفَانِينُ: الأساليبُ، وهي أجناسُ الكلام وطُرُقُهُ. وَرَجُلٌ مُتَفَنِّنٌ: أي ذُو فُنُونٍ. وقال الجوهري (ت358هـ): "أَيُّ أَمْرٍ عَجَبًا".³

والفن: جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة، وهو التطبيق العلمي للنظريات العلمية بالوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف، وخاصة عاطفة الجمال. والفن حضارة يحكمها الذوق والمواهب؛ والفنان على ذلك: صاحبُ الموهبة الفنية، كالشاعر والكاتب، والموسيقي والمُصَوِّر والمَمَثِّل.⁴ والعناء المُفْضِي إلى الإلتقان والإجادة بيِّن.

3. التعبير

العين والباء والراء أصل صحيح واحد يدلُّ على النُّفُوزِ والمُضِيِّ في الشَّيْءِ. يقال: عَبَّرْتُ النَّهْرَ عَبُوراً. ومن باب عَبَرَ الرُّؤْيَا يَعْبُرُهَا عَبْراً وَعِبَارَةً وَيَعْبُرُهَا تَعْبِيراً إذا فَسَّرَهَا وَأَخْبَرَ بِمَا يُوَلُّ إِلَيْهَا مِنْ أَمْرِهَا، وَاسْتَعْبَرَهُ إِيَّاهَا: سَأَلَهُ تَعْبِيرَهَا. وقيل لعابِرُ الرُّؤْيَا: عابِرٌ؛ لَأَنَّهُ يَتَأَمَّلُهَا فَيَتَفَكَّرُ فِي

³ ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 4/435، مادة (فن) وابن منظور: لسان العرب، 13/326-328، مادة

(فنن) والجوهري: الصحاح، 6/31708، مادة (فنن)

⁴ إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، 2/703 مادة (فَن)

أُطْرَافُهَا، وَيَتَدَبَّرُ كُلَّ شَيْءٍ فِيهَا، وَيَمُضِي بِفِكْرِهِ فِيهَا مِنْ أَوَّلِ مَا رَأَى النَّائِمُ إِلَى آخِرِ مَا رَأَى وَهَذَا قِيَاسٌ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى التَّفُؤْذِ فِي كَلَامِهِ فَنَفِذَ الْآخِرَ بِهَا عَنْهُ. وَالْعَابِرُ: الَّذِي يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ فَيَعْبُرُهُ أَيْ: يَعْتَبِرُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ حَتَّى يَقَعَ فَهْمُهُ عَلَيْهِ، وَلِذَا قِيلَ: عَبَرَ الرَّؤْيَا وَاعْتَبَرَ فُلَانٌ كَذَا.⁵ وَمَا حُمِلَ عَلَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ، وَهِيَ: "الكلام الذي يُبَيِّنُ بِهِ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ مَعَانٍ. يُقَالُ: هَذَا الْكَلَامُ عِبَارَةٌ عَنْ كَذَا: مَعْنَاهُ كَذَا"⁶؛ وَقَالَ الْخَلِيلُ (ت175هـ): "وَعَبَّرْتُ عَنْ فُلَانٍ تَعْبِيرًا إِذَا عَيَّ مِنْ حُجَّتِهِ فَتَكَلَّمْتُ بِهَا عَنْهُ"⁷. وَعَبَرَ النَّهْرَ وَالْوَادِيَّ وَعَبَّرَهُ، الْأَخِيرَةُ عَنْ كُرَاعِ النَّمْلِ (ت307هـ): شَاطِئُهُ وَنَاحِيَّتُهُ⁸، وَ"الاعتبار والعبرة"، عِنْدَ ابْنِ فَارِسٍ (ت395هـ) "مَنْ عَابَرَ النَّهْرَ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَبَّرَ لِمَصَاحِبِهِ فَذَاكَ عَبَّرَ لِهَذَا، وَهَذَا عَبَّرَ لِذَاكَ. فَإِذَا قُلْتُ: اعْتَبَرْتُ الشَّيْءَ، فَكَأَنَّكَ نَظَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ فَجَعَلْتُ مَا يَغْنِيكَ عَبْرًا لِذَاكَ: فَتَسَاوَا عِنْدَكَ... قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾"⁹، كَأَنَّهُ قَالَ: انظُرُوا إِلَى مَنْ فَعَلَ فَعُوقِبَ بِمَا عُوقِبَ بِهِ، فَتَجَنَّبُوا مِثْلَ صَنِيعِهِمْ لئَلَّا يَنْزَلَ بِكُمْ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِأُولَئِكَ. وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْقِيَاسِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، قَوْلُ الْخَلِيلِ: عَبَّرْتُ الدَّنَانِيرَ تَعْبِيرًا، إِذَا وَزَنْتَهَا دِينَارًا دِينَارًا قَالَ: وَالْعِبْرَةُ: الْإِعْتَابُ بِمَا مَضَى"¹⁰. وَالْإِعْتَابُ فِي حَاضِرِ لُغَةِ الْعَرَبِ: الْفَرَضُ وَالتَّقْدِيرُ. يُقَالُ أَمَرَ اعْتَبَارِي: مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَرَضِ. وَالْإِعْتَابُ: الْكِرَامَةُ، وَمِنْهُ (فِي الْقَضَاءِ): رُدُّ الْإِعْتَابِ. وَهُوَ مِنَ الْمَوْلَدِ.¹¹

⁵ ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 4/ 207-209، مادة (عبر) وابن منظور: لسان العرب، 4/ 530، 52، مادة (عبر).

⁶ إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، 2/ 580، مادة (عبر).

⁷ الخليل: العين، 2/ 129، مادة (عبر).

⁸ ينظر: ابن منظور: لسان العرب، 4/ 52، مادة (عبر).

⁹ الحشر: 2.

¹⁰ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 209-210/ مادة (عبر) وينظر: الخليل: العين، 2/ 129، مادة (عبر).

¹¹ ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، 2/ 580، مادة (عبر).

4. الأسلوب

ويُقالُ للسَّطَر من النَّحِيل، وكلُّ طريقٍ مُمتَدٍّ، فهو أُسْلُوبٌ. والأسلوبُ: الطَّرِيقُ تَأْخُذُ فيه؛ وهو الوجهُ، والمذهبُ، يُقالُ: أنتم في أُسْلُوبِ سَوْءٍ، ويُجمَعُ أساليبٌ. والأسلوبُ: الفنُّ، يُقالُ: أَخَذَ فُلَانٌ في أساليبِ من القولِ، أي: أَقَانِينَ مِنْهُ.¹² وسَلَكْتُ أُسْلُوبَ فُلَانٍ في كَذَا: طَرِيقَتَهُ وَمَذْهَبَهُ. والأسلوبُ: الفنُّ: يُقالُ: أَخَذْنَا في أساليبِ من القولِ: أي في فُنُونٍ مُتَنَوِّعَةٍ،¹³ وهو ما أُطلق عليه ابن خلدون (ت808هـ) الأداء، فأكد أنه "عبارة عن المنوال الذي يُنسَجُّ فيه التركيب أو القلبُ الذي يُفَرِّغُ، ولا يرجعُ إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، أي النحو، ولا باعتبار إفادته كما المعنى من حَوَاصِّ التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العربُ فيه الذي هو وظيفة العروض، وإنما يرجعُ إلى صورة ذهنية للتركيب المنتظمة كلياً باعتبار انطباقها على تركيبٍ خاصٍّ، وتلك الصورة التي ينتزعها الذهنُ من أعيانِ التركيب وأشخاصها ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال ثم ينتقي التركيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرُصُّها رَصّاً، كما يفعلُ البَنَاءُ في القلب والنساجُ في المنوال حتَّى يَتَسَّخَّ القالبُ بحصول التركيب الوافية بمقصود الكلام يقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي".¹⁴

وهذا يقوم دليلاً على أنَّ المتكلِّم قد يسلك لذلك أسلوباً وطريقة تواصلية يعوزها التطبيق العملي لجملة من القواعد الخاصة للصناعة الكلامية في هذا المقام أو غيره؛ ذلك لأنَّ النظام اللغوي، كما نعلم، أنساقٌ* وأنماطٌ**.

¹² ابن منظور: لسان العرب، 473/1، مادة (سلب).

¹³ ينظر: ابن منظور: لسان العرب، 328/13، مادة (فنن) وإبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، 441/1، مادة (سَلَب).

¹⁴ ابن خلدون: المقدمة، ص569-571.

* أنساق: جمع نَسَق: يُقالُ كلامٌ نَسَقٌ، أي: ما جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعضي، أي نظام التتابع أو التضام فيه. ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 420/5، مادة(نسق).

فالأنساقي: عُرْفِيَّةٌ قد تختلف من لغة إلى لغة، فهي إذن اتِّفَاقِيَّةٌ. فالصِّفَةُ في عرف العربية تأتي بعد الموصوف، نحو قولنا: (الرَّجُلُ فَاضِلٌ)، على حين تتصدَّره في اللغة الإنجليزية (Good man) أي (فاضلُ الرَّجُل). وهي أنماطٌ تنتظم فيها الأصوات والكلمات والتراكيب للتعبير عن المعاني والتجارب والأحداث والمشاعر، فهي صور المفردات، نحو (فَعَلَ، فُعِلَ) وبالنسبة للأسماء (المجرَّد والمزید). فالأنماط إذن: صيغ تَوَاضَعٌ عليها الأفراد في مجتمع ما وتتنتظم فيها الأصوات والكلمات (إذ لا يمكن أن نقول مثلاً في "المَوْقِد" (على وزن مَفْعَل) "تَوَقَّد"، أي أَنَّ كُلَّ حرف يأخذ موضعه المُحدَّد من الصيغة.

وبناءً على ما سبق يمكن أن نجمل مستويات الأداء اللغوي في ثلاثة أمور أساسية، هي:¹⁵

1. الأداء العامي: الذي ينقل ما في الحياة اليومية بتراكيب وأصوات فيها الاضطراب والعُجْمة.
2. الأداء العلمي لنقل الأفكار، ويكون بأصوات وتراكيب تعتمد الصِّحَّة فحسب.
3. المستوى الفنّي لنقل التجارب: ويظهر في أصوات وتراكيب تعتمد الفصاحة والبلاغة، إذ يجب أن نختار الأعراس المناسبة لهذا الفن أو ذاك (ترحّم، أسيّ، رثاء)، وأن نختار التعبير الصحيح البليغ والعبارة المؤثرة قَصْدَ التأثير بأساليب فنية تناسب المقام*** وتعتمد ضوابط

** الأنماط: جمع نمط: وهي الجمل أو الصيغ أو الجماعات. والنَّمَطُ: الطَّرِيقَةُ من الطَّرَائِقِ، والضَّرْبُ من الضُّرُوبِ. والنَّمَطُ: الجماعة من النَّاسِ أمْرُهُم واحد. جاء في حديث عليّ -رضي الله عنه-: (خَيْرُ هذه الأُمَّةِ النَّمَطُ الأَوْسَطُ) فكره الغُلُوّ والنَّقْصِيز في الدِّين. ينظر: ابن الأثير، 119/5، مادة(نمط) وابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 482/5، مادة (نمط) والحديث فيه بتمامه: (خيرُ هذه الأُمَّةِ النَّمَطُ الأَوْسَطُ، يَلْحَقُ بهم الثَّالِي ويرجعُ إليهم الغَالِي).

¹⁵ فخر الدين قباوة: محاضرات في علوم اللغة للسنة الجامعية 1984-1985م.

*** لعلَّ أهمَّ موضوع عرض له أبو الفتح عثمان ابن جني، (ت392هـ) ممَّا يتَّصَلُ بدراسة المعنى، هو الذي يطلق عليه المحدثون "سياق الحال" (ينظر: محمود السمران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص 309-310 وعبدہ الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، ص67 وأحمد عبد الرحمن حماد: عوامل التطور اللغوي، ص156)، أو "السياق الاجتماعي" (ينظر: محمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص 121 ورياض زكي قاسم: المعجم العربي بحوث في المنهج والمادة والتطبيق، ص 254 وأحمد عبد الرحمن حماد: عوامل التطور اللغوي، ص157)، أو ما يعرف في علم الدلالة اليوم باسم "سياق الموقف"؛ وهو ما سمّاه قداما

مشتركة توافق القياس والسّماع.

ملاحظات نقدية:

تلك مزيّة الضوابط القياسية، و"تقنيات التعبير" لا تعدو، في رأينا، أن تكون تعريباً لا يفى بالغرض للشّق الأوّل وترجمةً ميؤوساً منها في الشّق الثاني لعبارة (Technical language) أو (Techniques du langage) أو ترجمة مكافئة لـ (expression Technicals) أو (Techniques d'expression) التي يقابلها في حاضر لغة العرب (تقنيّات التّعبير). فـ (Technique) المفردة تعني في لغة العجم: "كلّ ما له علاقة بالممارسة الفعلية أو الخبرة في

العرب من البلاغيين ب: "المقام"، ففضوا أن يأتي الكلام مؤكّداً للمنكر وجوباً، وللمتردّد استحساناً، كما أوجبوا أن يأتي الكلام خلّواً من التأكيد إذا لم يكن المخاطب منكراً ولم ينزل منزلته وهكذا. (ينظر: محمد محمد يونس: وصف اللغة العربية دلاليّاً، ص 137). وذكر ابن خلدون باسم "بساط الحال". (ينظر: عاطف مذكور: علم اللغة بين القديم والحديث، ص 214)، وهو ما أكّده ابن جنّي قبل فيرث (Firth) حين قال بأنّ المعاني قد لا يُتوصّل إليها إلّا بالظروف التي أحاطت بها؛ ومن ثمّ لا ينبغي أن يكتفى اللغوي بالسماع، بل ينبغي أن يجمع إليه الحضور والمشاهدة، أي كلّ ما يحيط بظروف الكلام. (ينظر: ابن جنّي: الخصائص، ص 1/ 248). فسياق الحال إذن، مجموعة الظروف التي تحيط بالكلام، وجميع القرانن الحالية التي تصبغ الخطاب ودلالته بصبغة خاصّة. وقد أشار فيرث (Firth) إلى أنّ كلّ إنسان يحمل معه ثقافته وكثيراً من واقعه الاجتماعي حيثما حلّ. (ينظر: محمد محمد يونس: وصف اللغة العربية دلاليّاً، ص 102، 139 وشحدة فارغ وآخرون: مقدّمة في اللغويات المعاصرة، ص 183-184). والموقف الكلامي في نظره يقتضي جملة من العناصر أهمّها: شخصية المتكلّم والسماع وتكوينهما الثقافي، وشخصية من يشهد الكلام من غير المتكلّم والسماع إن وجدوا، وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحال الجوّ، والوضع السياسي ومكان الكلام (ينظر: محمود السعران: علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، ص 311 وينظر: عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، ص 167)، وهو ما يوضّحه سياق الموقف، ويمكن تلخيصه في:

1. النّشاط اللغوي للمشاركين
2. النّشاط غير اللغوي للمشاركين (الصّمت والضّك والإشارة)
3. أثر الكلام (هل كانت الاستجابة بالكلام أو بغيره؟). ينظر: محمد محمد يونس: وصف اللغة العربية دلاليّاً، ص 102 وأحمد عبد الرحمن حماد: عوامل التطور اللغوي، ص 156.

تخصّص ما أو أسلوب معالجة التفاصيل الفنية من لدن الكاتب أو الفنّان، أو القيام على آلة ما، أو تطبيق للمعرفة العلمية".¹⁶ ويقابل ذلك في لغة العرب مصطلح "التقنيّة". وهي "لفظة محدثة (ترجع على ما يبدو إلى حدود الثلاثينيات) جاءت بصيغة المصدر الصناعي، أي: إنها مكوّنة من جزأين: صدرٌ هو (تقن)، وعجزٌ هو (يّة)، لإفادة المعنى الذي يُستفاد من المصطلح (Technique) ذي الأصل الإغريقي. فقد جاء في قاموس وبستر أنّ (Techno) من الأصل اليوناني (Technè) بمعنى (Art)، أي: فنٌّ، وهو السبب في أنّ مدلول الكلمة يتّصل دائماً بالجانب الفنيّ التّطبيقيّ الصناعي".¹⁷

ثمّ إنّ مصطلح (تقنيّة) جاء موافقاً في أصواته لما في المقابل الأجنبي. فما أساس هذا الصّوغ؟ أهو تعريبٌ للمصدر (Techn)، أم أنّه لفظٌ عربيٌّ الأرومة، وإن كان محدث الصياغة؟ من المعروف أنّ صيغة المصدر الصناعي إنّما يلجأ إليها حين لا يكون مصدر صريح، فيؤتى باسم جامد يُضاف إلى اللّاحقة (يّة) لتكوّن المصدر المطلوب.¹⁸ والصفة (تقن) هي صفةٌ مشبّهة، لا علاقة لها بالمعنى المصدري، ولا تُفيد صوغ مصدرٍ صناعيٍّ وفقاً للقاعدة المعروفة، إذ من النّادر أن يُصاغ مصدرٌ صناعيٌّ باستخدام صفة، اللهمّ إلّا ما جاء من لفظة (الجاهلية) و(الحرية).¹⁹ كما يُستفاد من حصيلة المناقشات السابقة أنّ مجيء الصّفة من مادة (تقن) على (تقن)، وهي صيغة قليلة الوجود في باب الصّفة، (نحو: تقنٌ للحذق، وعِفْرٌ للشّجاع الجَلْدُ، * وفُلاَنٌ عِلْقٌ ** عِلْمٌ: متعلّق به)، وإن كانت كثيرةً في الأسماء والمصادر، نحو: ذنّبٌ، وبِئْرٌ، وحِمْلٌ

¹⁶ Le Petit Larousse, p 994

¹⁷ عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنيّة، ص 317-318.

¹⁸ ينظر: فخر الدين قباوة: تصريف الأسماء والأفعال، ص 154-155.

¹⁹ ينظر: ابن النّاطم، ص 444 و فخر الدين قباوة: تصريف الأسماء والأفعال، ص 154-169.

* من العلق: وهو: العشق، يُقال: بفلانٍ علقٌ من فلانة أي عشقٌ و كلفٌ وعشقٌ. والعلقُ من المشترك اللفظي.

ينظر: أبو العَمَيْتِل الأعرابي: المأثور من اللغة، ص 64.

** ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، 95/2، مادة (العفر).

وعَجَلٌ. وقد يُوصَفُ بالمصدر فيقال: (قَوْمٌ وَرَدٌ)، أي واردون، لكنَّه يبقى مصدراً.²⁰

وعلى ذلك لانرى أنَّ لكلمة (تَقْنِيَّة) علاقةً بأصل عربي، على الرِّغم من الإيحاء الصَّوتي والدلالي، فهي لا تعدو أن تكون ضرباً من المصادفات السَّعيدة ولا شكَّ. والأرجح أنَّ الكلمة معرَّبة، وأنَّها على وزن الكلمة العربية، ثمَّ غيَّرت الكاف إلى القاف، وألحقت بها لاحقة المصدر الصَّناعي، فصارت الكلمة (تَقْنِيَّة) ذات الملامح العربية، كما في نحو (نِسْوة) التي تؤوَل إلى (نِسْوية) ومن الوزن نفسه (عِربة). وهذا هو الشَّكل الذي ينبغي في تقديرنا أن تُنطَق به باعتبارها كلمة عربية بالتعريب، لا بالأصالة، وإن اتَّصلت في وجهها الدلالي الذي تستعمل فيه حديثاً بالحق والمهارة، أي بالجانب الفنِّي من النِّشاط الإنساني، ورَّما كان هذا هو الذي دفع مؤلِّف (المورد) إلى أن يُترجم كلمة (Technician) أو (Technicien) بكلمتي (النَّقْن والفنِّي)، استسعاراً منه بوجود العلاقة الظَّاهرة فاعترف بها في هذه المقابلة. ولا بأس بعد ذلك من مخالفة مصطلح (تَقْنِيَّة) لقياس ما تقرَّر من أمر المقابل الأجنبي للمصدر الصناعي العربي هو الكلمات التي تنتهي باللاحقة (ism) في الإنجليزية و(isme) في الفرنسية، إذ يجوز خُروج بعض المفردات عن حكم قاعدة وضعت على أساس أغلب الحالات، لا على أساس الاستقراء والتقصِّي.²¹

أمَّا (Language) أو (langage) فهو في عرفهم: "مَلَكَةٌ خاصَّة بالإنسان للتواصل والتعبير عما ما يدور بخلده بوساطة الصَّوت أو الصُّورة".²² ويقابلها في لغة العرب: اللغة: أو اللِّسان (Language) أو (Langue). أمَّا الأولى فهي "فُعْلَةٌ من لغوت، أي تكلمت، وأصلها: لُغوة... وقالوا فيها لُغات ولُغون... وقيل منها: لَغِي يَلغى: إذا هذى، ومصدره: اللَّغَا... وكذلك اللَّغُو، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾،²³ أي بالباطل، وفي الحديث: (من قال يوم

²⁰ عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتَّقْنِيَّة، ص 319.

²¹ ينظر: عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتَّقْنِيَّة، ص 319-321 وعمر أوكان: اللغة والخطاب، 2001م،

ص 66-67.

²² Le Petit Larousse, p 585.

²³ الفرقان: 72.

الجمعة: صَـةٌ، فقد لغا)،²⁴ أي تكلم".²⁵

أما حدّها، فقد عرّفها ابن جني (ت392هـ) بقوله: "هي أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"²⁶ فأكدّ بذلك الطبيعة الصوتية للغة، ودلّ على أنّها ظاهرة اجتماعية، لا يتوقّر على إحداثها واضع معيّن، وإنّما نشأت بسبب حاجة الإنسان إلى التعبير والتفاهم مع بني جنسه.

وأما الثانية، فهي اللّسان أو اللّسن في اللسان العربي: جَوْدَةُ اللّسان والفصاحة. واللّسان واللّسن: اللغة. يُقال: لكلّ قوم لسنّ، أي لغة.²⁷ وقرأ ناسٌ: «وما أُرسلنا من رُسُولٍ إلّا بِلِسْنِ قَوْمِهِ لِيُبيِّنَ لَهُمْ»²⁸ في قوله عز وجلّ: «وما أُرسلنا من رُسُولٍ إلّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبيِّنَ لَهُمْ»²⁹.

واللسان في الفرنسية بالمعنى نفسه. غير أنّ اللسان بمعنى اللغة يعدّ من باب الاستعمال المجازي، المتفرّع عن دلالاته الحقيقية بمعنى العضو المعروف في الفم، سواء في ذلك العربية والفرنسية، والأمر لا يختلف في الإنجليزية بالنسبة لكلمة (Tongue).³⁰

²⁴ البخاري: صحيح البخاري، 6/2 والنسائي: سنن النسائي، 84/3.

²⁵ ابن جني: الخصائص، 32/1.

²⁶ المصدر السابق، 33/1.

²⁷ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 247/5، مادة (لسن).

²⁸ وهي من القراءات الشاذّة، وهي قراءة أبي السّمال، وأبي الجوزاء، وأبي عمران الجوني. ينظر: العكبري: إملاء ما من به الرحمن، 66/2.

²⁹ إبراهيم: 4.

³⁰ عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام، ص23.

أما ما يتَّصلُ بكلمة (expression) الدَّالَّةُ في لغة العجم على: "العِبَارَةُ والفعل التعبيري نفسه وطريقة التعبير وأسلوب الرَّجُل فيه نُطْقاً أو كِتَابَةً"³¹، فيمكن أن يُكافئَ لفظ "التَّعبير" في اللِّسان العربي، وهو تعبيرٌ في رأينا لا يقوى على النِّفاذ إلى أغوار الشَّيء والإِعْرَابِ عَمَّا في النَّفْسِ دون حُبْسَةٍ تذكّر، وما يَسْتَتِيعُ ذلك من أسباب الفصاحة المرغوب فيها، وهذا الأمر يُحَقِّقُه المصطلح العربي، دون الأجنبي، بامتياز.

وأنت تلحظ مدى مُجانبة الترجمة للصَّواب فيما تقدّم من أمر (Language) أو (Langage) و(Langue) بمعنى اللغة أو اللِّسان، أو محاولة قياس النُّظير على النُّظير في أمر (التَّعبير) و(expression) بما يمثِّلُ هُروباً صريحاً من الصِّياغة ناتجاً عن الجهل بالمعنى، إضافة إلى كونه مرحلة فرضتها حداثة المصطلح والتسرّع إزاءه في إيجاد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي تحت وطأة مُسايرة الرِّكب الحضاري. وهو أمرٌ نبّه إليه الأسلاف وحذّروا من مغبّته؛ "فقد قال أبو بكر بن السَّراج (ت 316هـ) في رسالته في الاشتقاق، في (باب ما يجبُ على الناظر في الاشتقاق أن يتوقَّاه ويحترس منه): ممّا ينبغي أن يَحذَرَ منه كلُّ الحَذَر أن يَشْتَقَّ من لغة العرب لشيءٍ من لغة العَجَم، فيكون بمنزلة من ادّعى أن الطَّيْرَ وَلَدَ الحُوت".³² فإذا صدق ذلك على اللفظ فالمعنى به أولى.

وخلاصة القول: إنّ الإِتقان: إجادة وإحكام، ومهارةٌ وأسلوبٌ، والتعبير عن كلّ ذلك نُفُودٌ إلى أغوار الشَّيء وإِعْرَابٌ وإِبَانَةٌ عَمَّا في النَّفْسِ؛ وإنَّ أفانينُ التعبير تعني: طرقه وأساليبه التي هي دائمة التَّلَوُّن والانتقال من حال إلى حال؛ لأنَّ المعبرَ قد يعيى بحجّته فيحتاج إلى من يَنُوب عنه في النِّفاذ إلى معنى الشَّيء ويفسّره. لذا، فإنَّ عبارة أفانين التعبير أو أساليبه أوقع جَرَساً من تَقْنِيَةِ التعبير التي استحالت تَقْنِيَاتٍ، وأقوى دلالة، عمّا في أيدي النَّاسِ عُرباً وأبعد ما تكون عمّا في أيدي غيرهم من العَجَم.

³¹ Le Petit Larousse, 413.

³² الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي، ص 51-52.

على أنَّ العوْدَةَ إلى التُّراث لا يُمكنُ لها أنْ تكونَ . في تقديرنا . مجردَ عَوْدَةٍ " مَعْرِفِيَّة " أو " وصفية " فحسب، وإنَّما . في موازاة ذلك أو ربَّما قبل ذلك . عَوْدَةٌ " معيارية " ولذلك، فإنَّه من الأكيد أنْ يتداخلَ . ضمن هذه العَوْدَةِ التُّراثي بغير التُّراثي، وهذا الأمر لا يَنْبَغِي أنْ يَنْفِي أهميَّة الاستئناس بالمناهج المعاصرة والفكر القرائي، وما يرتبط بهما من مفاهيم خاصَّة تفي بالغرض.³³

³³ ينظر: يحيى بن الوليد: التراث والقراءة، ص6.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

المصادر والمراجع

آ. العربية :

- * القرآن الكريم.
- * ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1386هـ-1963م.
- * ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.
- * ابن خلدون، عبد الرحمن محمد: مقدمة ابن خلدون، ط2، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، 1416هـ-1996م.
- * ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الفكر.
- * ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، 1412هـ-1992م.
- * ابن النّاظم، أبو عبد الله بدر الدين محمد: شرح حاشية ابن مالك، تحقيق عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت.
- * أبو العَمَيْل، عبد الله بن خليل الأعرابي: المأثور من اللغة ما اتفق لفظه واختلف معناه، تحقيق محمد عبد القادر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1408هـ . 1988م.
- * أبو الفرج، محمد أحمد: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ط1، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، 1966م.
- * أنيس إبراهيم و منتصر عبد الحليم والصوالحي عطية، وأحمد محمد خلف الله: المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت.
- * أوكان، عمر: اللغة والخطاب أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2001م.
- * البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، مطابع الشعب، القاهرة، 1378م.
- * الجوهري، إسماعيل حماد: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1404هـ-1984م.
- * حماد، أحمد عبد الرحمن: عوامل التطور اللغوي دراسة في نمو الثروة اللغوية، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983م.
- * خليل، ابن أحمد الفراهيدي: العين، تحقيق مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإرشاد، العراق، 1981م.
- * الراجحي، عبده: فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

- * السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. شاهين، عبد الصبور:
- العربية لغة العلوم والتقنية ، ط2، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، 1406 هـ . 1986م.
- في علم اللغة العام، مديرية الكتب والمطبوعات بجامعة حلب، 1981-1982م.
- * شحدة فارح، شحدة وعمايرة، موسى، وحمدان، جهاد والعاني، محمد: مقدمة في اللغويات المعاصرة، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، 2000م.
- * العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله: إملأ ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1399 هـ . 1979م.
- * الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الجبل، بيروت.
- * قباوة فخر الدين:
- محاضرات في علوم اللغة، ألقاها على طلاب الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة حلب للسنة الجامعية 1984-1985م.
- تصريف الأسماء والأفعال، ط2، مديرية المطبوعات الجامعية، جامعة حلب، 1401 هـ . 1987م.
- * مذكور، عاطف: علم اللغة بين القديم والحديث، دار الثقافة، القاهرة، 1986 م.
- * النسائي: أبو عبد الله عبد الرحمن بن شعيب: سنن النسائي (ومعه زهر الربى على المجتبى لجلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي)، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1964-1965م.
- * يونس، محمد محمد: وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، لمحمد محمد يونس علي، ط1، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا.

ب. الأجنبية:

* Le Petit Larousse-Larousse-Paris-Cedex06,2003.

التحريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

اللغة العربية والمستوى العلمي للطلاب

د. عبد الرزاق السباعي

طبيب الداخلية وأمراض الكلى

اللغة أداة التفاهم والتواصل بين الناس، ووسيلة التعلم والتعليم، ووعاء العلم والمعرفة، فالطفل الوليد يبدأ في تعرّف عالمه الجديد بما تقع عليه عيناه من شخوص أو أشياء، وما تسمعه أذناه في نفس الوقت من أسماء أو أوصاف تستقر في ذهنه وذاكرته باللغة التي ينطق بها من حوله أياً كانت هذه اللغة. وتمضي الشهور والسنون، ويصير الوليد صبيّاً فيافعاً فكهاً، وتتنامى حصيلته من المعارف والمفردات، ويتطور عقله وتتعاظم قدرته على التفكير والتعبير مستعملاً في ذلك ما مر به من دروس مكتسبة باللغة الأم التي رضعها ونشأ معها، حتى أصبح له عقل يفكر ولسان ينطق؛ فاللغة ليست منظومة لتوليد الأصوات الناقلة للمعنى فقط، بل هي مرآة للعقل وأداة للتفكير، وهي على مستوى الفرد مدخل معرفته ومخرج تعبيره وأداة تفاهمه، وعلى مستوى الجماعة نسيج حي للحضارة والثقافة، والقاسم المشترك بين أفراد المجتمع يتبادلون فيها المعارف بسهولة ويسر.

ولا يمكن تحقيق ذلك على النحو الأمثل دون استخدام اللغة الوطنية أداة للتفاهم بين الجميع(1)، وبناء على ذلك أوصت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) باستعمال اللغة الوطنية في التعليم إلى أقصى درجة ممكنة؛ فليس للعلم لغة واحدة تستوعبه دون سائر اللغات، فاللغة إنما هي وسيلة توصيل العلم؛ واللغة الحية أجدر في القيام بهذه المهمة. ولا ينكر أحد أن اللغة العربية هي سيدة اللغات، وأكثرها حياة ومرونة، فهي لغة القرآن ومستودع الشريعة(2)؛ وقد جعل الله تبارك وتعالى للنسيج اللغوي العربي خصوصية لا يمكن أن يحس بها

المرء في غير اللغة العربية، جمالاً وبياناً وإيقاعاً، وهي قادرة على استيعاب العلوم مهما تنوعت، فلا يمكن للغة التي اختارها الله لتكون لغة القرآن الكريم أن توصف بالعجز أو القصور، إذ المفروض فيها - وهي تصاحب رحلة الإسلام عبر كل زمان وكل مكان - أن تستجيب لكل جديد يطرق أبواب الحياة، وتستوعب كل متغير يصيب المجتمعات، فلا يعقل أن يختار الله تبارك وتعالى لغة قاصرة ضعيفة، وإن كان هناك من عيب فهو فينا نحن، وليس في اللغة(3)، ثم إذا كانت اللغة العربية ضحلة مجدبة فما الذي دعى ابن سينا والفارابي والطبري والرازي والطوسي والأهوازي للتأليف والدراسة والبحث باللغة العربية، مع أن أصولهم غير العربية ثابتة؟ أفكان هؤلاء جميعاً يتحولون من الإنتاج بلغتهم الأصلية إلى العربية لو لم تكن العربية قادرة على استيعاب أفكارهم؟! (4).

وقد ظلت اللغة العربية صامدة طوال أربعة عشر قرناً، لم تستطع لغة أن تترجحها وتحل محلها؛ إلا أن أعداء الأمة العربية والإسلام نجحوا في التشكيك بصلاحية هذه اللغة للحياة في فترة من فترات الضعف، عندما غزا الأرض العربية والفكر العربي، وفرضوا لغتهم على البلدان التي استعمروها، ثم رحلوا تاركين وراءهم أبواباً ما زالت تعزف ألحانهم وتجتر أفكارهم؛ وإن نظرة إلى الجدول التالي حول اللغات المستخدمة في تعليم العلوم الصحية والطبية في بعض دول العالم . وخاصة العربية (1) ونظرة تأملية في دراسة نشرتها منظمة الصحة العالمية عام 1988 عن لغة التدريس في كليات الطب في دول العالم(5) تبين أن الدول التي خاضت تجربة الاستعمار - ويقع أكثرها في آسيا وأفريقيا - تدرس الطب بلغة المستعمر الذي غزاها؛ فدول المغرب العربي تعتمد اللغة الفرنسية، على حين تعتمد بعض دول المشرق العربي (مصر والعراق والسودان سابقاً) اللغة الإنكليزية، ويعتمد الصومال اللغة الإيطالية -، وكلها لغات المستعمر الذي ساد البلاد مدة من الزمن. وتبقى سورية الدولة الوحيدة التي لم تتأثر بلغة المستعمر برغم حملات ومحاولات التنريك والفرنسة(6).

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى/ حزيران 2007

جدول يبين اللغات المستعملة في تعليم العلوم الصحية والطبية في بعض البلدان العربية:

اللغة	البلد
الإنكليزية والعربية	الأردن
الإنكليزية (والعربية)	الإمارات العربية المتحدة
الإنكليزية (والعربية)	البحرين
الفرنسية	تونس
العربية والإنكليزية	الجمهورية العربية الليبية
العربية فقط	الجمهورية العربية السورية
الإنكليزية والعربية	الجمهورية اليمنية
الفرنسية	جيبوتي
الإنكليزية والعربية	السودان
الإيطالية والصومالية	الصومال
الإنكليزية والعربية	العراق
الإنكليزية	فلسطين
الإنكليزية والعربية	قطر
الإنكليزية	الكويت
الإنكليزية والعربية والفرنسية	لبنان
الإنكليزية والعربية	مصر
الفرنسية	المغرب
الإنكليزية والعربية	السعودية

ففي مصر أنشئت أول كلية طب عام 1827 م، واستمر تعليم الطب فيها باللغة العربية نحو 60 سنة إلى أن جاء الاستعمار البريطاني وحوّل التعليم إلى اللغة الإنكليزية. أما في بلاد الشام

فقد أنشئت عام 1866 الكلية السورية الإنجيلية في بيروت (وأصبحت الجامعة الأمريكية اليوم) وأنشئت عام 1883 مدرسة الطب اليسوعية، وكان الطب يعلم فيهما باللغة العربية إلى أن غزا الاستعمار لبنان، فتحول تعليم الطب في هاتين الكليتين إلى الإنكليزية والفرنسية(7).

إن اللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم حالياً كما استوعبتها سابقاً، والتاريخ يقدم الأدلة على ذلك، وهي اللغة التي استوعبت التشريع كله، وإن كل ما يستجد حالياً من مصطلحات لا يقوم سبباً لترك اللغة كلها، واللجوء إلى لغة أخرى، فهذه دراسة أجراها الأستاذ الدكتور زهير أحمد السباعي في كلية الطب بجامعة الملك فيصل تبين أن نسبة المصطلحات الطبية في كتب الطب لا تزيد على 3,3% من مجموع الكلمات، فهل ندرس 96.7 بلغة أجنبية من أجل 3.3% - هذا غير معقول طبعاً(7) وهل يصدق عاقل أن المرء يعجز عن أن يستعمل لغته الخاصة في التعبير عن أفكاره بأي مناسبة وأي موضوع؟(8) وهل هناك أمة غير أمتنا العربية، يباهي أبنائها بأنهم يتحدثون في حياتهم اليومية بلغة أجنبية؟ ثم هل يعقل أن نهرب من لغتنا وهي لغة القرآن الكريم، وما من مجتمع على وجه الأرض قدر له أن يفتح أبوابه لدعوة الإسلام إلا أحس من آمن به من أبنائه حاجته إلى تعلم اللغة العربية، لتكون له عوناً على قراءة القرآن وفهمه والتعبّد به، فعكف المسلمون من كل جنس ولون على اللغة العربية يتعلمونها ليتفقهوا في الدين الإسلامي(3) ولاشك أن التعليم باللغة العربية سيزيد من تراثها - ومن انتشارها أيضاً.

وما العودة إلى التدريس باللغة العربية إلا عودة إلى الطريق الصحيح والعهد القديم، وإلا تخلص من الحالة الشاذة التي يعيشها العالم العربي، فكل دول العالم تقريباً تدرس وتعلم بلغتها الوطنية، حتى الدول الصغيرة منها كالسويد ورومانيا، وحتى اللغات المنسية وشبه المنقرضة منها، فما هي دولة الكيان الصهيوني - التي استقدمت أبنائها من جميع دول العالم، كل منهم ينتمي إلى دولته التي نشأ فيها، ولايجمع بينهم إلا اليهودية (أو على الأصح الصهيونية) - قد جمعت شتات لغتها وجعلت منها مناهج لمدارسها، فالعلوم في جميع الكليات والمعاهد في الجامعة العبرية لا تدرس إلا باللغة العبرية(3).

ولن يكون العرب بدءاً بين الأمم إن أرادوا اتخاذ اللغة العربية لغة التعليم الجامعي، فالأمم

المتقدمة وغير المتقدمة سلكت هذا السبيل بعد أن أيقنت أن الطالب الذي يتلقى علومه بلغة غير لغته الأم يصاغ فكراً وثقافة من خلال هذه اللغة الغريبة، ونحن العرب حينما ننادي بالتعريب، فأملنا هو السعي للاتصال بالعلوم المعاصرة وتمثلها ضمن إطار من لغتنا العربية، وفي هذا أخذ عن الغرب دون الانصهار فيه حفاظاً على هويتنا من الضياع. ويوم تكون لغة العلم غير لغة الثقافة تصاب الأمة بفصام فكري، كهذا الذي يلاحظ في بعض المجتمعات وعند بعض خريجي الجامعات(9).

لكن هل من فوائد تجنى حين يسعى الجميع - بما فيهم اليونيسكو - للتعليم باللغة الوطنية؟؟ هذا ما سنحاول إثباته بفضل شهادات من علم باللغة العربية، وذلك بعرض تجاربهم واستباناتهم، وبالرجوع إلى من تعلم بها أيضاً.

فوائد التعليم باللغة العربية للمعلم:

تبين في دراسة أجراها الأستاذ الدكتور أسامة رسلان من مصر على أساتذة الجامعات المصرية أن 60% من الأساتذة يرحبون بالتدريس باللغة العربية، مؤكدين أيضاً أن ذلك لا يحتاج وقتاً أطول لتوصيل المعلومة، بل يختصر الوقت مع الممارسة والتدريب(10).

ولاحظ الأساتذة في الجامعات السودانية أنهم أصبحوا، بعد تعريب الطب، يكملون تدريس المقررات في زمن أقصر مما أتيح لهم في الجدول الدراسي، وهذا مما مكنهم من التوسع في عرض المادة العلمية والتعمق فيها. وترى الغالبية العظمى منهم أنهم يستطيعون توصيل المعلومة بطريقة مفهومة وواضحة، وأن هذا أكثر فائدة ونفعاً للطلبة، وأسهل لهم للمشاركة في حركة التأليف والترجمة(11)، وهذا نابع من قدرة المعلم (وأي شخص) على أن يعبر عن أفكاره بلغته الخاصة بطريقة أسهل وأسرع، فبدلاً من أن يجمع أفكاره باللغة العربية ثم يترجمها في ذهنه إلى اللغة الأجنبية ليتلقاها المتعلم باللغة الأجنبية ويترجمها في ذهنه إلى اللغة العربية، يجري نقل المعلومة من المعلم إلى المتعلم مباشرة.

ويوفر التعليم باللغة العربية الفرصة للمعلم لشرح أفكاره بطريقة أفضل، فيستعمل الكلمة المناسبة في المكان المناسب، في حين قد تعجز اللغة الأجنبية عن ذلك، فمثلاً كلمة Time الإنكليزية قد تعني الزمن وقد تعني الوقت، ومعلوم أن الوقت غير الزمن، فالوقت حد زمني، وحد مكاني أيضاً، فهناك مواقيت زمانية كمواقيت الصلاة، وهناك مواقيت مكانية كمواقيت الحج، أما الزمن فهو هذا الكم المتصل من الأبد إلى الأزل، فلا يقول أحد لأحد ما الزمن؟ وهو يستفسر عن الوقت، وكما نلاحظ لا يراعي المصطلح الأجنبي هذا الفرق الدقيق (11).

وإضافة للقدرة على إيصال المعلومة الصحيحة الدقيقة، لاحظ الأستاذ الدكتور رؤوف محمود سلام (12) أن الوقت اللازم للقراءة يختلف عند المعلم من لغة إلى لغة: فقد قرأ مقالين يُنشران باللغة العربية في صحيفة الأهرام، ويُنشر لهما ترجمة كاملة باللغة الإنكليزية في صحيفة الأهرام الأسبوعية؛ قرأ المقال الأول بالإنكليزية أولاً ثم بالعربية، وقرأ المقال الثاني بالعربية أولاً ثم بالإنكليزية وحصل على النتائج التالية:

المقال الأول: زمن القراءة 13 دقيقة بالإنكليزية

9.3 دقائق بالعربية

المقال الثاني: زمن القراءة 8.57 دقائق بالإنكليزية

7.5 دقائق بالعربية

وبتحليل النتائج يتبين أن هناك اختصاراً للوقت بمعدل 27% في المقال الأول، و 13 % في المقال الثاني أي متوسط الكسب 20 %.

ولا يخفى على أحد أن التعليم باللغة العربية سيتبعه ترجمة إلى اللغة العربية، ثم تأليف باللغة العربية، وبذلك يكتب المؤلف ما يتناسب مع ثقافته وتراثه ومجتمعه. فالكتب الأجنبية تبرز المبادئ والثقافة السائدة في بلدان مؤلفيها، والتي قد تتنافى مع مبادئنا، فمثلاً: فقه الصحة مجال واسع في الطب لا يمكن أن نجده إلا في الكتب التي ألفها أطباء أو علماء لبلدانهم العربية والإسلامية.

كما سيؤدي التأليف باللغة العربية إلى اطلاع المؤلف على التراث العلمي الزاخر للعلماء

العرب والمسلمين، إذ يتجاهل المؤلفون الأجانب هذا، فلا يدرسونه في مناهجهم ولا يذكرونه في كتبهم. وبذلك يتصل المعلم - والمتعلم - بجذوره العميقة ويحاول استعادة مجده الغابر، إضافة إلى أن ذلك يمدّه بالمصطلحات والمفردات العلمية المناسبة، ويزيد من إيمانه بمقدرة اللغة العربية ومرونتها وطواعيتها لاستيعاب كل ما يستجد في مجال المعرفة الإنسانية عامة والطب خاصة(13).

وأخيراً: يوفر التعليم باللغة العربية الفرصة لتنوع مصادر المعرفة بدلاً من الاقتصار على لغة واحدة، والتجربة السورية خير دليل على ذلك، حيث يتعلم الطالب باللغة العربية ثم يتجه إلى أي مكان في العالم (أمريكا، بريطانيا، فرنسا، روسيا، كوبا، أسبانيا...) وينهل من علومه ثم يرجع معلماً باللغة العربية، وبذلك تتمازج المدارس وتتعاقد الخبرات.

فوائد التعليم باللغة العربية للمتعلم:

في دراستين أجريتا في كل من الجامعة الأمريكية في بيروت(14) والجامعة الأردنية(15) جرت مقارنة مجموعتين من المتعلمين في مستوى واحد، إحداها درست باللغة العربية، والثانية درست المقرر نفسه باللغة الإنكليزية، ثم أجري الاختبار للطلاب في هذا المقرر، فُوجِد أن المجموعة التي درست باللغة الإنكليزية استوعبت ما يقرب من 60% من المادة المدروسة، على حين بلغ استيعاب المجموعة التي درست باللغة العربية 76% من نفس المادة؛ وهذا ما أظهرته أيضاً نتائج دراسة مماثلة في كلية الطب بجامعة الخرطوم.

وإضافة للاستيعاب الأفضل هناك اختصار واضح لوقت المتعلم الذي سيضطر إلى الغوص في المعاجم بحثاً عن معنى كلمة، أو التفكير طويلاً بحثاً عن ترجمة جملة، وهو وقت ثمين يحتاج إليه المتعلم، كما تحتاج إليه الأمة كلها؛ وقد أفاد طلبة كلية الطب في جامعة الملك فيصل أنهم سيختصرون 50% أو أكثر من وقتهم لو أنهم قرؤوا أو كتبوا باللغة العربية(7)، وأيد ذلك دراسة قام بها الأستاذ الدكتور رؤوف محمود سلام(12) فقد أعطى إحدى طالباته المقالين اللذين سبق ذكرهما وكانت النتائج كالتالي: المقال الأول: مدة القراءة 13 دقيقة بالإنكليزية و 10 دقائق

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى/ حزيران 2007

بالعربية، المقال الثاني: مدة القراءة 11 دقيقة بالإنكليزية و 7 دقائق بالعربية، أي بكسب قدره 29%.

وفي دراسة أخرى على طلاب كلية الطب وجد أن متوسط الكسب كان 13% في مدة القراءة، علماً أن القارئ في هذه الحالة قد درس الطب بالإنكليزية ولم يألّف المصطلحات الطبية العربية، ومن المتوقع أن يكون الكسب أكبر لو اعتاد هذه المصطلحات. وكرر التجربة مرة أخرى، لكن هذه المرة على الكتابة وليس على القراءة، فحصل على نتائج مشابهة، فقد تبين أن الكسب المتوقع عند الكتابة، باللغة العربية هو 27% من مدة الكتابة بالإنكليزية، وأن حاجة الطالب إلى الاستفسار أثناء الكتابة، وأخطاء الكتابة غير الواضحة، كلها من المعوقات عند الكتابة بالإنكليزية وتتعدى عند القراءة بالعربية (12)، وفي دراسة أخرى قام بها الأستاذ الدكتور أحمد زهير السباعي وجد أن سرعة القراءة ازدادت بمقدار 43% عن سرعة القراءة باللغة الإنكليزية، وأن مدى استيعاب النص باللغة العربية أفضل بـ 7.5 درجات عن استيعاب النص باللغة الإنكليزية - أي بزيادة 15%، وكلها فوارق مهمة إحصائياً، إذ تُبرز سرعة القراءة الجانب الكمي، وتظهر القدرة على الاستيعاب الجانب الكيفي، وكلاهما قد تحسّن (7).

وفي هذا المجال يروي الأستاذ الدكتور عبد الملك أبو عوف عميد كلية الصيدلة بجامعة أسيوط خبرته في مجال التعريب فيقول: كان الطالب يفهم دقائق الموضوع، مما كان يتيح له فرص استيعاب قدر أكبر من معلومات المادة المعطاة، فتقهُم الطالب للمحاضرة وللشرح كان يعفيه من بذل مجهود مضاعف ينصرف نصفه لفهم اللغة وتعرّف المفردات الصعبة في اللغة الأجنبية التي يدرس بها، وذلك مهما حاول المحاضر تبسيط اللغة، وينصرف النصف الآخر من الجهد لاستيعاب المادة نفسها، فضلاً عما يَعْتَرِي ذهن الطالب أحياناً من غموض في المعنى أو نقص فيه.

وسيحفف التعليم باللغة العربية من تسرب الطلاب من المدارس والجامعات، فمستوى تعليم اللغات الأجنبية في المدارس والمعاهد ضعيف، ولذلك يصل الكثير من الطلاب إلى المستوى الجامعي وهم لا يعرفون من اللغات الأجنبية إلا قليلاً، وهكذا لا يستطيعون تحصيل ما يلقي عليهم من المواد بلغة أجنبية، وسيسمح التعليم باللغة العربية بالتخلص من هذا التسرب الناجم عن صعوبة لغة التدريس.

وقد أثبتت الحقائق التربوية أن تعليم الطالب بلغته أقوى مردوداً وأبعد أثراً، إذ يبسر عليه سرعة الفهم دون عائق لغوي، فتزداد حصيلته الدراسية ويرتفع مستواه العلمي ويتأصل الفكر العلمي عنده(16)؛ كما دلت البحوث على أن عامل اللغة من أكبر المعوقات في استيعاب المعلومة لدى المتعلم إذا كان غير متقن لها؛ وقد وجدت دراسة يابانية أن ذاكرة الذين يدرسون بلغة أجنبية ضعيفة جداً إذا ما قورنت بذاكرة الذين يدرسون بلغتهم الأم، وخصوصاً في الأساسيات لأنها تتبخر بسرعة، فهي لغة أجنبية ثانية(18)، ومن المكابرة أن ندعي أن طلابنا يتقنون اللغات الأجنبية بدرجة لا تفوتهم بسببها معلومة مكتوبة أو مقروءة(17).

فوائد التعليم باللغة العربية للمجتمع:

يحقق التعليم باللغة الوطنية (العربية) العدالة الاجتماعية، ذلك أن التعليم بلغة أجنبية سيكون مقتصرًا على الطلبة القادرين على تعلم لغة أجنبية، والذي يجري عادة في مدارس خاصة مكلفة لا يتحمل نفقاتها إلا نسبة قليلة، ومن ثم سيكون التعليم حكراً على فئة معينة، فتضيع العدالة، كما تضيع على التعليم فرصة اختيار الأفضل من قاعدة أوسع(12).

وسيوفر التعليم باللغة العربية المصاريف المبدولة لتوفير أساتذة أجانب ومراجع مستوردة، وسيقلل من تسرب الطلاب من الجامعات، وقد لاحظ الأستاذ الدكتور يحيى خواجي من السعودية أن سعر الكتاب الأجنبي 1200-3000 ريال على حين لا يتجاوز سعر الكتاب المكتوب باللغة العربية 200 ريال فقط، وأن رواتب الأساتذة الأجانب عالية جداً (50 ألف ريال) والمصاريف التي تدفع لطلاب الطب أكبر من غيرها بكثير نتيجة عزوف الطلاب عن الدراسة والتحول إلى كليات

ثانية تدرس باللغة العربية، فالمبالغ طائلة والمحصلة قليلة(18).

ولا ننسى أن ممارسة الطب في البلدان الغربية عامة (وأمركا خاصة) تتبع ما يسمى الطب الدفاعي، حيث يلجأ الطبيب إلى إجراء تحاليل وفحوص وعمليات كثيرة لحماية نفسه من المسائلة وجلباً للمال، وإن طبقنا ذلك فسيسبب لنا خسارة كبيرة جداً نتيجة زيادة الإنفاق الصحي، وبحساب بسيط: لو طبق ما ينفق في أمريكا على الشخص على ستين مليون مصري لاحتاج الأمر إلى مبالغ أكثر من ميزانية مصر كلها(12).

أما تعليم الطب باللغة العربية - أي تعريب الطب - فمفيد جداً في العلاقة بين الطبيب والمريض؛ يقول الأستاذ الدكتور محمود محفوظ: من لا يستطيع التحدث بلغة قوم لا يستطيع فهم احتياجاتهم، ولا إبداء النصح إليهم، أو إرشادهم أو إقناعهم بما فيه خيرهم، ولا سبيل إلا أن نختار بين أن يتعلم المريض كيف يتجاوب مع طبيبه بلغته الأجنبية، أو أن يتقن الطبيب اللغة الوطنية في المكان الذي يعمل فيه، أو أن يكون له مترجم خاص يرافقه ليتم اللقاء بين مقدم المعرفة وبين متلقيها(19).

ولا شك أن لغة التواصل مهمة جداً بين الطبيب ومريضه، وهذا ما أكدته دراسات عديدة، حيث بين الأستاذ الدكتور أحمد ذياب في دراسة أجراها على المرضى أن 80% من المرضى يفضلون اللغة العربية لغةً يتكلم بها الطبيب إليهم، وأن 62% منهم يعتبرون الطبيب حاذقاً إذا خاطبهم باللغة العربية، في حين أبدى 98% من المرضى رغبتهم بأن يجري التحدث إليهم باللغة العربية عندما يدخلون إلى غرفة العمليات؛ وهذا نابع من قلق المريض على عدم إمكان التفاهم بينه وبين طبيبه الذي لا يتقن لغته، مما قد يؤدي - في رأي المريض - إلى خطأ في التشخيص أو المعالجة، وقد يدفعه إلى التوقف عن متابعة خطة المعالجة. وقد أيد ذلك دراسات قام بها الدكتور خالد أحمد الصالح حول الآثار الطبية والنفسية لمخاطبة المرضى بغير لغتهم (20) إذ تبين له أن 92.8% يتمنون (كلياً أو جزئياً) أن يكون طبيبهم المعالج يحسن لغتهم ويحسنون بالارتياح لذلك، وأن 73.3% من المرضى يشعرون بالتوتر (التام أو الجزئي) عندما يواجهون طبيباً لا يتكلم

لغتهم، و78.9% منهم يشعرون بالخوف (التام أو الجزئي) من إساءة فهم الشكوى التي يعرضونها على طبيب لا يتكلم لغتهم، ويشعر 82.8% بالضيق (التام أو الجزئي) إذا كشف عليهم طبيب لا يعرف لغتهم، ويثق 65% منهم بمن يخاطبهم باللغة العربية، وينتاب شعورٌ باحتمال الخطأ في العلاج بسبب عدم التفاهم اللغوي نسبةً تقدر بـ 61.7%، وأهم من هذا أن 69.4% أبدوا شعورهم بالظلم لأنهم في بلدٍهم ولا يستطيعون التفاهم بلغتهم مع الطبيب، ولذلك فكر 30% منهم بترك المعالجة نتيجة لما سبق، علماً أن الذين شملتهم الدراسة هم مرضى يعانون من السرطان، ويترددون كثيراً على المراكز الصحية المتخصصة، أي إن المصطلحات الطبية الأجنبية أصبحت مألوفة لديهم.

إضافة لما سبق: يكون الطبيب الذي درس بالعربية أكثر قدرة على التواصل مع مرضاه لأنه يعرف بيئتهم وظروفهم وأمراضهم وعاداتهم، في حين قد يجد الطبيب نفسه عاجزاً عن التعبير عن أفكاره بسهولة في اتصالاته بأبناء المجتمع فيلجأ إلى استعمال التعبيرات الأجنبية، ويرى مستمعوه في ذلك ضرباً من الاستخفاف بهم والتعالي عليهم، ويسهم في تعميق الفجوة بين الطبيب وبين المجتمع (1)، وهذا ما يجعل الطبيب غريباً في مجتمعه الأصلي مما يدفعه إلى الهجرة والعودة إلى البلد الذي تعلم فيه. وفي هذا يقول الأستاذ محمد عدنان سالم: إن أبناءنا الذين أوفدناهم إلى الغرب منذ مطلع القرن لتحصيل العلوم والتكنولوجيا لم نستطع أن نستوعبهم، ولم يستطيعوا أن يطبقوا معلوماتهم منفصلة عن البيئة والثقافة التي نشأت فيها، فعاد معظمهم للعمل في خدمة الحضارة التي علمته، وخسرنا عن طريق الهجرة العلمية زهرة شبابنا وعقولنا المفكرة (21).

وهنا يعجبني تعبير الأستاذ الدكتور أحمد ذياب عندما يقول عن التعليم باللغة غير العربية: هو "قصام" بين الطبيب العالم المتكلم بلغة أجنبية والمريض الذي يئن في بداوته وآلامه، فالطبيب يسبح في أودية المصطلحات والمريض يبحث عن أدوية وعلاجات.

فوائد التعليم باللغة العربية فيما يخص الشعور القومي:

يؤكد التعليم باللغة العربية الهوية والذاتية الثقافية العربية، ويوصل في نهاية المطاف إلى رسوخ هذه الذاتية الثقافية والعلمية العربية، في نفوس وضمير الأجيال المتطلعة إلى غد مشرق متقدم، يتحمل فيه رجال المستقبل العربي مسؤولياتهم الوطنية، على قدم المساواة مع الشعوب الأخرى التي تفخر بأنها تدرس طلابها بلغتها الأصلية(14). ويؤكد مشرق العالم العربي مع مغربه . علمياً على الأقل . فكيف لطبيب المشرق الذي يتكلم الإنكليزية أن يتفاهم مع طبيب المغرب الذي يتكلم الفرنسية. وكما قال الدكتور شاكور مصطفى: كانت عملية التعريب شرطاً من شروط النهضة ثم صارت في أواخر العهد العثماني عملاً من أعمال المقاومة الوطنية للتتريك أو التعريب (الفرنسي أو الإنكليزي) الثقافي. ولذلك: إن التعليم باللغة العربية واجب وطني وقومي كما أنه واجب ديني، والتعليم بغير اللغة العربية عيب يلحق بنا، ولا بد من إعادة النظر فيه؛ فالذي لا يحب لغته لا يمكن أن يبدع فيها أو في أي علم عن طريقها(3).

التجربة السورية:

لاشك أن تجربة الجمهورية العربية السورية في تعريب الطب، والعلوم كافة، عريقة وراسخة ويمكن الاستفادة منها، فهي تعطي صورة عملية لكل ما ذكرنا من دراسات نظرية أو أفكار مطروحة.

يقول الأستاذ الدكتور هاني مرتضى: أكثر من ثمانين عاماً مضت ونحن ندرس أحدث نظريات الطب، ونعمل بأدق الأجهزة، ونتحاور في الأمراض بلغة عملية سهلة واضحة، لا يتعثر في فهمها المستمع طالباً كان أم طبيباً. سنوات كثيرة مضت وطلابنا منتشرون في جميع أصقاع الأرض نفخر بعلمهم كما نفخر بإنجازاتهم العلمية حيثما كانوا(22).

فقد تخرج في هذه الجامعات مئات الأساتذة الذين يعلّمون اليوم في الجامعات الأوربية والأمريكية ولم تمنعهم الدراسة بالعربية من متابعة المسيرة إلى أهدافهم، ومنهم الأستاذ الدكتور محمد إياد الشطي وزير الصحة سابقاً الذي ترأس المكتب التنفيذي لمنظمة الصحة العالمية مدة

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى/ حزيران 2007

من الزمن، والأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط الذي يشغل منصب كبير مستشاري مدير المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط، وغيرهم كثير.

وهذه شهادة من الأستاذ الدكتور عبد الله باسلامة من السعودية يقول: إن الإخوة في سورية أجادوا استعمال اللغة العربية إجادة كبيرة في تعريبهم وترجمتهم لأمّهات الكتب والمراجع العلمية، كما استعملوها في محاضراتهم وندواتهم، حتى أصبحت طوع بنانهم سهلة المنال، سلسلة الاستعمال، مقبولة لدى الأذن، أذن الطالب والعالم والمدرس، وقد أخذ ذلك من الوقت عشرات السنين ومن الجهد الشيء الكثير (22).

ويؤكد الأستاذ الدكتور يحيى خواجي من السعودية تفوق الأطباء السوريين عندما يقول: عندما يجرى اختبار ويتقدم له من العرب المصريون والسوريون، وجدنا أن من ينجحون هم السوريون، ليس لأنهم أذكى منا، ولا أفضل منا وإنما لأن الذاكرة عندهم قوية نتيجة دراستهم باللغة العربية، وقد ظللنا نكرر الامتحان 3 و4 مرات مع أن الامتحان باللغة الإنكليزية أو الألمانية، ونحن أقوى من السوريين فيهما إلا أن ذاكرتهم أقوى (18).

أما الأستاذ الدكتور عبد الوهاب الإدريسي من السودان فيقول: أثبتت التجربة السورية جدارتها وصارت عملاقاً، وحري ببقية الأمة العربية أن تحذو حذوها (23).

تدعم هذه الشهادات دراسات وإحصاءات عالمية، لعل أهمها الدراسة التي قام بها الأستاذ الدكتور زهير أحمد السباعي، فقد راجع نتائج الأطباء السوريين في امتحان المجلس التعليمي للأطباء الأجانب في أمريكا ECFMG مقارنة بنتائج غيرهم من الأطباء، ولاحظ الجدول التالي:

إجمالي المتقدمين	معدل العلامات %	عدد الأطباء السوريين	معدل العلامات %
8930	71.8	39	73.7
9769	71.1	35	71.4
10879	72.0	36	72.6

علماً أن الامتحان يعقد عدة مرات كل عام، ويتقدم إليه في كل مرة نحو 10 آلاف طبيب من

مختلف أنحاء العالم، ومن يجتازه يحق له العمل أو الدراسة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن الجدول يتضح أن مستوى الأطباء السوريين لا يقل عن مستوى زملائهم من مختلف أنحاء العالم - إن لم يفهمهم - خاصة إذا علمنا أن الامتحان يجري باللغة الإنكليزية، أي إن تعليم الطب باللغة العربية لم يكن عائقاً أمام الأطباء السوريين يحول دون أدائهم الامتحان واجتيازهم له بنجاح(7).

وتلك التي أوردتها الأستاذ الدكتور مدني الخيمي عندما بين أنه في إحدى السنوات كان الطلاب الذين تقدموا إلى فحص الدخول إلى الجامعات الأمريكية من طلاب الجامعات السورية هم الأوائل بين المتقدمين من سائر البلاد العربية التي تعلم باللغة الإنكليزية(24).

إن التعريب الصحيح لا يعني الانعزال والبعد عن الاطلاع على ما تقدمه اللغات الأخرى من ينابيع علمية، وقد راعت أنظمة الجامعات السورية هذا الأمر، فجعلت الطالب يتابع دراسة اللغة الأجنبية مدة خمس سنوات جامعية، ويخضع لفحوص فيها تماثل خضوعه للمواد الطبية، هذا في الدراسة الجامعية الأولى، أما في مجال الاختصاص فعليه أن يتقدم لإجراء فحص بمقررين طبيين من اختصاصه باللغة الأجنبية، علماً بأن هذين المقررين يدرسان بلغة أجنبية(9).

فليس معنى جعل اللغة العربية لغة تدريس المواد في المعاهد والجامعات أننا نرفض وجود اللغات الأجنبية، بل على العكس، علينا أن نعمق دراستنا للغات الأجنبية، وبخاصة تلك اللغات المرتبطة بالحضارة الحديثة والتطور العلمي.

وأخيراً: وكما يقول الأستاذ الدكتور أحمد نياض: لماذا نحبز ركوب الراحة العرجاء، هل آن أوان السفر على الجواد العربي الأصيل؟؟ أرجو ذلك.

﴿لسان الذين يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين﴾ صدق الله العظيم.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى/ حزيران 2007

أهم المصادر والمراجع:

1. د. قاسم سارة: استعمال اللغات الوطنية في مجالات الإعلام والتعليم والتنقيف الصحي، المجلة الصحية لشرق المتوسط - ملحق المجلد الرابع 1998.
2. ندوة عمداء كليات الطب في الوطن العربي - سورية -أ.د. عبد الله سلامة: نظرة موضوعية في التعريب 1993.
3. أ. شاكِر عبد الرحيم: التعليم باللغة الوطنية دليل سيادة الأمة - مؤتمر تعريب التعليم الطبي - الكويت 1996.
4. أ. د. محمد إياد الشطي: " كلمة ألقيت في افتتاح- ندوة عمداء كليات الطب في الوطن العربي - سورية 1993.
5. الدليل الدولي لكليات الطب: منظمة الصحة العالمية - الطبعة السادسة 1988.
6. هزاز سلوم: اللغة العربية أولاً - مجلة المعرفة السعودية العدد 83 | 2002.
7. أ.د. زهير أحمد السباعي: دفاع عن تعليم الطب باللغة العربية - مؤتمر تعريب التعليم الطبي - الكويت 1996.
8. أ.د. محمد هيثم خباط: حديث مستطرد - ندوة عمداء كليات الطب في الوطن العربي - القاهرة 2002.
9. أ.د. هاني مرتضى: تجارب الدول العربية في تدريس الطب باللغة العربية - مؤتمر تعريب التعليم الطبي - الكويت 1996.
10. أ.د. أسامة رسلان: تدريس الطب باللغة العربية من منظور الطالب والأستاذ - مؤتمر تعريب التعليم الطبي - الكويت 1996.
11. أ.د. دفع الله عبد الله الترابي: من مشكلات هيئة التدريس في السودان - ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي - سورية 2000.
12. أ.د. رؤوف محمود سلام: التعليم الطبي باللغة العربية من منظور التكاليف والعائد -مؤتمر تعريب التعليم الطبي - الكويت 1996.
13. أ.د. محمد عدنان سومان: "كلمة" في ندوة عمداء كليات الطب في الوطن العربي - سورية 1993.
14. أ. د محمد أبو حرب: التعريب والذاتية الثقافية العربية - ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي - سورية 2000.
15. أحمد سعيدان: دور الجامعات العربية في تعريب تعليم الطب - المجلة الطبية الأردنية 1988.
16. كمال القيسي: مشروع إنشاء أكاديمية التعريب في الخليج العربي 1986.
17. أ.د. عبد الصمد صالح الفريح: تعريب التعليم الطبي من منظور اقتصادي - مؤتمر تعريب التعليم الطبي -

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى/ حزيران 2007

الكويت 1996.

18. أ.د. يحيى خواجي: مناقشات " الموسمان الثقافيان الأول والثاني " - الكويت 2000.
19. أ.د. محمود محفوظ: تعليم الطب باللغة العربية بين الواقع والطموح - مؤتمر تعريب التعليم الطبي - الكويت 1996.
20. د. خالد أحمد الصالح: الآثار الطبية والنفسية لمخاطبة المرضى بغير لغتهم - مؤتمر تعريب التعليم الطبي - الكويت 1996.
21. أ. محمد عدنان سالم: تنمية الاستيعاب وتسريع القراءة - دار الفكر - سورية 2000.
22. أ.د. هاني مرتضى: كلمة في ندوة عمداء كليات الطب في الوطن العربي - سورية 1993.
23. أ.د. عبد الوهاب الإدريسي: تجربة كلية الطب والعلوم الصحية بجامعة أم درمان الإسلامية - ندوة عمداء كليات الطب في الوطن العربي - سورية 1993.
24. أ.د. مدني الخيمي: مسيرة التعريب - ندوة عمداء كليات الطب في الوطن العربي - سورية 1993.

اللغة والإعلام واعتبارات إنتاج المعرفة

د. عبد الله أبو هيف

جامعة تشرين

استندت عمليات إنتاج المعرفة في المؤسسات الإعلامية إلى الاعتبارات اللغوية وتمثلاتها في المناهج المعرفية، وسبل الاتصال، والخصوصيات اللغوية والثقافية، والتواصل مع مدارات تنمية المعرفة، ولاسيما العناية بالموروث اللغوي، والمصطلحية، والترجمة والتعريب، إضافةً إلى مستويات التشكل اللغوي في مناهجه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية، ضمن تطوراتها الاتصالية من الشفاهية والكتابة والمعاجم والنشر، إلى تقانات وسائل الاتصال الحديثة والنشر الإلكتروني.

1. تمهيد:

اقرنت مكانة المؤسسات الإعلامية في إنتاج المعرفة بمراعاة الاعتبارات اللغوية، ومن نافل القول إن المؤسسات الإعلامية ذات تأثير فعال في تطور الثقافة والعلم والتقانة والاقتصاد والحياة الاجتماعية والوعي الاجتماعي والسلوك البشري برمته، على «أن اللغة تساعد وسائل الاتصال الجماهيري في خدمة قضية التقارب البشري، فهي تمنح الوسائل إمكان القيام بمختلف الوظائف الاجتماعية، معرفية كانت، أو إيديولوجية، أو حتى مالية، وغيرها من تلك الوظائف»¹، وتنامى هذا التأثير في تطور اللغة وانتشارها بتفعيل الفهم الوظيفي للمعرفة العلمية اللغوية إزاء تنمية المعرفة بعامة، لأن اللغة عنصر

¹ الصانع، فايز: اللغة والتعريب ودور الإعلام، بحث تطبيقي في تجربة الجمهورية العربية السورية، منشورات دار مجلة الثقافة بدمشق، دمشق 1992، ص 163.

رئيس في وسائل الاتصال وعلومها في الوقت نفسه، وثمة إقرار بأن إنتاج المعرفة يستند إلى عملية تضافرها مع المستوى اللغوي لدى إعادة إنتاج المعرفة في وسائل الاتصال بعامه والمؤسسات الإعلامية بخاصة، إذ تتميز اللغة العربية ببلاغتها وإبلاغيتها في وسائل الاتصال والإعلام.

وتوزع مفهوم اللغة الاتصالي إلى، مجموعة أولى تعنى بالاتصال اللفظي مكتوباً أو ملفوظاً أو مرسوماً على حاسة الإبصار مثل الملصقات واللوحات، ومجموعة ثانية تعتمد على اللغة غير اللفظية، وقوامها لغة الإشارة مما يستخدمه الإنسان في الاتصال بغيره، ولغة الحركة أو الأفعال عند استخدام الإنسان لأجزاء جسمه، لينقل إلى الآخرين ما يريده من معان أو أحاسيس، ولغة الأشياء مما يستخدمه المرسل للتعبير عن معان أو أحاسيس يريد نقلها إلى المستقبل، كارتداء زي معين أو وضع أشياء ومكونات مادية في المكان، أو استعمال توقيت معين لأداء شيء معين. ويتعاضد هذا الاتصال اللفظي مع أنواع الاتصال الأخرى كالاتصال الشخصي والاتصال الجماهيري، و«في الحملات الإعلامية، يكون استخدام الاتصال الجماهيري بالتأكيد أشد فاعلية من الاتصال الشخصي، على حين يتفوق الاتصال الشخصي في حالة نقل الأفكار المستحدثة، أو في التعامل مع الجمهور مباشرة»². غير أن مفهوم اللغة في بعدها الاتصالي والإعلامي شامل للمجموعتين في مقارنة بلاغتها وإبلاغيتها، لأن الاتصال اللفظي يختلف عن الاتصال غير اللفظي، ما دامت عمليات الاتصال لغوية بالأساس، ومؤثرة في السلوك الإنساني ومعطياته الفكرية والنفسية والأخلاقية.. الخ من جهة، وفي تحليل النص أو الخطاب من جهة أخرى، وجوهر ذلك هو اللغة في التواصل البشري وإنتاج المعرفة معاً.

اعتمد تحليل النص الأدبي عند العلاميين (السيمائيين) على البنية السطحية والبنية العميقة، وتعاضد ذلك مع اللسانيات التي تراعي في منهجياتها الاعتبارات اللغوية طلباً للتواصل مع المتلقي، عند احتساب وظيفة اللغة وفعاليتها في الاتصال بعامه والإعلام بخاصة، وأولها كون

² عامر، سكيئة إبراهيم: فن الاتصال بالآخرين، دراسة في السلوك الإنسان، دار نون للتدريب والاستشارات، بنغازي، 2001، ص34.

اللغة نظاماً من العلامات التي تعبر عن الأفكار، وفقاً لفريدناند دوسوسير، لأن اللغة هي حامل المفهوم أو التصور الذهني. وميّز النقاد اللغويون بين المصورة، الحامل المادي للعلامة وتقابل الدال عند دوسوسير، والمفسرة، العلامة الجديدة التي «تنجم عن الأثر الذي يتركه موضوع العلامة الأولى في الذهن، وقد تكون المفسرة معنى من المعاني الإيحائية الحاملة لبعض الدلالات العاطفية للصيقة بالعلامة الأولى، أو ترجمة من لغة إلى أخرى، أو سلوكاً تنثيره العلامة عند المتلقي»³. وآل تحليل النص أو الخطاب في المؤسسات الإعلامية إلى تحليل الممارسة الاجتماعية في الملفوظيات، وأولها الاستدلالات الفلسفية والمنطقية في التفاعل الاجتماعي ومنظوراته الذاتية العامة والخاصة.

تقوم المنهجيات اللسانية، على إمكانات النحو والنظم والكلمات . المفاتيح وتحليل الانحراف أو الانزياح والاختيار والإحصاء، وتطرح العديد من الاعتبارات اللغوية في جانبها الاتصالي والإعلامي، مثل تقدير العناصر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، والأشكال الدلالية في علاقات اتساقها وتركيبها كالسياق والتضام.. الخ، ومفارقة قواعد الجملة إلى مستويات أعمق، ومعدلات الوحدات اللغوية المختلفة.. الخ، وثمة اعتبار لغوي هام تقرضه الحتمية اللغوية على أن للغة دوراً ما في عملية التفكير أو المعرفة، لأنها «أداة في الصياغة وليس الإطار أو المرجع الذي في ضوئه يصاغ الفكر»⁴.

ولا نغفل عن التحام الحتمية اللغوية بمجمل اعتبارات اللغة، أنموذجاً أو مفاهيم أو نظريات عند تحديد هذه المنهجية أو تلك في إنتاج المعرفة من فيوض التفسير والتأويل وسبل الاتصال في المؤسسة الإعلامية إلى الوظيفية في رؤاها التنظيرية والتطبيقية، وفي طبائع الجمهور المتلقي وصياغات استقباله لهذه الاعتبارات، التي أسهمت في تعزيز مكانة اللغة عند تخليق الوعي،

³ مفقودة، صالح: السيميولوجيا والسرد الأدبي، في كتاب «محاضرات المتلقى الوطني الأول: السيمياء والنص الأدبي»، منشورات جامعة بسكرة، بسكرة، 2000، ص 321-323.

⁴ حمد، عبد الله حامد: فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية في مجلة «عالم الفكر»، الكويت، المجلد 28 العدد 3، يناير، مارس 2000، ص 24.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

فاللغة العربية «في حركيتها الموحية، لا تميز لساننا فحسب، بل تسهم بفاعلية أولية في تحديد طريقة وجودنا في الحياة، وطريقة منهجنا للمعرفة وطريقة تشكيلنا للوعي»⁵.

إنّ عراقة اللغة العربية وثراء كينونتها وتعدد مستوياتها التركيبية تستلزم رسوخ منهجياتها وتأصيلها، لأنها تتلبس بالخصوصيات الثقافية التي تنبعث في منهجياتها الإنسانية والتاريخية والإثنية، ورموزها وعلاماتها وبنائها وظواهرها ومكونات نصها أو خطابها.

احتل الاعتبار اللغوي المتصل بالتجنيس أهمية كبيرة في تحديد اللغة الاتصالية والإعلامية كالتمييز بين نص إعلامي ونص شعري أو قصصي.. الخ، والنص الإعلامي ذاته يتعالق مع خصائص التجنيس الأخرى فيما يخص التوصيف والوظيفية والتعليمية وسواها، ولا يقتصر النص الإعلامي على الكتابة أو الإلقاء، فهناك المحادثة أو الحوارية والإعلان والتصريح، ويحتوي التوصيف على عناصر النص أو الخطاب كالمعلومات والتحليل والاستقراء والاستنباط والقياس والمناقشة والتمثيل.. الخ، وتتحكم هذه العناصر بالنتائج المتوخاة في الاتصال عبر المؤسسات الإعلامية، وتستغرق الوظيفة في استدلالية النص أو الخطاب، في التقاطعات مع السياقات الاجتماعية والنفسية والإنسانية وممارساتها الخاصة والعامة. وتؤثر التعليمية في التنشئة التربوية والتكوين الذاتي إزاء التطور الاجتماعي. ويكمل البعد الاتصالي والإعلامي مراعاة خصوصية الاشتراك في وسيلة التواصل، أي يستعمل المتخاطبان اللغة نفسها ويفهمانها استماعاً وحديثاً وقراءة كتابة⁶.

وهناك اعتبار لغوي شديد الأهمية هو مكانة اللغة العربية في إقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية، كما يشير تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002، ولا نغفل عن طبيعة مجتمع المعرفة في أساسه التقني والمعلوماتي الذي تتجه فيه المعرفة إلى الرقمية وعناصرها العديدة كالحوسبة والأقمار

⁵ الرخاوي، يحيى: اللغة العربية وتشكيل الوعي القومي، في الكتاب الدوري «قضايا فكرية: لغتنا العربية في معركة الحضارة»، منشورات قضايا فكرية للنشر والتوزيع، القاهرة 1997، ص 31.

⁶ ابرير، بشير: التواصل مع النص، من أجل قراءة فعّالة محققة للفهم، في مجلة «اللغة العربية»، الجزائر العدد الرابع 2001، ص 213.

الصناعية، والرقمنة من إشارات ورموز وبيانات وصور وأصوات وأسرار.. إلخ. ويتبدى هذا الاعتبار اللغوي في تفعيل مقام اللغة العربية في تأسيس نموذج معرفي عربي عام أصيل منفتح ومستدير، ويعتمد على توجه رئيس، ضمن التوجهات الأخرى، ومفاده النهوض باللغة العربية، وذلك بإطلاق نشاط بحثي ومعلوماتي جاد، يعمل على تعريب المصطلحات العلمية ونحت ما يمكن اشتقاقه دون تقعر، ووضع معاجم وظيفية متخصصة، وأخرى لرصد المفردات المشتركة بين المحكيات والفصحى، إضافةً إلى «استحضار إضاءات التراث المعرفي العربي، وإدماجها في لحمية النموذج المعرفي العربي بشكل يتجاوز التفاخر الأجوف إلى التمثل المتأصل لأسباب ازدهار المعرفة العربية في العقول والبنى المؤسسية العربية»⁷.

لا نقتل أهمية اعتبار التفكير اللغوي الدلالي في البعد الاتصالي والإعلامي، وهو اعتبار ناظم للجهود البلاغية ضمن عمليات الإبلاغية فيما تمنحه المباحث الدلالية ومباحث اللغويين الدلالية ومعاجم الموضوعات ودلالات النظم وعلم المعاني والمجاز والفكر الأصولي الدلالي، على "أن الوجه القائل بأن الدلالة والمعنى مباحثهما متداخلة، يقترب من الصواب، ذلك أن الدلالة هي دراسة المعنى"⁸.

إن العناية بالتشكل التداولي ذات أهمية كبرى في القياس، بين الدلالي والاتصالي، وهذا كله نافع في ضبط المصادقية، واستقراء المنطق، وبناء المفاهيم، ونشدها المعرفة وإنتاجها.

ولا نغفل أيضاً اعتبار اللغة قوام النصوص والمعبر الرئيس عن الهوية، وقد نُظر إلى المبدعين العرب الذين يكتبون بلغات أجنبية أنهم مزدوجو الهوية، وتساءل إدوار الخراط على سبيل المثال عن الكتاب الكبار من مصر أمثال البيروقصيري وأحمد راسم وجويس منصور وإدمون جابيس الذين كتبوا

⁷ عدة مؤلفين: وجهات نظر حول تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003، منشورات مجلة «السياسة الدولية» القاهرة بالتعاون مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، القاهرة 2003، ص 27.

⁸ حسين محمد، حمدان: التفكير اللغوي الدلالي عند علماء العربية المتقدمين، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا 2002، ص 371.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

بالفرنسية: «هل كتبوا أدباً عربياً أم يظل ما كتبوا أدباً فرانكوفونياً، أي إنه . في نهاية التحليل . أدب فرنسي؟»⁹.

حين نتأمل تجارب الكتابة العربية بلغات أجنبية مثل الأدباء المغاربة باللغة الفرنسية أو الأدباء المشاركة باللغة الإنجليزية، نلاحظ أولاً قطيعة مع اللغة العربية والتراث، الموعول في القدم، على حين لجأ العدد القليل منهم إلى الكتابة بالتوازي، عندما يعيدون كتابة أعمالهم بالعربية، ليس على سبيل الترجمة وحدها، مثل الروائي الموريتاني موسى ولد ابنو الذي كتب روايات بالفرنسية، ثم أعاد كتابتها بالعربية. وهناك ملاحظة ثانية عن وظيفة اللغة وفاعليتها في التداولية الدالة على المعاني والرؤى والأفكار.

تفصح الاعتبارات اللغوية في حال مراعاتها عن تمكين وسائل الاتصال والإعلام من استهداف البلاغية والإبلاغية في محتوى الرسالة الإعلامية عند إنتاج المعرفة.

وأشير إلى أمور شديدة التأثير في اللغة والإعلام وإنتاج المعرفة، وأذكر منها:

أ. ضرورة وعي خصائص اللغة العربية في العصر الحديث، لئلا تغلب عليها مفاهيم اللسانيات الحديثة على سبيل الترجمة أو التعريب بالدرجة الأولى، ولئلا تضعف اللغة العربية في القراءة والاستيعاب والتعبير والأداء، ولقد أحسن علماء اللغة العربية في تصويب عمليات الارتقاء اللغوي، وأكد الدكتور محمود السيد منهم على تمثل الأهداف المرسومة، وتوفير البيئة النقية الصافية لاكتساب اللغة، وإجراء التدريبات الكافية للتركيب والأنماط اللغوية، وتطوير أساليب تعليم اللغة وتعلمها باستخدام التقنيات، وتكوين الخبرات المتكاملة في أثناء تعليم اللغة وتعلمها على وجه الخصوص¹⁰.

ب. تصدرت المصطلحات اللغوية المتصلة باللسانيين العرب المغاربة قضايا اللغة العربية بعامه، حتى إنهم حكموا على التفكير اللساني في الحضارة العربية بمعطيات التعريب والترجمة، تقليلاً

⁹ الخراط، أدوار: مصريون قلباً، فرانكفونيون قالباً: شهادة شخصية، في مجلة «ألف»، القاهرة، العدد 20، 2000، ص23.

¹⁰ أنظر: - السيد، محمود: في الأداء اللغوي، وزارة الثقافة، دمشق، 2005، ص 204 - 208.

من العناية بعناصر التمثيل الثقافي وتجلياتها اللغوية، ومنها شغل عبد السلام المسدي في أكثر من كتاب، فيما يخص التشريع الوصفي، والمحاكاة الطبيعية، ونظرية النشوء والتناسل، والمواضعة، وتوليد المواضعات، والكلام والمكان، والكلام والزمن، والكلام وفاعله، والكلام والاضطرار، والكلام والشمول، وهوية الكلام... إلخ¹¹.

ج. ارتباط اللغة العربية الحديثة بعلم اللسانيات الحديث، على حين الأنسب والأفضل هو وعي النظرية اللغوية العربية الحديثة ضمن النظام اللغوي العربي، من أصوله وجذوره وعراقته إلى مراحل تشكيلاته وتكويناته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية. وعندما نمعن في أوضاع اللغة العربية الحديثة، نلاحظ مدى التعريب في التعامل مع القضايا اللغوية العربية الحديثة مما يستدعي التأصيل إلى جانب التحديث.

أعالج في هذا البحث مسائل اللغة والإعلام وإنتاج المعرفة، وأبرزها المناهج المعرفية وصلتها باللغة العربية ومداها الاتصالي والإعلامي، ومراعاة اعتبارات اللغة العربية لدى استيعاب المعرفة وتأصيلها، والمؤسسات الإعلامية واللغة واشتراطاتها.

2. المناهج المعرفية وصلتها باللغة العربية ومداها الاتصالي والإعلامي

تعددت مناهج البحث في اللغة مع تطور اللسانيات الحديثة وانفتاحها على المناهج الحديثة والجديدة مثل استقراء المعرفة أو إنتاجها أو إعادة إنتاجها لإضاءة مصداقية النص أو الخطاب، فثمة استرسال في التراكمية الترادفية أو التألفية مع أعمال أخرى، مثلما تستغرق الحوارية في إشكاليات مختلفة كالشرعية والبيئية أو الجدلية أو التخيلية أو التسجيلية، وقد عني المشتغلون بالمناهج المعرفية بمحتواها العلمي والنظري والنقدي والبحثي على أنها السبيل إلى العلوم ونقدها، واختلف مدلول المعرفة من لغة إلى أخرى¹² بالنظر إلى التجربة العلمية وفلسفتها والعلوم الإنسانية والأساسية وميادينها وطرائقها في تنمية المعرفة، وتتضاعف إشكالية المناهج المعرفية

¹¹ انظر: - المسدي، عبد السلام: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981.

¹² عزام، محمد: الاتجاهات الفكرية المعاصرة من السلفية إلى الحداثة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 2004، ص214.

باللغة كلما أوغل البحث في تقصي آليات تأثير فكر ما على لغة ما، إذ لا يمكن الفصل بين الفكر العربي ولغته على سبيل المثال، لأن الفكر لا ينفصم عن لغته، واللغة هي السبيل الأقرب لإظهار عناصر التمثيل الثقافي في كل معرفة، بتجلياتها الفكرية والأدبية الفنية من الأعراف والتقاليد والطقوس إلى الديانات والعقائد والأفكار، وكانت اللغة، وما زالت، مادة التشكل المعرفي، وقد أفعمت اللغة العربية في التراث العربي القديم والحديث المناهج المعرفية بالرؤى الحضارية والفكرية، استناداً إلى ثراء اللغة العربية في تعضيد المحتوى المعرفي بالانتقال إلى الأبنية الاستعارية العديدة التي توسع الأمداء الاتصالية والإعلامية، وترتهن هذه الأمداء بالخصائص اللغوية للخطاب المعرفي. وثمة دراسات كثيرة عن علاقة اللسان بالمجتمع واتصالها بالخطاب، مما يستدعي تحديد مكانة اللغة في المعالجة المعرفية لإنتاج الخطاب وفهمه والكشف عن سمات التصرف وعلامات السلوك بصدد العلاقات الموجودة بين الخطاب وتغيير الاعتقادات والاتجاهات والآراء. و«بهذا الاعتبار، فإن النظرية اللسانية للخطاب لا يقصد بها إغناء اللسانيات فحسب، بل يقصد بها قاعدة أساسية لدراسة الخطاب في فروع معرفية أخرى، مما يعجل إلى أقصى مدى، بدمج الخطاب، على تلك الصفة، في الدراسة العامة للغة والتواصل»¹³.

لقد ترسخت عمليات دراسة النص أو الخطاب بلغته وقواعده اللسانية في سبل الاتصال بعامة، والمؤسسات الإعلامية بخاصة، بالنظر إلى علاقة اللسان بالمجتمع وبالأنسنة ويعلم النفس والأسلوبية، لأن هذه العلاقات تدعم عمليات إنتاج المعرفة، وتضبط إلى حد بعيد تشابكات الدلالية مع التداولية في توزيعية النص أو الخطاب من جهة، وفي سيرورة فاعليته الحوارية والفكرية من جهة أخرى.

وتستند الخصائص اللغوية للخطاب إلى الإجابة عن أسئلة اللغة في التواصل، أولها تقريب

¹³ دايك، فان: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، (ترجمة عبد القادر قنيني)، أفريقيا الشرق، بيروت، الدار البيضاء 2000، ص32.

المعرفة اللغوية من عمليات الاشتغال الإعلامي، وثانيها حدود تطبيق النظريات اللغوية المعاصرة على منهجيات المعرفة اللغوية، وثالثها وعي الأنواع اللغوية التي تشكل اللغة العربية الحديثة باستدراك إشكاليات الكتابة اللسانية التمهيدية ولسانيات العربية التراثية ولسانيات العربية المعاصرة وفق معايير الموضوع والمنهج والغاية. وأكد العالم اللغوي مصطفى غلفان «أن اللساني العربي قد يزوج بين كتابتين لسانيتين أو أكثر تقتربان أو تبتعدان في الموضوع والمنهج والغاية. فقد نجد لدى اللساني الواحد كتابة لسانية تمهيدية وأخرى تندرج في إطار لسانيات التراث»¹⁴، فثمة استلزام لمراعاة النظريات اللغوية وأنساقها التعليمية وطرائق تبسيطها لتيسير أمور المتلقي: قراءة واستماعاً ومشاهدة، فضلاً عن المشاركة الاتصالية حين يتكلم المتلقي في إطار البرامج الإعلامية، ولا تقتصر اللغة الإعلامية على التلقين، بل تتداخل البرامج الإعلامية مع البرمجيات والحوارات التي تفعل أدوار المؤسسات الإعلامية.

إن البرامج الإعلامية متقاربة مع التأثيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بعامة، ومع التأثيرات الشخصية والحزبية والتنظيمية لأوضاع الأفراد والجماعات فيما يُسمى منظمات المجتمع المدني، أو المؤسسات الأهلية أو غير الرسمية، التي تثار في أهدافها قضايا كثيرة مثل مشكلات الشباب أو المرأة، أو الشفافية أو الحرية أو البيئة.. إلخ، وتتشابك سبل سيرورتها أو معوقاتهما مع لسانيات الاتصال والإعلام في مجالاتها الاستهلاكية أو السلبية أو السرية أو الأمية، وتتلاقى البرامج الإعلامية مع أغراض إنتاج المعرفة كلما ابتعدت عن التسييس المباشر، بحسن استعمال اللغة في المؤسسات الإعلامية.

¹⁴ غلفان، مصطفى: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، منشورات جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4، مطبعة فضالة، المحمدية 1998، ص94.

أما البرمجيات في التراسل الحاسوبي والأتمتة فتحتاج إلى الضبط اللغوي في التفسير والتصويت والترسيم والافتراضية وغيره، وإدغامها في الحوارية من داخل القنوات الاتصالية الحديثة التي تطورت كثيراً عن التقليدية.

وأشار منظرون إعلاميون أمثال عبد اللطيف دبيان العوفي وعادل سراج مرداد إلى ضرورة مشروع توسيع هذه القنوات الاتصالية الحديثة، وفي مقدمتها تحديث تقانات شبكة الهواتف وتوفير خدمات الاتصالات الريفية وتوسيع شبكة الألياف البصرية بنظامها الرقمي، وشبكة المايكرويف الرقمي، وشبكات المحطات الأرضية للأقمار الصناعية الخاصة بالاستخدامات المحلية والإقليمية والدولية، وتأسيس نظام تشغيل آلي متكامل يربط مكوناته بشبكة معلومات وفق أحدث التقانات المعلوماتية الحديثة، وتأسيس مراكز تدريب متكاملة مع الشركة الأمريكية. وسيظل هذا النظام قائماً حتى نهاية التوسيع¹⁵، ويلاحظ أن غالبية المنظرين الإعلاميين لا يهتمون باللغة في الإعلام وبرمجياته حسب مكانة هذه اللغة وفواعلها وتفعيلاتها الاتصالية والتداولية، وتتفاقم نتائجها السلبية على الحوارية وتنوعاتها في لسانيات الاتصال.

تتحلى اللغة الإعلامية بخصوصيات متعددة أبرزها:

1.2 الأداء:

سرعان ما تفيض اللغة في تشكلاتها ال: مادرا لغوية "الميتالغوية" إذ يبتعد الأداء اللغوي كثيراً عن سطح المعنى إلى عمقه من خلال التجويف النصي الذي يفيد وضوح التواصل مع معنى المعنى لدى التمكن من التحليل النصي القائم على تقانات ما وراء النص، وتتحكم اللغة . كما في دراسة حسن يوسف عن شعرية «الميتا مسرح» واشتغالها في النص المسرحي . ببنية هذه التقانات وتنمير خطابها مثل المحاكاة الساخرة والوظائف النقدية والتنظيرية والتأويلية والإيديولوجية والأشكال الماورائية الصراعية والباروكية والغروتسكية والواقعية في تقاطعها مع المفارقة

¹⁵ العوفي، عبد اللطيف دبيان (وعادل سراج مرداد): زمن المستقبل والعالم العربي، دراسة في موجة المعلوماتية والاتصال، مطابع التقنية للأوفست، الرياض، 1998، ص292.

والتخييل الواقعي والمبنى الاستعاري والملحمية والسخرية والدعابية (وقوامها التهكم والمرارة). ولا يخفى أن الماورائية تستند إلى خطاب للفعل وعلامات المبنى في الكلام الشفاهي أو المكتوب، وقوامه الرئيس الوظيفية اللغوية وصوغ التبئير في المجازية أو الاستعارة أو الترميز.. إلخ، ثم تمضي، الماورائية إلى الأداء المرتجل بخصائصه اللغوية الكثيرة بما يجعل من النص الأدبي مرآة حياتية مختلفة ضمن معطيات التركيب اللغوي الماورائي، على أن الظاهرة الماورائية برمتها «يرتهن وجودها بالمظهر اللغوي، من ثم بالنص المسرحي وليس بالعرض»¹⁶.

اعتمدت الخصائص اللغوية للأداء في الماورائية على دقة الاستدلالات في سياقاتها المختلفة عند الاتصال في المؤسسات الإعلامية، وأبرزها وظيفية الفعلية في أنساق الأداء التي توازي بناها المرجعية التاريخية والواقعية، وهذه الوظيفية هي العنصر الفاعل في المنظور النصي أو الخطابي عند تفحص التبئير لإبراز وجهات النظر أو المقاصد أو الأغراض.

إن خصوصيات الماورائية في الأداء اللغوي وتعرّفها إليها وتحليلها، من شأنها أن تقيد كثيراً في التنمية المعرفية كلما عُني بوظيفية الماورائية في التواصل، ولا سيما الميتالسانية، ويعتمد ذلك على استراتيجيات النصّ أو الخطاب في الشفاهية أو الكتابية أو المعلوماتية داخل المؤسسات الإعلامية وسبل اتصالها، وأساسها لغة الموضوع في إنتاج المعرفة. و«بعد هذا الفهم للوظيفة الميتالسانية (الماورائية) امتداداً للمبحث اللغوي الذي مازج بين لغة الموضوع Object-Language وهي اللغة الخاضعة للبحث والدراسة، والميتالغة Metalanguage، وهي اللغة العليا التي تضع لغة الموضوع موضع البحث والدراسة»¹⁷.

إن الأداء اللغوي، كما هو واضح، في مستوياته الظاهرة والماورائية، يصعد الاستدلالية من تعقيد التشابكات اللغوية إلى صدور المعنى وما وراء المعنى عند فهم اللغة وتمثالتها.

¹⁶ يوسف، حسن: المسرح في المرايا، شعرية «الميتا مسرح» واشتغالها في النص المسرحي الغربي والعربي، منشورات اتحاد كتّاب المغرب، الرباط 2003، ص 161.

¹⁷ خريس، أحمد: العوالم الميتاقصية في الرواية العربية، دار الفارابي، بيروت ودار أزمنة، عمان 2001، ص 28.

2.2 التخيل:

دخل الخيال في السياقات الفلسفية والنفسية والثقافية وتجلياتها العلمية والأدبية والفنية، ليصبح التخيل أمشاجاً معرفية تكشف التحليلات البلاغية والنقدية والفكرية باللغة الاتصالية والإعلامية كشفاً عن أبعاد التخيل في الإدراك والذاكرة والوهم والإشراق والعرفان الصوفي، وهو ما يظهره التحليل اللغوي في العمق حتى صار الخيال الإبداعي ابن اللغة، فالعبارة الصوفية وتراكيبها هي التي تضيء مدى التخيل في النصوص الصوفية، وتتوزع معاني الخيال عند رتشاردز إلى ستة مستويات، وهي:

1. توليد صور واضحة وخاصة الصور المرئية، وهذا أكثر المعاني شيوعاً وأقلها أهمية.
 2. استخدام لغة المجاز.
 3. تصور الحالات الذهنية للغير عن طريق المشاركة الوجدانية ولا سيما حالاتهم العاطفية، وهذا الضرب من الخيال ضروري لتحقيق عملية التوصيل.
 4. الاختراع أو الجمع بين عناصر لا توجد رابطة بينها عادة.
 5. الخيال بالمعنى العلمي وهو عبارة عن عملية تنظيم التجربة على أنحاء معينة ولأجل غاية محددة.
 6. القدرة التركيبية التي تتكشف في خلق التوازن أو التوفيق بين الصفات المتضادة أو المتعارضة¹⁸.
- اتسع التخيل باستعمال السحر والعجائب والغرائب في الموروث واستمرار حضوره أو استحضاره، وتآلف مع الرؤى التاريخية والإثنية والإنسانية والاجتماعية والواقعية، وبلغ حدّه الأقصى في الأخيولة "الفتنزة" التي تشكل فضاء خاصاً، وبلغ التخيل الرومانسي أجواءه الغامضة عندما أمّعت اللغة الاتصالية والإعلامية في توهان البصيرة بعيداً عن معطيات الواقع والتجربة البشرية، من منطلق «أن الخيال الإبداعي مرتبط أشد الارتباط بالبصيرة الخاصة النافذة في نسق غير مرئي يقع وراء المرئيات»¹⁹.

¹⁸ أبو نصر، عاطف جودة: الخيال، مفهوماته ووظائفه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص 277-278.

¹⁹ بورا، سيرموريس: الخيال الرومانسي (ترجمة إبراهيم الصيرفي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1977، ص.

تعزز اللغة فضاءات التخيل أو الأخيولة في مدى افتراق البصر عن البصيرة، أو غنى التعبير اللغوي، أو التمايز بين الغموض والإبهام، أو تحديد الفروق بين الواقعي والرومانسي والسوريالي.. إلخ.

وينجم الغموض عن التباعد بين هذا النسق غير المرئي والسياقات الثقافية والاجتماعية بالرموز والإحالات والإشارات في اللغة الاتصالية والإعلامية، على حين يشوه الإبهام الاستدلالات، ويضعف عمليات إنتاج المعرفة عند الاستغراق في التخيل أو الأخيولة دون العناية الكافية باللغة وتقاناتها الاتصالية في المؤسسات الإعلامية.

3.2 الطول والقصر:

تتحدد خصوصيات اللغة الإعلامية بالطول والقصر كتابةً وسماعاً ونطقاً في مقارنة المناهج المعرفية وتنمية المعرفة ضمن قواعد الشكل والإملاء والصرف والإيقاع والنحو التي تتحكم بمدى تحقق الاتصال في المادة الإعلامية.

وتستدعي مزايا الطول والقصر النظر في الميل إلى القصر والوضوح والإيقاعية ومهارة البساطة والموازنة بين البلاغية والإبلاغية والتقليل من الاسترسال اللغوي غير الوظيفي.

يعتمد إنتاج المعرفة في المؤسسات الإعلامية على دقة الاعتبارات اللغوية، كما أشرنا، وينبغي الاهتمام المطلق بوظيفية الطول والقصر عند وضع مراعاة مكونات الموضوع أو المعرفة في النص أو الخطاب، وأبرزها الإسناد والمحمولية والسياقات والملفوظية والماورائية، إذ لا فائدة من الاسترسال أو الإيجاز دون وظيفيته الاتصالية.

وقد لجأ الإعلاميون إلى تثير هذه المزايا استعانة بتقانات اتصالية لغوية، مثل غلبة التعليقات والشهادات والآراء والبث المباشر والمشاركة العامة وتعدد المشاركين والاستفادة من النصوص المكتوبة واللوحات والملصقات، والحواريات.. إلخ.

إن دقة الطول والقصر اللغوي هي أشد العوامل فعالية في التواصل اللغوي لدى إنتاج المعرفة، أو الرموز أو الأرقام ضمن صوغ الإرسالية أو الرسالة الحاملة للموضوع، وهناك العديد من المرسلين

أفراداً أو جماعات أو منابر وقنوات اتصالية ممن يعمدون إلى الإطالة، والمهم هو وظيفة اللغة وعمليتها ومصادقتها.

4.2 المكتوب والشفاهي:

ربطت وظيفة اللغة في المؤسسات الإعلامية عند إنتاج المعرفة بين الظاهر والكامن في النص أو الخطاب، وعنيت بالانتقال من المعنى إلى معنى المعنى في أشكال الاتصال.

وتفيد العلاقة بين المكتوب والشفاهي بخاصة في ضبط الخصوصيات الثقافية لدى تقدير مكانة اللغة في المضمرة أو المعلن من الملفوظية، ومما تضرمه اللغة عناصر التمثيل الثقافي الغارقة في البنى الاستعارية من المثل الشعبي والمعتقدات الدينية والتقاليد الاجتماعية إلى بلاغية الخطاب التي توغل في التعقيد والغموض غالباً.

ويفيد «الشفاهي» في ثراء محتوى الرسالة الإعلامية لوفرة المنطوق به والمتداول في التراث الثقافي غير المادي في مناطق الوطن العربي، وهي صروح ثقافة شعبية تتبدى في الأغاني والموسيقى والرقص وعناصر الاحتفاليات الكثيرة دينياً واجتماعياً وإنسانياً.. الخ، وقد أعيد الإنتاج المعرفي لهذا التراث غير المادي في وسائل الاتصال والإعلام: الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية والمسرح والسينما وغيرها. ويعالج المشتغلون بهذا التراث الجانب الاتصالي والإعلامي للغة.

وإذا أمعنا النظر في مؤثرات الشفاهية على الاتصالية، نذكر نماذج من الأمثال الشعبية أو الأغاني أو الاحتفالية التي تصير إلى مكون رئيس للنص أو الخطاب غالباً عند إعدادها أو استعادتها.

اعتمدت النظرية الشفاهية على شفاهية اللغة وشفافيتها، وأثار سعد الصويان في كتابه «الشعر النبطي وعلاقته العروضية بالشعر العربي القديم Nabati Poetry: The Oral Poetry of Arabia» (1985 بالإنجليزية Berkeley: University of California Press, 1985) المدى العميق لانتظام

الأعراف والتقاليد بالتعبيرات اللغوية الشفهية التي قام عليها التقليد الشعري العربي كلبية²⁰. وأظهر البحث العام في الشفاهية والكتابية أن وسائل الإعلام تتحول إلى الداخل من خلال اللغة في مقابل التواصل الإنساني، وقد أخذت الدراسات الحديثة عن التحول من الشفاهية إلى الكتابية وتوابعها، أي الطباعة والتنسيق الإلكتروني للتعبير اللفظي، توضح على نحو متزايد بعض السبل التي اعتمد فيها هذا التطور على الكتابة²¹.

ابتعثت الشفاهية أو الكتابية في المؤسسات الإعلامية الشفاهية التي تربط بين الأصالة والتحديث عند النظر في النص أو الخطاب وسياقاتها فيما بين اللغة الموروثة والتداولية.

5.2 الثنائيات اللغوية:

تتعدد الثنائيات اللغوية مثل العاميات والفصحى، العربية واللغات الفئوية، العربية واللغات الأجنبية، العربية وقاموسها العام، العربية وقاموس مؤلفها النصي الخاص.. الخ، وغالباً ما يتعرض الناشئة واليافعون لـ صعوبات اللغة الإعلامية في هذه الثنائيات التي تلقي بظلالها الكثيفة والثقيلة على اللغة العربية مؤشراً للهوية والمعاني الحضارية. وتفقر اللغة لمقومات الاتصال عند تجاهل قابليات استيعاب العربية للغات الأخرى، وثمة بحوث طويلة في تاريخ اللغة العربية عن الغريب واللحن والاختراق اللغوي.. الخ.

من المفيد أن تدغم الثنائيات في ردف اللغة العربية، لا المضي في الافتراق عنها، وأشير إلى قيام لغة عربية مشتركة بين هذه الثنائيات الفصحى والعاميات، وبعض اللغات الفئوية مثل الأمازيغية والعربية للتواصل بينهما، غير أن هذا الاشتراك متعذر مع اللغات الأجنبية وبعض اللغات الفئوية الأخرى المنسوبة للفئات المعربة، وسميت هذه المحاولات المشتركة بتقصيح

²⁰ عز الدين، حسن البنا (تقديم): النظرية الشفاهية وموقع الأدب العربي منها، مقدمة لكتاب والتر ج، أونج: الشفاهية والكتابية، (ترجمة حسن البنا عز الدين، مراجعة محمد عصفور)، عالم المعرفة 182، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1994، ص43.

²¹ المصدر نفسه، ص306.

التثائيات مع اللهجات العامية، نظراً للتقارب الواضح بينها، وليس مناسباً القول «بعدم وجود لغة عربية مشتركة في مقابل اللهجات (اللغات)، بدليل أن العرب جميعهم، برأي قائله . كانوا يفهمون القرآن الكريم، وهو أفصح نص في العربية شكلاً ومضموناً، وكانوا يفهمون الشعر وهو بلغة راقية، كما أن رواة اللغة أخذوا من كلّ الفصحاء وعلى رأسهم سكان البوادي، وهم أقلّ ثقافة في كل أمة»²².

ولا مجال هنا لمناقشة هذه الآراء، غير أن دراسات كثيرة عن تحقق هذه اللغة العربية المشتركة بين اللهجات العربية والأمازيغية والفصحى. وقد نشرت مؤلفات عديدة في هذا المجال، وأبرزها شغل علي فهمي خشيم الذين يربط هذه اللهجات بالعربية الفصحى، وجوهر هذا الشغل هو رسوخ الاتصال التاريخي والإناسي والإثني عند الأقوام والفئات العربية. أما الحديث عن ثنائيات العربية واللغات الأجنبية فيستلزم جهوداً قومية بتعزيز استراتيجية إعلامية وثقافية تفتح على حوار الحضارات والثقافات برؤية إنسانية نافية للتعصب من جهة، وللتبعية من جهة أخرى. وتؤيد ذلك الثنائيات الداخلية مثل العربية وقاموسها العام والعربية وقاموس مؤلفها النصي الخاص، لأنها تقوم على إدراك هذه الخصوصيات وتوظيفها في التنمية المعرفية، أي إن لكلّ مؤلف قاموسه اللغوي الخاص، مفكراً أو مبدعاً في جنس أدبي ما، وأذكر نماذجها، على سبيل المثال، عند المفكر محمد عابد الجابري أو الروائي نجيب محفوظ أو الشاعر بدوي الجبل أو القاص زكريا تامر أو المسرحي الفريد فرج وغيرهم، واللغة عند هذا المؤلف أو ذاك مرهونة باستعمالها الاتصالي في النصّ أو الخطاب، والملفوظية تتميز باستدلالياتها لدى استخدامها معنوياً حسب خصوصيات لغة هذا المؤلف أو ذاك.

²² الحباس، محمد: اللغة العربية المشتركة واللهجات العامية، في مجلة «اللغة العربية»، الجزائر، العدد الثامن، صيف 2003، ص 291.

وهناك قضية أخرى هي استعمال الثنائيات اللغوية مثل الفرنسية أو الأمازيغية في دول المغرب العربي، والإنجليزية أو إحدى اللهجات المحلية في دول المشرق العربي، إذ تتكاثر المفردات والجمل في التركيب اللغوي والمبنى الاتصالي عند إنتاج المعرفة، ويلجأ هذا المؤلف أو ذاك إلى الثنائيات اللغوية لتفعيل التواصلية والتأثير على الجمهور في هدف محدد غالباً.

6.2 قواعد الاستصحاب:

أفادت قواعد الاستصحاب في الربط بين اللغة وتلقيها وتفسيرها عند إنتاج المعرفة ضمن عمليات التلقي والتفسير والتأويل عند الاستماع إلى النص أو الخطاب أو قراءتهما، على أن التقعيد والتسنين والتفسير نافع في سيرة الاتصال.

وتتحكم قواعد الاستصحاب وإدراكها طلباً للوعي باللغة الإعلامية عند الانتقال من أصل الوضع حرفاً وكلمة وجملة إلى أصل القاعدة أو العدول عن الأصل أو الرد إلى الأصل أو التأويل مما يتطلب إدراك هذه القواعد، نحو الاشتغال على فائدتها في قراءة النص، وقد أوجز العالم اللغوي تمام حسان هذه القواعد فيما يأتي:

1. إن القواعد أضيق من كلام العرب ففي الكلام ما لم تنص القواعد على ضبطه.
2. قد يختلف ظاهر الكلام مع مطالب القاعدة، ولكنه يمكن التوفيق بينهما بالتأويل.
3. إن التأويل قد يحتتم وجهاً واحداً، وقد يحتتم وجوهاً متعددة.
4. قلما يشتمل المأثور على ما يستعصي على التأويل.
5. إذا خالف بعض الحديث القاعدة فلا ينبغي أن يكون ذلك داعياً إلى ترك الاستشهاد به جملة، لأن هذا البعض صحيح مع التوجيه والتأويل²³.

يفيد الأخذ بقواعد الاستصحاب كثيراً في تمييز حدود البلاغية والإبلاغية وتقاطعاتهما في بلوغ المعنى والفروق الدلالية من صيغة لأخرى، مثلما تسهم في تعزيز خصائص الأجناس

²³ حسان، تمام: الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: نحو، فقه لغة، بلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982، ص 159-160.

الأدبية إزاء أصولها وقواعدها وعلاماتها الدالة على المعنى، وما وراء المعنى في الاتصال، لأن هذه الخصائص، مثل العلاقات بين الشعر والنثر من جهة، وبين القصّ والروى والسرد والدرامية من جهة ثانية، وبين الإيقاع الداخلي والخارجي من جهة ثالثة.. إلخ، ومنهجية إزاء إشكاليات التلاقي بين الأصول والقواعد والممارسة في النص أو الخطاب.

3. مراعاة اعتبارات اللغة العربية لدى استيعاب المعرفة وتأصيلها:

تصدر المنهجيات اللغوية اعتبارات اللغة العربية لدى استيعاب المعرفة وتأصيلها، من الصوتيات وتشكلاتها إلى الصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية، وتعمقت هذه المنهجيات في لسانيات الاتصال مثل التوليدية والتحويلية والتوزيعية والنفسانية والرمزية المنطقية والرياضية والمعلوماتية، إذا أدخلت التجريدية والافتراضية لتدقيق الاتصال اللغوي وتعزيد المنطق المنهجي في استيعاب رؤى المعرفة الحديثة وما بعدها وتأصيلها مع خصوصيات الثقافة العربية، وتثار هذه الاعتبارات في مجالات اللغة الإعلامية بالنظر إلى ارتباط اللغة بالمنجز العلمي العربي، وأشير إلى نجاح التربية والتعليم في سورية باللغة العربية، في مجالات العلوم كلّها (الطب والهندسة والرياضيات والعلوم المختلفة.. إلخ)، مما يؤكد غنى العربية وتطورها وتطويرها للمنهجيات المعرفية وتواصلها مع متلقيها ودارسيها ومدرسيها، وأشيد بنجاح المؤسسات الإعلامية العربية في الكويت والإمارات والسعودية ومصر، على سبيل المثال، في تخصيص قنوات إذاعية وتلفزيونية ومنابر إعلامية للثقافة العربية ومداراتها العلمية والمعرفية، وعنايتها المناسبة باللغة العربية الفصحى استناداً إلى عمليات التحديث اللغوي بالتأصيل من جهة، وتنسيق التعريب من جهة أخرى، وهذا كله شديد النفع في دعم الاتصال وأصالته المعرفة، ولا تفتقر هذه العمليات عن المنهجيات اللغوية وقواعدها، وثمة تأكيد «أن اللغة الإعلامية حريصة على احترام القواعد النحوية والصرفية بقدر ما هي حريصة على توخي أسلوب الوضوح والبساطة في إلقاء الخبر، أو انعدام مفعوله الإعلامي، إذ لا يعقل أن تقبل خبراً تشعبت لغته، واستحقت مفرداته البحث

والتعريب في المعاجم عن مدلولاتها»²⁴.

لقد تطورت العربية المعاصرة في مجال الإعلام بصفة أعمق من تطورها في مجال العلوم، ودعا ذلك، برأي عبد العزيز عاشوري، «إلى الاستعمال الفعلي للغة في مجال الإعلام وعدم استعمالها على نحو كاف في مستوى العلوم. وإن روح الإصلاح والتغيير اللغوي أمر مهم في نظري، وألا يستند إلى مجرد مقاييس موجودة في لغات أجنبية على اعتبار التسليم بأنها مرجع مثالي ينبغي أن يقاس عليه»²⁵.

وأشارت الأبحاث المتصلة بقيمة اللغة العلمية إلى ضروب الفوائد التي أسفر عنها النقد اللغوي لدى استيعاب المعرفة وتأصيلها، ومنها حماية اللغة العربية وتهذيبها وتنميتها، «وجعلها أوفر مادة عن طريق قبول صيغ واستعمالات كان المنشئون يأتون بها، إما قياساً على ما في اللغة من نظائر لها، وإما مجازاً للهجات النادرة، وإما اقتباساً من لغات أخرى»²⁶.

إن اعتبارات اللغة العربية مرهونة أيضاً بالمعرفة بعامة وتأصيلها العلمي في الثقافة العربية ومدارات التربية والتكوين والتعليم والإعلام بالدرجة الأولى، مما يستدعي العناية بالمصطلحية، وبالترجمة والتعريب، وبتقانات وسائل الاتصال الحديثة والمعلوماتية، لضبط الاتصال بين اللغة العربية واللغات الأخرى، وما ينتج عنها من مواصفات اللغة العلمية ذاتها، وتتحدد اعتبارات التنمية اللغوية النافعة في تنمية المعرفة في بعدها الاتصالي والإعلامي بالمجالات التالية:

²⁴ الصيادي، محمد المنجي: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1980، ص426.

²⁵ عاشوري، عبد العزيز: تعقيب على بحث عبد الله العروي «التعريب وخصائص الوجود العربي والوحدة العربية»، في كتاب «التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1982، ص368.

²⁶ العزاوي، نعمة رحيم: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد 1978، ص421.

1.3 اللغة والمصطلح:

تزداد مشكلات المصطلح اللغوي العربي الحديث مع تعقد المنهجيات المعرفية واتساع الاعتماد بوضع المصطلح أو تعريفه أو توظيفه الاتصالي والإعلامي كلما تفاقمت المشكلات العلمية واحتياجاتها المصطلحية، «فالمصطلح الواحد له غير مفهوم واحد لغير ضرورة، والمفهوم الواحد له عدة مصطلحات لغير حاجة، وفي بعض مصطلحاتهم غموض ولبس أو مخالفة لطبيعة العربية ونوق العربي في بناء اللفظ»²⁷.

ويمكن التغلب على المشكلات المصطلحية، بالاشتغال اللغوي وبعده الاتصالي والإعلامي وتسهيل الاتصال وتبادل المعلومات بين المختصين، والتخلي عن العولمة أو القطرية والفئوية والتحزبية وغيرها، ومواجهة ضغوط الثنائيات اللغوية في رسم المصطلح، وعند «التمكن من العلوم الحديثة والتمكن من قواعد اللغة العربية وقوانينها وطرق التعبير فيها»²⁸. فقد رهن بعض العلماء قدرة اللغة العربية على استيعاب العلم وتنمية المعرفة بالاشتغال المصطلحي الذي يتعدد بتعدد العلوم، كما تتعدد داخل العلم الواحد إذا كانت له فروع قادرة على الاستقلال بنفسها، إذ «تؤلف المصطلحات جوهر اللغة العلمية. وهذا يعني أن استيعاب العلم مرتبط بنشوء اللغة العلمية بوساطة التدريس والتأليف. وغير خاف على أحد أن هذا العمل لغوي صرف»²⁹.

إن حلّ إشكاليات المصطلحية في اللغة وطرائق ممارستها في المنهجيات اللغوية ينمي إنتاج المعرفة وتأصيلها وتحديثها، ويفضي الاتفاق المصطلحي إلى تعميق المعرفة العلمية باستخدام اللغة الاتصالية والإعلامية ضمن خصوصيات المدارات المصطلحية من علم لآخر، ومن

²⁷ عبد العزيز، محمد حسين: المصطلحات اللغوية العربية الحديثة، الأزمة والحل، في كتاب «قضايا المصطلح:

اللغة العربية في مواكبة العلوم الحديثة»، منشورات جامعة تشرين، اللاذقية 1998، ص 77.

²⁸ المزني، حمزة بن قبالن: التحيز اللغوي وقضايا أخرى، كتاب الرياض 125، منشورات مؤسسة الإمامة الصحفية بالرياض، 2004، ص 221.

²⁹ الفيصل، سمر روجي: اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1993، ص 111.

منهجية معرفية نقدية لأخرى، وأساسه مراعاة خصوصيات المصطلحية في العلم بعامة والمنهجية المعرفية لهذا العلم بخاصة، إذ تتطور المصطلحية مع تطور العلوم، وتزداد طرائق ابتداع المصطلحية بالقياس إلى الاتصال مع الجمهور، وإلى طبيعة الموضوعات والأطروحات في النصّ أو الخطاب.

2.3 الترجمة والتعريب:

تداخلت قضيتا الترجمة والتعريب، فالترجمة تعزز التواصل الحضاري والثقافي بين الشعوب، على حين تضيق قضية التعريب عمليات الوعي بالذات، وقد توخت الخطة القومية للترجمة إغناء الفكر العربي وإخصابه بروائع التراث العالمي وإرساء نهضة علمية بنقل العلوم المختلفة والتكنولوجية الحديثة ونقل الدراسات العميقة في شتى فروع المعرفة لتعزيز البحث العلمي والمساعدة على تعريب التعليم، وتعريف المواطن العربي بقضايا العصر ومشكلاته وتعريف العالم بنتائج الفكر العربي، قديمه وحديثه، وتطوير اللغة العربية لتصبح قادرة على التعبير عن متطلبات الثقافة الحديثة³⁰، وكان الدافع الرئيس إلى التعريب هو الحفاظ على الذات القومية، كما تظهره تجاربه في الأقطار العربية المختلفة، أما أهم لوازمه فهو التعريب العناية الداخلية بالخصوصيات الثقافية في الجهد الإعلامي . اللغوي المشترك، مثل منهجية التنسيق بين المعاجم، والتعريب المتصل بأبحاث الألسنية وعلم الدلالة والنحو العربي وقضايا اللهجات والعلاقات بين الدين واللغة والأدب والقضايا الحضارية، ومكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، وأوجز محمد المنجي الصيادي منجز التعريب بالنهوض باللغة العربية، ودعا إلى الاستفادة من إمكانيات الاتصال والإعلام والإمكانيات الآلية الراهنة والمقبلة في إكساب اللغة العربية خيارها الحضاري الراسخ، «إذ لا يمكن بحال مواجهة الأجنبي الذي يروم تعلم العربية بصعوبات هذه اللغة دون التفكير في قضية العرب المهاجرين، والصورة التي بها يمكن تعريب أبنائهم حتى لا يبقوا غرباء عن لغتهم

³⁰ انظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الخطة القومية للترجمة، منشورات المنظمة، تونس 1985، ص22.

الأم»³¹.

واجه الجانب الاتصالي والإعلامي للغة العربية إشكالات متعددة، وأهمها تقاطع الإشكال المعرفي والإشكال اللغوي، على أن أداة الإبداع العربي في العلوم والآداب والفنون هي اللغة العربية في تمثيلها وتمثلاتها. وقد نبّه عدد من المشتغلين بالترجمة على مخاطرها بين تسطيح الوعي واختزال المعرفة، كما هو الحال مع يحيى الرخاوي (أستاذ الطب النفسي في جامعة القاهرة) الذي رهن اللغة بالعلم والمعرفة، لئلا يغفل عن الفروق الجوهرية الثقافية والحضارية بين من يتكلم لغة وأخرى، لأنها مجرد فروق لغة فحسب، بل هي فروق تاريخ ودين وأهداف وأعراف مختلفة، ولا تتعلق المسألة بالتعصب القومي، ولا تسعف فرص الحوار الحضاري بين الشعوب، إلا بالتدابير السليمة للاتصال في المؤسسات الإعلامية، ثم وجد أن الانطلاقة من لغتنا العربية، «تركيباً له بنيته الخاصة، وليس ترجمة عاجزة عن الحركة المستقلة، له من العوامل الأساسية التي قد تتيح لنا اختبار منهج آخر أكثر قدرة على سبر غور الحقيقة والإلمام بجوانب المعرفة»³².

ما تزال إشكالية الترجمة والتعريب قائمة ما لم تعالج قضايا المصطلح في مجالاته الواسعة كالثقافة والتعليم والنشاط الفكري والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويتلاقى التعريب مع أطروحات وضع المصطلح وتنسيقه وتوحيده عند العناية القصوى بالدلالة المصطلحية ووظائفها في إنتاج المعرفة.

وثمة مجالات أخرى تتطلب مراعاة اعتبارات اللغة العربية لدى استيعاب المعرفة وتأصيلها مما ينفع في تنمية المعرفة مثل اللغة والتراث العلمي واللغة والتراث الثقافي.. الخ.

³¹ التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مصدر سابق، ص 630.

³² الرخاوي، يحيى: مخاطر الترجمة بين تسطيح الوعي واختزال المعرفة، في كتاب «قضايا فكرية» السالف الذكر، ص 193.

4. المؤسسات الإعلامية واللغة واشتراطاتهما:

بدأت المؤسسات الإعلامية بالمكتوب في الصحافة والدوريات المختلفة، ثم تطورت خلال القرن العشرين مع الشفاهي والترسيم والبث بالصوت والصورة، وبلغ التطور مداه الأقصى مع المعلوماتية، ولكل مؤسسة اشتراطاتها اللغوية في النص أو الخطاب، وقد ارتهنت اللغة الإعلامية حتى وقت قريب بواقع الطباعة من جهة، والمعاجم من جهة ثانية، وتقانات وسائل الإعلام الحديثة ولاسيما الإذاعة من جهة ثالثة، ثم اتسع نطاق هذه الوسائل بالنشر الإلكتروني وانتقال الاتصال من ثقافة الكلمة وثقافة الصورة إلى الثقافة الرقمية.

1.4 الطباعة:

حملت الطباعة علامات الإعلام بالدرجة الأولى في الكتب والدوريات والنشرات والبيانات وسواها، ونُظر إلى الحرف العربي عاملاً تنويرياً ونهضوياً في إنتاج المعرفة، وروعت الجوانب التقنية والجمالية والاستمرارية في عمل المؤسسات الإعلامية والثقافية والتربوية على حدّ سواء، ونادى اللغويون العرب بقومية التوجه النصّي والخطابي عند إنتاج المعرفة، وتجنب «الوقوع تحت تأثير شركة واحدة أجنبية في اصطناع ما نحتاج إليه، حتى نقطع الطريق على التنافس بين الشركات ونتحكم في قضايا الثقافة العربية»³³.

وقد استندت الطباعة إلى إمكانيات النشر العادي حتى مطلع التسعينيات من القرن العشرين، وما تزال هذه الإمكانيات هي الرئيسة في النشر في واقع الثقافة العربية، لأن النشر الإلكتروني محدود في الإعلام العربي حتى اليوم بعامّة، أي إن النشر العادي بالطباعة في الصحف والمجلات والكتب والمنشورات والإعلانات والأدلة.. إلخ هو المتسيد في المؤسسات الإعلامية، وهناك القليل القليل من المؤسسات الإعلامية والإلكترونية، واللافت للنظر هو استخدامها في المواقف السياسية باسم الحرية أو المعارضة أو الهجاء أو التشائم دون التصريح بالقائلين غالباً، على حين مالت بعض المؤسسات الإعلامية إلى مدّ

³³ فيصل، شكري: قضايا اللغة العربية: بحث في الإطار العام للموضوع، في كتاب «من قضايا اللغة العربية المعاصرة»، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1990، ص 51.

منابرها وقنواتها إلى المواقع الإلكترونية أو على «الإنترنت». أما الرأي في المستويات اللغوية الاتصالية، فإنها أكثر فقراً في إنتاج المعرفة أو استيعابها.

2.4 المعاجم:

تدور المعاجم حول الكلمة ايضاحاً وشرحاً لإجلاء المعنى المعجمي وما يتلوه من معنى اجتماعي أو دلالي، وتعنى المعاجم بتفصيلات الكلمة ومشتقاتها، وتراعي الهجاء أو التهجى للكلمة ونطقها وكتابتها الصوتية وحدودها الصرفية والنحوية، وشرح معانيها الأفقية والتعاقبية وتشابكاتها مع الوظيفية الدلالية، ثم صارت المعاجم إلى النشر الإلكتروني وتواصلها مع المواقع على الإنترنت، وأذكر تجربة الكويت المتميزة في تحقيق معجم «تاج العروس من جواهر القاموس» منذ مطلع ستينيات القرن العشرين حتى نهاية القرن، وبلغ عددها أربعين مجلداً، واقترحت على المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب أن ينشر إلكترونياً، لتيسير توزيعه والتعامل معه، وأجيب الدعوة، واستفاد المعنيون باللغة وبالمعرفة كثيراً من هذا الإنجاز الحضاري والعلمي المتطور.

وعندما نستحضر التفاصيل التاريخية في الاشتغال المعجمي نلاحظ أن المعاجم دعمت اللغة الإعلامية دعماً مطلقاً في إنتاج المعرفة، ولا سيما المعاجم العلمية في مجالات المعرفة والعلوم واختصاصاتها الدقيقة. وازدادت المعاجم العربية غنى بعنايتها الفاتكة بالتعريفات اللغوية: الصوتية واللغوية والدلالية والدلالية المنطقية والدلالية الاسمية والتعريف بالترايف وبالمخالفة وبالإحالة، والتعريف التخصصي، والتعريف بالسياق والتعريف التصويري، على الرغم من معضلات التعريف المتنامية ما لم تتضاعف جهود تطوير المعاجم العربية في مجالات المعرفة العلمية، و«توفير قدر من المعلومات التي ستشكل مدخلاً لمحاولة رسم الخطوط العامة لنظرية معجمية عربية يكون بمقتضاها بناء معاجم الطلاب اللغوية»³⁴.

³⁴ العواضي، حميد مطيع: المعاجم اللغوية المعاصرة، قضاياها النظرية والتطبيقية، مؤسسة العفيف الثقافية، مطابع معين، صنعاء 1999، ص 209.

ويكاد يتفق المعجميون العرب على أن اشتراطات المعجم العربي الإعلامية والاتصالية تتحقق «بجهود فريق عمل متخصص يعمل وفق مخطط مدروس ونظام محكم وتحت إدارة خبيرة. وتعمل على محاور متعددة على وفق نظام محكم دقيق متناسق متكافل الجوانب متكامل الشروط، وتحت إشراف منهجي سديد من قبل المؤسسات اللغوية القومية، وفي إطار تعاون وثيق مع الجامعات ومراكز ومعاهد البحوث العلمية والداوئر الثقافية والمؤسسات القومية والقطرية ذات الصلة، وتحت رعاية ودعم مادي ومعنوي من قبل صانعي القرار السياسي أيضاً»³⁵.

إن المعاجم هي الأساس في دعم الاختصاصات العلمية وتأطيرها اللغوي وتواصلها المعرفي، وفي تعضيد عمليات التربية والتعليم والتكون الإنساني والاجتماعي والنفسي، ويتطلب ذلك وضع معاجم جديدة في منهجيتها ومحتواها وتصنيفاتها وتدقيق عمليات الجمع والوضع والتعريف والتسمية..إلخ.

3.4 تقانات وسائل الاتصال الحديثة:

تطورت اللغة الإعلامية كثيراً بتأثير تقانات وسائل الاتصال الحديثة، وفي مقدمتها الإذاعة التي يسرت مناهج البحث العلمي والتعليم والتربية بلوغاً لعمليات إنتاج المعرفة، وذلك باعتماد الوسائل السمعية والبصرية في تقريب المعرفة ونشرها وتأصيلها في التلقي الثقافي بعد ذلك.

وتشير مستقبلات الإعلام، بالنظر في منجزها الحالي، إلى أن الإذاعة المرئية أو المسموعة تبدلت كثيراً عن أوضاعها من مجرد كونها منبراً للدعابة إلى اختراقها للحدود، في طبيعتهما وتقاناتهما الأولية وانتشارهما ومقوماتهما، ومنها اللغة، فظهرت «المالتيديا» تطابقاً مع مفهوم وسائل الإعلام المتعددة التي يمتد استعمالها الواسع إلى الثقافة والتربية وبنوك المعلومات والإدارة التوثيقية الإلكترونية.. إلخ.

³⁵ المعتوق، أحمد محمد: المعاجم اللغوية العربية - المعاجم العامة: وظائفها ومستوياتها وأثرها في تنمية لغة الناشئة، دراسة وصفية تحليلية نقدية، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص 256-257.

وتعقدت التقنيات الجديدة للإعلام كثيراً كما هو الحال مع تقانات «الإعلام في متناول اليد» المتعلقة مع تقانات الاتصال الشخصية من خلال الحوسبة الصغيرة الخاصة واقتترانها بشكل أو بآخر مع شبكة المعلوماتية «الإنترنت» وغير ذلك.

وأنجزت هذه التقنيات الجديدة للإعلام حلول النظام الرقمي العام في إنتاج الإذاعة العربية المرئية أو المسموعة أو الصحافة ذات الانتشار الواسع للمعرفة، مما يضاعف من مكانة اللغة في ضبط هذه التقنيات.

4.4 من النشر إلى النشر الإلكتروني:

ارتقت مستويات التعليم والتربية والإعلام والثقافة باستخدام تقانات النشر الإلكتروني، واستدعى ذلك تعديل اللغة الإعلامية بأجهزتها المختلفة بإدخال الحوسبة إلى هذه الأجهزة. وأعالج هذه القضية في بحث تالٍ.

5. ملاحظات عامة:

بات واضحاً أن الاعتبارات اللغوية وتمثلاتها في المناهج المعفية شديدة التأثير في إنتاج المعرفة، مثلما ترسّخت هذه المناهج باللغة العربية ومداها الاتصالي والإعلامي، مما يتطلب العناية الفائقة بالبلاغية في خصوصيات اللغة الإعلامية كالأداء، والتخييل، والطول والقصر، والمكتوب الشفاهي، والثنائيات اللغوية، وقواعد الاستصحاب، وتمتد الاعتبارات اللغوية إلى وعي مجالات استيعاب المعرفة وتأصيلها لدى توثيق المصطلحية، والترجمة والتعريب، وهناك اشتراطات عديدة لا بد من مراعاتها أيضاً في اللغة الإعلامية، كالطباعة، والمعاجم، وتقانات وسائل الاتصال الحديثة، وهي مسائل عولجت في هذا البحث معالجة شاملة، أما النقانة التي هي أحدث وأهم وأشد تأثيراً في الاعتبارات اللغوية داخل المؤسسات الإعلامية عند إنتاج المعرفة فهي وعي عمليات الانتقال من النشر إلى النشر الإلكتروني، ودرس اللغة والإعلام والمعلوماتية في إنتاج المعرفة، ويحتاج هذا الدرس إلى بحث آخر.

المصادر والمراجع

آ. الكتب:

1. أحمد خريس: العوالم الميتاقصية في الرواية العربية. دار الفارابي. بيروت ودار أزمنة. عمان 2001.
2. أحمد محمد المعتوق: المعاجم اللغوية العربية. المعاجم العامة: وظائفها ومستوياتها وأثرها في تنمية لغة الناشئة. دراسة وصفية تحليلية نقدية. منشورات المجمع الثقافي. أبو ظبي. 1999.
3. تمام حسان: الأصول. دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: نحو، فقه لغة، بلاغة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة 1982.
4. حسن يوسف: المسرح في المرايا. شعرية «الميتا مسرح» واشتغالها في النص المسرحي الغربي والعربي. منشورات اتحاد كتّاب المغرب. الرباط 2003.
5. حمدان حسين محمد: التفكير اللغوي الدلالي عند علماء العربية المتقدمين. منشورات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس. ليبيا 2002.
6. حمزة بن قبالن المزني: التحيز اللغوي وقضايا أخرى. كتاب الرياض 125. منشورات مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض. 2004.
7. حميد مطيع العواضي: المعاجم اللغوية المعاصرة. قضاياها النظرية والتطبيقية. مؤسسة العفيف الثقافية. مطابع معين. صنعاء 1999.
8. سكيئة إبراهيم عامر: فن الاتصال بالآخرين. دراسة في السلوك الإنسان. دار نون للتدريب والاستشارات. بنغازي 2001.
9. سمر روجي الفيصل: اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث. منشورات اتحاد الكتّاب العرب. دمشق 1993.
10. سيرموريس بورا: الخيال الرومانسي (تجربة إبراهيم الصيرفي). الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة 1977.
11. عدة مؤلفين: «من قضايا اللغة العربية المعاصرة». منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس 1990.
12. عاطف جودة أبو نصر: الخيال، مفهوماته ووظائفه. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. 1984.
13. عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981
14. عدة مؤلفين: «التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية». مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت 1982.
15. عدة مؤلفين: وجهات نظر حول تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003. منشورات مجلة «السياسة الدولية» القاهرة بالتعاون مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة. القاهرة 2003.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

16. فان دايك: النص والسياق . استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي. (ترجمة عبد القادر قنيني). أفريقيا الشرق . بيروت . الدار البيضاء 2000.
 17. فايز الصائغ: اللغة والتعريب ودور الإعلام . بحث تطبيقي في تجربة الجمهورية العربية السورية. منشورات دار مجلة الثقافة بدمشق . دمشق 1992.
 18. محمد المنجي الصيادي: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت 1980.
 19. عدة مؤلفين: «قضايا المصطلح: اللغة العربية في مواكبة العلوم الحديثة». منشورات جامعة تشرين . اللاذقية 1998.
 20. محمد عزلم: الاتجاهات الفكرية المعاصرة من السلفية إلى الحداثة. منشورات وزارة الثقافة . دمشق 2004.
 21. محمود السيد: في الأداء اللغوي، وزارة الثقافة، دمشق، 2005.
 22. مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة . دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية. منشورات جامعة الحسن الثاني . عين الشق . كلية الآداب والعلوم الإنسانية. سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4 . مطبعة فضالة . المحمدية 1998.
 23. المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم: الخطة القومية للترجمة. منشورات المنظمة . تونس 1985.
 24. عدة مؤلفين: «قضايا فكرية لغتنا العربية في معركة الحضارة». منشورات قضايا فكرية للنشر والتوزيع . القاهرة 1997.
- ب. الدوريات:
1. أدوار الخراط: مصريون قلباً.. فرانكفونيون قالباً: شهادة شخصية. في مجلة «ألف» . القاهرة . العدد 20 . 2000.
 2. بشير ابرير: التواصل مع النص . من أجل قراءة فعالة محققة للفهم. في مجلة «اللغة العربية» . الجزائر العدد الرابع 2001.
 3. محمد الحباس: اللغة العربية المشتركة واللهجات العامية. في مجلة «اللغة العربية» . الجزائر . العدد الثامن . صيف 2003.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

بحوث في التعليم العالي

التحريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

في المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام حسان

د. عبد الرحمن بن حسن العارف

معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى مكة المكرمة

هذا البحث هو نواة أولية، ومقاربة منهجية، ومعالج وصوى، وخطوط عامة كبرى، تحاول الإحاطة بأطراف موضوعه، والكشف عن مجمل جوانبه، من خلال عينة عشوائية امتدت إليها يدي من بين كم هائل من المصطلحات اللغوية التي حفلت بها مؤلفات أستاذنا وأعماله العلمية المترجمة.

ولعلّ مما دعاني لاختيار هذه القضية لتكون موضوعاً لبحثي أسباباً أربعة أجمالها على الترتيب:

أولاً: أنّ المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام ظاهرة بارزة وسمة مميزة يلمسها كل من يتعامل مع مؤلفاته، ويحاول الكشف عن آرائه واجتهاداته في قضايا اللغة، فهو بهذا حريّاً بالبحث والتأصيل، وقميناً بالرصد والدرس والتحليل.

ثانياً: ما ورد لدى الدكتور محمود السعران . وهو من جيل الرواد اللسانيين المعاصرين . من إشارة متقدمة زمنياً 1962م، تحمل إحساساً بالمعاناة والمشقة من جرّاء التعامل مع المصطلحات اللسانية الحديثة على مستوى الكاتب والقارئ معاً¹ .

¹ ينظر كتابه القيم: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 26 - 36، 86 - 87.

ثالثاً: تلك الدعوة التي أطلقها الدكتور كمال بشر قبل ما يزيد على تسعة وثلاثين عاماً (1967م) مستنهضةً هم الدارسين والباحثين، ولافتةً أنظارهم إلى أنَّ ((قصة المصطلحات في الدراسات اللغوية تحتاج إلى بحث منفرد، وذلك لكثرتها واختلاف الدارسين في معانيها، حتى إنَّ الباحث الواحد قد يختلف مع نفسه في ترجمة المصطلح الواحد))².

رابعاً: ما لمستته من شكوى تكاد تكون عامة ومزمنة لدى المتخصصين بشأن قضية المصطلح اللغوي، والطرق المتبعة في صياغته وسبكه، وما نتج عن ذلك من بلبلة وازدواجية وفردية وعفوية في وضع المصطلح واستعماله، من جهة، وما يشبه القطيعة المعرفية بين أهل الفن الواحد، والأمة الواحدة، على مستوى مشرق الوطن العربي ومغربه، من جهة أخرى.

من أجل ذلك كلّه ندبت نفسي، ولا أدعي لها السبق في هذا الميدان³، للولوج إلى عالم المصطلح اللغوي، من خلال أحد أبرز رموزه ورواده في الدرس اللغوي العربي المعاصر، مدركاً أنها مغامرة تفوق حدود الطاقة، ومجازفة يكتنفها مخاطر جمّة. وأنا هنا أقدم اعتذاري عن عدم

² دراسات في علم اللغة، ق 1، ص 37.

³ هناك دراسات سابقة لواقع المصطلح اللغوي - بصفة عامة - أذكر منها: د. أحمد مختار عمر، المصطلحات الألسنية في اللغة العربية، ضمن (أشغال ندوة اللسانيات اللغة العربية) الجامعة التونسية، 1981م، ص 245-258، د. محمد رشاد الحمزاوي، مشاكل وضع المصطلحات اللغوية، ضمن (أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية)، ص 259-267، د. عبد القادر الفاسي الفهري، المصطلح اللساني، مجلة اللسان العربي، العدد 23، 1984م، ص 139-147، د. محمود فهمي حجازي، قضية المصطلح اللغوي الحديث، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء 57، 1406هـ 1985م، ص 122-140، د. أحمد مختار عمر، المصطلح اللساني العربي وضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر، المجلد 20، العدد 3، 1989م، ص 5-24، د. أحمد نعيم الكراعين، المصطلح اللغوي وسبل توحيد، مجلة اللسان العربي، العدد 39، 1995م، ص 330-332، د. مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، عالم الكتب الحديث، إربد/الأردن، 1424هـ 2003م، د. محمد حسن عبد العزيز، المصطلحات اللغوية، ضمن الكتاب التذكاري (تمام حسان رائداً لغوياً)، ص 287-326، د. محمد حلمي هليل، دراسة تقييمية لحصيلة المصطلح اللساني في العالم العربي، ضمن (ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية)، ص 287-334.

إحاطتي بجميع المصطلحات اللغوية الواردة في الأعمال العلمية للدكتور تمام؛ لأن ذلك مما تتجاوزه قدرة الباحث المفرد الذي يصعب عليه جرد تلك المصطلحات، وخاصة أنها تشمل كل مستويات اللغة، وفروع المعرفة اللغوية أو العلم اللغوي بوجه عام.

وبدايةً أقول: إنَّ رحلة المصطلح رحلة ذات مسافة بعيدة، تمتد عبر الزمان والأجيال، والثقافات والحضارات، والمصطلح يُصنع أو يوجد ليعيش وينمو ويستقرّ ويُستعمل، لا ليتلاشى ويموت، ومن هنا تبدو أهميته وخطورته معاً.

ونعني بالمصطلح هنا ((المفهوم المفرد أو العبارة المركبة التي استقرّ معناها، أو بالأحرى استعمالها، وحُدّد في وضوح، وهو تعبير خاص ضيق في دلالاته المتخصصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى، ويرد دائماً في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد، فيتحقق بذلك وضوحه الضروري))⁴.

والمصطلح اللساني العربي المعاصر بدأ تأريخه . كما يذكر الدكتور محمود فهمي حجازي . مع رفاة الطهطاوي ومعاصريه، وكانت بداية متواضعة، ثم ما لبث أن دخل مرحلة جديدة من مراحل تكونه وتشكله، وذلك مع إنشاء الجامعة الأهلية (المصرية بعد ذلك، وجامعة القاهرة حالياً) سنة 1908م، واستقدام الأساتذة المستشرقين من إيطاليا وألمانيا لتدريس الساميات أو علم اللغة المقارن، وفي مقدمة هؤلاء اللغويين الأساتذة: جويدي، وبرجستراسر، وشادة، الذين ألقوا محاضراتهم عن اللغة العربية الجنوبية القديمة، والعربية في ضوء اللغات السامية، والتطور النحوي للغة العربية، وعلم الأصوات عند سيبويه وعندنا، وكانت محاضرات حافلة بالمصطلحات

⁴ د. محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 11- 12 (بتصرف يسير). وللمزيد حول المفاهيم المتعددة للمصطلح ينظر: المصدر السابق، ص 7-16، د. مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، ص 13-18، د. إدريس الطراح، مفهوم المصطلح، ضمن أعمال ندوة (قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة مولاي إسماعيل، مكناس- المغرب، 2000م، الجزء الأول، ص 91-95، د. عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة في مصر، رسالة دكتوراه (تحت الطبع)، ص 284-286.

اللغوية الحديثة⁵.

ثم كانت عودة مبعوثي الدراسات اللغوية الحديثة من الغرب أواخر النصف الأول من القرن المنصرم (القرن العشرين)، سواء كانوا في مشرق الوطن العربي أو مغربه، ومع هؤلاء تكونت في مؤلفاتهم وترجماتهم للأعمال اللسانية الغربية أكثر المصطلحات تداولاً وشيوعاً في الجامعات العربية، وفي المجامع اللغوية، وإن تفاوتت فيما بينها كثرةً وذبوعاً أو قلّةً وانحساراً، بحسب التوزيع الجغوي أو الجغرافي للبلدان العربية، وبحسب الانتماء المعرفي للمدارس الألسنيه الغربية التي تأثر بها رواد الفكر اللغوي الحديث في العالم العربي. وهذا ما نجده في مؤلفات جيل الرواد من اللسانيين العرب، كالدكتور علي عبد الواحد وافي، والدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور محمد أبو الفرج، والدكتور محمود السعران، والدكتور كمال بشر، والدكتور تمام حسان، والدكتور عبد الرحمن أيوب، والدكتور صالح القرمادي، والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، والدكتور إبراهيم السامرائي، والدكتور أنيس فريحة...إلخ.

ولابد من الإشارة في هذا المقام إلى أنّ تلك المصطلحات اللغوية لم تقتصر على علم اللغة العام (اللسانيات) بمستوياته المتعددة وحسب، بل شملت أيضاً علم اللغة المقارن، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة التطبيقي، ثم من بعدها الأدب والنقد، والدراسات الأسلوبية.

لقد كانت نقطة البدء في رحلة المصطلح اللغوي المعاصر تتمثل في بثّ هـ ضمن مؤلفات هؤلاء اللسانيين، أو في وضع قائمة خاصة به آخر تلك المؤلفات، وهذا المنهج أو الاتجاه الأخير كان من رواده في العالم العربي الدكتور محمود السعران، بل هو الأوحد من بين جيل الرواد الذي سار عليه، وذلك في كتابيه: (اللغة والمجتمع رأيٌ ومنهج) 1958م، و(علم اللغة مقدمةٌ للقارئ

⁵ ينظر: محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص217-224، وللمزيد ينظر: د. مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، 1/ 91-93، د. محيي الدين محسب، نقل المصطلح اللساني في مطلع القرن العشرين، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، د.ت.

العربي) 1962م⁶.

ولم يكن الدكتور السعران ينطلق في عمله هذا من فراغ أو ترف علمي، بل كان يشعر . كما سبق . بمدى الصعوبة التي تواجه عالم اللغة والقارئ لهذا العلم في مجال المصطلح اللغوي، ويرى تبعاً لذلك ضرورة إخضاعه وتنليله لكل مُنْتَمٍ إلى هذا الفن، وهذا ما دعاه إلى صناعة تلك القوائم المصطلحية التي كان منهجه فيها قائماً على ((التجديد والابتعاد عن المصطلحات القديمة))⁷.

وقد تزامن هذا الاتجاه مع قيام مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1962م بوضع مصطلحات خاصة بعلمي اللغة والأصوات، وذلك بإيعاز من عضوه المجمع الدكتور إبراهيم أنيس.

وظهر بعد ذلك اتجاه ثالث كان بمثابة إرساء دعائم المصطلح اللغوي على أسس علمية ومنهجية، متمثلاً في صدور معاجم وقواميس لسانية عربية مستقلة، وهي ما تعرف بالقواميس المختصة أو التخصصية، أو القواميس الفنية. وتقوم فكرتها على محاولة إحصاء المنظومة الاصطلاحية لعلوم اللسان وفق مناهج في تبويب مادتها، وترتيب مداخلها، وصياغة مفاهيمها، وطريقة عرضها وشرحها.. وقد صدر منها . عِلْمُتُهُ . خمسة عشر معجماً لسانياً، منها ما كان جهداً فردياً، أو عملاً جماعياً، أو صادراً عن مؤسسات علمية ذات مكانة في الفكر العربي المعاصر⁸.

⁶ اتبع هذا المنهج بعد ذلك أيضاً كلٌّ من الدكتور عبد الصبور شاهين في ترجمته كتاب هنري فليش (العربية الفصحى - نحو بناء لغوي جديد) 1966م، والدكتور صالح القرمادي في ترجمته كتاب جان كانتينو (دروس في علم أصوات العربية) 1968م، ثم أصبح ذلك اتجاهًا عاماً في الأعمال اللسانية المترجمة والمؤلفة.

⁷ د. محمد رشاد الحمزاوي، مشاكل وضع المصطلحات اللغوية (مصدر سابق)، ص 261. وينظر: د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ق1، ص 25-38، د. عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة في مصر (مصدر سابق)، ص 296-298، د. مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، 158/1-159.

⁸ لمزيد من التفاصيل حول هذه المعاجم ينظر: د. عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة

وبعد، فقد كان هذا مدخلاً منهجياً لموضوع بحثنا، أننتقل بعده إلى القول: إنَّ المتأمل في أعمال الدكتور تمام، وخاصة التي صدرت في الخمسينيات من القرن الماضي، يجد فيها وفرة في المصطلحات اللغوية التي استُعملت أول مرة في البحث اللغوي العربي، وهذا بطبيعة الحال ليس بالأمر المفاجئ أو غير المتوقع، لأنَّ الدكتور تمام ورفاقه كانوا يتعاملون مع أجهزة اصطلاحية ومضامين لسانية جديدة ذات جذور ثقافية وحضارية لفكر غربي محض، مما اضطرهم لنقلها إلى المستقبل العربي بجهد فردي صرف، ووسائل متعددة متباينة، دون أن يكون هناك مُدَوِّنة أو أُطرَّ محدَّدة في هذا الميدان تُوجِّه أو تُرشِّد إلى كيفية التعامل مع تلك المصطلحات الوافدة. وتبعاً لهذا ((واجه اللغويون العرب مشكلة المصطلحات اللسانية منذ تصدوا لهذا العلم الحديث بالتلقي والتمثُّل، ومحاولة الإنشاء والوضع. ولقد كان شأن جيل اللسانيين الأوائل ... مغالبة المتصورات، ومرادوة المفاهيم بمختلف السبل الاصطلاحية، فكان الاحتيال على المدلولات في جل الأحيان سابقاً للحيرة الاصطلاحية من حيث هي تصورات معرفية، وتقنيات لغوية، يتصل جميعها بصياغة الدوال العلمية))⁹.

وبحق، فإن تصدَّى جيل الرواد لهذه المعضلة إنما ينم على شجاعة وجراءة تحسب لهم في الميزان، وقد كان الدكتور تمام من هذا الجيل ((الذين عانوا قضية المصطلح اللغوي، والذين يعود لهم الفضل في مجابهة هذا المارد وترويضه، ودمجه في العربية بنيةً ومفهوماً))¹⁰.

وكان منهجه في تقديم هذا المصطلح يقوم على عدة وسائل، هي فيما اتضح لي: الترجمة، والتعريب، وإيثار المصطلح العربي القديم، أو بمعنى آخر تأصيل المفاهيم اللسانية الحديثة عن طريق البحث عن مصطلحات عربية قديمة. وقد يلجأ أحياناً لإيراد المصطلح الأجنبي كما هو دون تدخل منه بترجمة أو تعريب.

في مصر، ص 301-319، د. محمد حلمي هليل، دراسة تقييمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي (مصدر سابق)، ص 287-334.

⁹ د. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 73.

¹⁰ د. محمد رشاد الحمزاوي، مشاكل وضع المصطلحات اللغوية (مصدر سابق)، ص 261.

أما الوسائل الأخرى المتبعة عادةً في وضع المصطلح، كالاشتقاق، والنحت، والمجاز، والتوليد، فلم يكن لها وجود ضمن الطرق التي اصطنعها لصوغ مصطلحاته.

وقد أحصيت ما وقع عليه نظري من مصطلحات لغوية في مؤلفاته فوجدتها تبلغ نحواً من مئتي مصطلح، وهو عدد ليس باليسير إذا ما أخذنا بالحسبان المدة الزمنية المبكرة التي صدرت فيها تلك الأعمال العلمية. أما أعماله المترجمة فكان للمصطلح اللغوي حضوره الكبير فيها، وبخاصة الكتاب المترجم (النص والخطاب والإجراء) لدي بيوجراند، كما سنبينه لاحقاً.

وقبل بدء الحديث أرى أنه من الضروري الإشارة إلى أنّ المصطلح، من حيث هو مصطلح فني عام، كان مجالاً نظرياً أولاً لإسهام الدكتور تمام ومعالجته له على مستويي المفهوم وشروط الصياغة، نلمس ذلك في تناوله للاعتبارات التي ينبغي أن تطبق في خلق الاصطلاحات واختيارها¹¹، وكذلك في دراساته المتعددة عن مصطلحات سيبيويه الصوتية¹²، ووضع المصطلح العربي في علمي النحو والصرف¹³، والمصطلح النقدي بين العرفية والارتجال¹⁴، والمصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة¹⁵.

وفي الحقيقة أن الدكتور تمام كان مدركاً منذ البداية خطورة وضع المصطلح، وظل هذا الإدراك ملازماً له حتى آخر ماصدر له من بحوث ومقالات، فهو في مقال له عن ألفاظ الحضارة¹⁶ يشير إلى إحدى طرق صوغ المصطلح اللغوي والمخاطر الجسيمة التي تكتنفها، وما ينتج عنها من تعدد للمصطلح الواحد، وهي طريقة الترجمة من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية،

¹¹ ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 159 - 162.

¹² نشرها في مجلة الأزهر، الجزء 10، المجلد 32، 1380 هـ - 1961 م، ص 1077 - 1084.

¹³ بحث ألقى ضمن النشاط الموسمي لمجمع اللغة العربية الأردني، ونشر ضمن الموسم الثقافي للمجمع سنة 1414 هـ - 1994 م، ص 121 - 142، كما نشر ضمن كتابه (مقالات في اللغة والأدب)، ج 2 ص 101 - 123.

¹⁴ بحث منشور ضمن كتابه (مقالات في اللغة والأدب)، ج 2، ص 124 - 138.

¹⁵ بحث منشور ضمن كتابه السابق، ص 139 - 181.

¹⁶ نشره ضمن كتابه (مقالات في اللغة والأدب)، ج 2، ص 322 - 332.

عازياً السبب في هذا إلى المترجمين أنفسهم الذين ذهبوا إلى الغرب وتلقوا تلك المصطلحات في بيئتها الأجنبية، ثم عادوا إلى بلدانهم مفكرين في كيفية التعبير بالعربية عن تلك المفاهيم الاصطلاحية بمنأى عن جهود سبقتهم في هذا الميدان، مما أدى إلى افتقاد شرط العرفية الواجبة للمصطلح، ومن ثمّ التشتت والتعدد اللذين يمثلان أكبر خطر يواجه مستقبل العربية¹⁷.

أما الجانب التطبيقي فنجدته متمثلاً في أعماله العلمية المؤلّف منها والمترجم، على النحو الذي سنعرض له في تضاعيف هذا البحث.

فمن المصطلحات المبكرة التي استخدمها الدكتور تمام مصطلحا الوصفية والمعيارية. فأما الوصفية فهي ترجمة حرفية للمصطلح الأجنبي descriptive، والمعيارية ترجمة حرفية أيضاً للمصطلح الأجنبي prescriptive¹⁸. وقد جعل الدكتور تمام هذين المصطلحين عنواناً لكتابه (اللغة بين المعيارية والوصفية)، وفيه يفرّق بين ناحيتين من نواحي النشاط اللغوي، هما الاستعمال اللغوي، والبحث اللغوي، ويُعدّ الأول من وظيفة المتكلم، فهو تبعاً لهذا معياري، كما يُعدّ الآخر من وظيفة الباحث، وهو بهذا نشاط وصفي.

والوصفية والمعيارية منهجان أو اتجاهان في دراسة اللغة، وهما ثنائيتان متقابلتان في الفكر اللغوي، وإن كان الدكتور عبد السلام المسدي يرى خلاف ذلك¹⁹.

وقد كُتب لهذين المصطلحين السيورة والشيوع في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، وأصبحت الوصفية منهجاً مطبقاً في كثير من الأعمال اللسانية، ولعلي لا أبالغ في القول: إنّ هذين المصطلحين شرقاً وغرباً في الآفاق، وكانا بمثابة الشرارة الأولى التي حركت ما كان ساكناً في الفكر اللغوي العربي الحديث، وتركنا آثاراً تفوق الوصف على مسار هذا الفكر، وبسببهما قام

¹⁷ المصدر السابق، ص330-332.

¹⁸ يستعمل الدكتور كمال بشر مصطلحين إنجليزيين يُعبّران عنده عن المعيارية، أحدهما المذكور، والآخر Normative. ينظر: دراسات في علم اللغة، ق1، ص19.

¹⁹ ينظر: الفكر العربي والألسنية، ضمن (أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية) ص13-15. وتؤيده في ذلك الدكتورة فاطمة الهاشمي بكوش. ينظر: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص50.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

سجال كبير بين المحافظين والمجدّدين، أو بين أنصار القديم ودعاة التحديث²⁰.

ومن هذه المصطلحات مصطلحا علم الأصوات وعلم التشكيل الصوتي، وهما ترجمتان ارتضاها الدكتور تمام للمصطلحين الإنجليزيين phonetics (فوناتيكنس)، و phonology (فنولوجي). والفرق بينهما يكمن في أنّ الأول يتناول دراسة الأصوات التي تجري في الكلام من حيث هي حركات عضوية مقترنة بنغمات صوتية، أمّا الآخر فيتناول دراسة الأصوات في تجاوزها وارتباطاتها وسلوكها في مواقعها وسياقاتها المختلفة.

والدكتور تمام حينما يفرّق هنا بين هذين المصطلحين إنما يعتمد في ذلك على أساس التفريق السوسيري بين الكلام واللغة، فالفوناتيكن من دراسة الكلام، والفنولوجيا من دراسة اللغة²¹.

وبطبيعة الحال لم يتفق اللغويون المعاصرون بشأن هذه الترجمة، أو في وسيلة نقل هذين المصطلحين إلى العربية²²، بيد أنه مهما يكن من شيء فإنّ هذا التفاوت في التعامل مع المصطلح اللغوي الأجنبي لدى اللغويين المعاصرين العرب إنما يُظهر بصورة أو بأخرى عدم استقرار المصطلح في موطنه نتيجةً لتعدد المذاهب الألسنية هناك، وهذا ما أسفر عنه ما يشبه التناقض والاضطراب في المصطلح والرؤية والمفهوم، وهذا الأمر امتد أثره إلى المصطلح اللغوي

²⁰ يذكر الدكتور عبد السلام المسديّ أنّ معركة الوصفية والمعيارية في المعرفة اللغوية هي من أخطر ما عاق ازدهار الوعي في أوساطنا العلمية، حيث نتج عن ذلك ((خلط منهجي وتحريف مبدئي تولدت عنهما مجموعة من المشاكل الزائفة أريكت دعاة المعيارية، و أرهقت أنصار الوصفية)). الفكر العربي والألسنية، ص13. وأيدته في هذا الدكتورة فاطمة الهاشمي بكوش. ينظر: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص50.

²¹ ينظر: د. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص139.

²² اللغويين المعاصرين مذاهب شتى في التعامل مع هذين المصطلحين، فبعضهم يؤثر ترجمتها، وبعضهم يميل إلى تعريبها. ينظر: د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص5، اللغة بين القومية والعالمية، ص25، د.كمال بشر، علم اللغة العام - الأصوات، ص29-30. وللمزيد حول هذه الترجمات ينظر: د. عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص213-215، د.محمد حلمي هليل، المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب، مجلة اللسان العربي (الرباط) العدد 21، 1983، ص 97-135، د. عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة في مصر (مصدر سابق)، ص60-70.

العربي.

ومن المصطلحات الصوتية التي تفرّد بها الدكتور تمام وعُدّت من ابتكاراته مصطلح الطبقيّة²³، (أي النطق في مخرج الطبّق)، ومصطلحا التغيّير والتحليق.

فأمّا الطبقيّة velar articulation، فهي ((ارتفاع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق فيسد المجرى أو يضيقه تضيقاً يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما، فهي إذاً حركة عضوية مقصودة لذاتها يبقى طرف اللسان معها في وضع محايد²⁴)). ويذكر الدكتور تمام أنّ هذه التسمية (المصطلح) أخذت من كلمة مطبق وكلمة إطباق بعد خلق صلة بين معاني الكلمات الثلاث، وقد ((خُلقت خُلقاً لتناسب أغراض البحث العلمي))²⁵. كما يذكر أنّ هناك مصطلحاً آخر هو الإطباق velarization، داعياً إلى عدم الخلط بينه وبين الطبقيّة نظراً لاتحادهما في كثير من الصفات. ويعني الإطباق ((ارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطبّق بحيث لا يتصل به، على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطبّق... فالإطباق إذاً حركة مصاحبة للنطق الحادث في مخرج آخر...))²⁶.

وقد تفاوتت ردود الفعل تجاه هذا المصطلح، فعلى حين نجد الدكتور إبراهيم أنيس لم يَرُقْ له هذا الاستعمال بحجة أنه ليس لكلمة الطبّق أيُّ معنى يتصل بالفهم²⁷، نجد الدكتور رمضان عبد التواب يصف عمل الدكتور تمام بالحسن²⁸، أمّا الدكتور أحمد مختار عمر فقد أشار إلى ما في

²³ ذكر هذا الدكتور إبراهيم أنيس حينما وصف هذا المصطلح بأنه من ابتكارات بعض الدارسين الآن، ينظر:

الأصوات اللغوية، ط4، ص108.

²⁴ مناهج البحث في اللغة، ص089.

²⁵ المصدر نفسه، ص85.

²⁶ مناهج البحث في اللغة، ص89.

²⁷ الأصوات اللغوية، ص108.

²⁸ مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص38. وللمزيد ينظر: مصطفى صادق أبوسليمان، الدراسات اللغوية الحديثة في مصر، رسالة ماجستير بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، 1987م، ص 196 - 202.

التفرقة بين هذين المصطلحين من دقة متناهية في انتقاء المصطلح²⁹.
ويقابل الإطباق مصطلح التغير palatalization، ويعني ((الميل بالصوت ذي المخرج الذي خلف الغار إلى أن ينطق في الغار، أو أقرب ما يكون إليه))³⁰.
وأما التحليق pharyngelization، وهو مصطلحٌ مُترجمٌ يرادف عند الدكتور تمام مصطلح القدماء (الاستطالة)³¹، فهو أحد عناصر التقويم حيث يقرب ((مؤخر اللسان من الجدار الخلفي للحلق نتيجةً لتراجع اللسان بصفة عامة))³².
ولاشكَّ أنَّ الدرس الصوتي الحديث قد أفاد من هذه المصطلحات الثلاثة على النحو الذي نجده مستعملاً في معاجم المصطلحات اللغوية، أو المؤلفات الصوتية³³.
ومن تلك المصطلحات الصوتية أيضاً مصطلح القيم الخلافية، وهو ترجمة للمصطلح الغربي differential values. وهذا المصطلح تردد كثيراً في مؤلفات الدكتور تمام³⁴، وهو يُعدّ من أهم إنجازات حلقة (مدرسة) براغ اللغوية التي قدمتها في مجال الدراسات الفونولوجية³⁵.

²⁹ ينظر: المصطلحات الألسنية في اللغة العربية (مصدر سابق)، ص 247.

³⁰ مناهج البحث في اللغة، ص 90.

³¹ المصدر نفسه، ص 92.

³² المصدر نفسه، ص 90.

³³ ينظر على سبيل المثال: د. رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، ص 355، 370، د. بسام بركة، معجم اللسانية، ص 151، د. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 195-197، د. محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، ص 46.

³⁴ ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 117، مناهج البحث في اللغة، ص 206، 211، 232، 261، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 34، 24-38، 67 فما بعدها، 178.

³⁵ ينظر: ر. ه. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص 325-331، جفري سامسون، مدارس اللسانيات-التسابق والتطور، ترجمة: د. محمد زياد كبة، ص 105-133، د. محمد محمد علي يونس، أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر (الكويت)، العدد 1، المجلد 32، 2003م، ص 150.

ويقف هذا المصطلح بإزاء مصطلح آخر هو القيم الوفاقية. وتقوم نظرية القيم الخلافية أو المقابلات³⁶ على علاقات التقابل في دراسة الأصوات والتشكيل الصوتي، ويتوسع هذا المفهوم ليشمل نظام اللغة بعامه، فالقيم الخلافية . ويطلق عليها أحياناً مصطلح المقابلات، أو نواحي الخلاف، أو الفروق³⁷. يمكن بواسطتها تحليل النظام النحوي عن طريق المقابلات بين عناصره المكونة له، وكذا تحليل النظام الصرفي عن طريق المقابلات بين الصيغ الصرفية، وأخيراً يجري تحديد المعنى سواء كان وظيفياً أو معجمياً بواسطة القيم الخلافية، ومحصلة هذه المقابلات هي تحقيق أمن اللبس الذي يُنظر إليه على أنه الغاية القصوى للاستعمال اللغوي³⁸.

ويظهر لي أنّ هذا المصطلح مُنتزَعٌ من التراث العربي، بل إنّ الدكتور تمام نفسه صرّح بأنّ الكوفيين أدركوا قيمة المقابلة في إيضاح المعنى فسمّوها (الخلاف)، كما أنّ الأصوليين اعتدّوا بما سمّوه (مفهوم المخالفة)³⁹. ويذكر في موضع آخر أن عبد القاهر الجرجاني استعمل مصطلح (الفروق) في نظرية النظم استعمالاً ذكياً يشير إلى أمر القيم الخلافية، أو المقابلات بين المعنى والمعنى، أو بين المبنى والمبنى⁴⁰.

وهنا نرى الدكتور تمام يؤثر استعمال أحد المفاهيم التراثية العربية ليكون ترجمةً لأحد المصطلحات الغربية، وذلك يدل . كما يقول الدكتور محمد خليفة الدناع . على ((أنه يبحث دائماً عن تلك الحلقة التي عدّها كثير من الباحثين مفقودة وهي ربط التراث النحوي واللغوي العربي بالنظريات الحديثة، وهذا يُعدُّ تأصيلاً فوق كونه اعتزازاً برصيد هذه الأمة))⁴¹، وإن كان بعض

³⁶ اللغة العربية معناها ومبناها، ص 37، 67.

³⁷ المصدر السابق، ص 34، 68، 187.

³⁸ ينظر: المصدر السابق، ص 34، 38، 67، 79.

³⁹ المصدر السابق، ص 35.

⁴⁰ اللغة العربية معناها ومبناها، ص 187. وينظر: ص 24 من هذا الكتاب.

⁴¹ الأستاذ الدكتور تمام حسان مؤصلاً للتراث اللغوي، ضمن الكتاب التذكاري (تمام حسان رائداً لغوياً)، ص 328.

المعاصرين يُبدي حذراً شديداً من اللجوء إلى هذه الطريقة في صوغ المصطلح اللغوي⁴². وقبل أن أوصل العرض والتحليل، أود الإشارة السريعة إلى أن بعض الباحثين المعاصرين ذكروا أن مفهوم القيم الخلافية الذي قال به الدكتور تمام مقتبس من المصطلح الأجنبي Distinctive Features⁴³، وهذا خلاف ما ورد لدى الدكتور تمام. كما سبق. كما أن هناك من يترجم هذا المصطلح بالملامح التمييزية، أو السمات المميزة، أو المعالم المميزة⁴⁴، وكما نرى فنحن هنا إزاء مصطلحين لمفهوم واحد أو متقارب، وهذه إحدى المشكلات المصطلحية؛ حيث يوهم هذا التعدد ((بتعدد المفاهيم، وليس من اقتصاديات اللغة أن يكون لكل باحث فرد أو لكل فئة صغيرة من الباحثين مصطلحاتها المتعددة والمفهوم العلمي واحد))⁴⁵ وما دمنّا في الحديث عن إيثار الدكتور تمام للمصطلح التراثي في ترجمة المصطلح الأجنبي، نورد نموذجاً آخر أكثر وضوحاً مما سبق، فهو يستخدم مصطلح (حرف) مقابلاً أو مرادفاً لمصطلح Phoneme، ومصطلح (صوت) مقابلاً أو مرادفاً لمصطلح Allophone⁴⁶، ولم يتوقف عند حد الاستعمال

⁴² ينظر: د. أحمد مختار عمر، المصطلح اللساني العربي وضبط المنهجية (مصدر سابق)، ص15، د. محمد حلمي هليل، المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب، مجلة اللسان العربي، العدد 21، 1983م، ص 102 فما بعدها، د. جعفر عبابنة، توحيد المصطلح في علم الأصوات، مجلة اللسان العربي، العدد 39، 1995م، ص314 فمابعدّها، د. مصطفى غلفان، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات - أيّ مصطلح لأيّ لسانيات؟ مجلة اللسان العربي، العدد 46، 1419هـ. 1998م، ص150-153.

⁴³ ينظر: د. فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص115، د. محمد محمد علي يونس، أصول اتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة (مصدر سابق)، ص150.

⁴⁴ ينظر: د. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، ص230، د. رمزي بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، ص156، د. محمد محمد علي يونس، أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، ص150، د. فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص115.

⁴⁵ د. محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 228. وللمزيد حول هذه المسألة ينظر: د. مصطفى طاهر الحيدارة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، 1/141 فما بعدها.

⁴⁶ ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص34، 66-78، مناهج البحث في اللغة، ص119-131.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

وحسب، بل قام بتعليل لجوئه إلى هذه الطريقة مبيناً وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة من هذين المصطلحين، وموقف علماء العربية تجاه ذلك⁴⁷.

ويرد علينا في هذا المقام المصطلح الشهير الذي أورده أول مرة العالم الأنثروبولوجي البولندي مالينوفسكي Mallinowski، وأقام عليه فيرث Firth نظريته في السياق، وهو مصطلح context of situation. وقد ترجمه الدكتور تمام أولاً إلى الماخریات*، وكان هذا في أوائل مؤلفاته صدوراً، وهما: (مناهج البحث في اللغة) 1955م⁴⁸ و(اللغة بين المعيارية والوصفية) 1958م⁴⁹، ثم في مقال له نشره سنة 1959م بعنوان (تشقيق المعنى)⁵⁰.

وهو مصطلح دلالي يعني ((مجموع عناصر محيطية بموضوع التحليل تشمل حتى التكوين الشخصي والتأريخ الثقافي للشخص، ويدخل في حسابها الماضي والحاضر والمستقبل))⁵¹.

لكننا نرى الدكتور تمام يعدل عن هذه الترجمة في أعمال علمية له صدرت بأخرة من الزمن، أو في مدة زمنية بعيدة عن صدور أعماله المبكرة، ويؤثر ترجمته إلى المقام أو القرائن الخارجية أو سياق الموقف، مُصرّحاً بأنه ارتضى له اصطلاح البلاغيين وهو المقام⁵².

⁴⁷ ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص73. وللمزيد ينظر: د. محمد حسن عبد العزيز، المصطلحات اللغوية (مصدر سابق)، ص313، د. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص229.

* الماخریات (جمع الماخری)، وهو من مصطلحات أهل المنطق. ينظر: د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص21.

⁴⁸ ينظر: ص 251 261 من هذا الكتاب.

⁴⁹ ينظر: ص 86، 122 من هذا الكتاب.

⁵⁰ ينظر: ص 86، 122 من هذا الكتاب.

⁵¹ د. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص252. وينظر: ص 262 من هذا الكتاب، الأصول، ص332 فما بعدها، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص122، مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص337. ولمزيد من التفصيلات حول مفهوم هذا المصطلح ينظر: د. ردة الله الطلحي، دلالة السياق، ص51-53.

⁵² اللغة العربية معناها ومبناها، ص182.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

ويذهب بعض اللغويين المعاصرين إلى أنّ هذا التصرف يؤدي إلى تعدد ترجمات المصطلح الواحد، كما تقدم، ومن ثمّ حدوث بلبلة واضطراب نتيجة لذلك⁵³. وأرى في هذا شيئاً من الصحة ولكنها صحة غير مطلقة، ذلك أنّ أفكار المرء في تطور دائم، وكذلك الجهاز المصطلحي لدى العلماء في نمو مطرد، فما يستحسنه بالأمس قد يعدل عنه إلى سواه اليوم لظروف علمية يقتضيها هذا العدول، والأمثلة على هذه الظاهرة جدّ كثيرة، مذكورة في كتب التاريخ، وطبقات التراجم، وأحوال العلماء.

صحيح أنّ ذلك فيه إشكالية على مستوى المصطلح، ولكن قد ينظر إلى هذا التعدد في استعمال المصطلح من باب الترادف والتقارب، ويكون الاختلاف هنا إنما هو اختلاف تتوّع وتعدّد لا اختلاف تناقض وتضاد، كما يقول علماء القراءات.

ويقرن بهذا المصطلح مصطلح آخر هو Speech Event، الذي تُرجم بالمقال⁵⁴، ووافقه في ذلك الدكتور سعد مصلوح⁵⁵، بيد أن بعض المعاصرين من اللغويين يذهب إلى ترجمته بالحدث الكلامي، أو الفعل الكلامي، أو صورة المقال⁵⁶. ولعل الدكتور تمام أراد بهذه الترجمة محاكاة التراث البلاغي القديم، غير أنني أرى هنا عدم كفاية هذه الترجمة للمصطلح الأجنبي، مع أن قرارات المجمع اللغوي بالقاهرة في الترجمة تنصّ على تفضيل الكلمة الواحدة على كلمتين فأكثر عند وضع اصطلاح جديد، إذا أمكن ذلك، وإذا لم يمكن ذلك فتفضل الترجمة الحرفية⁵⁷.

وأواصل الحديث فأقول: إن الدكتور تمام كان يعتمد أحياناً إلى تجلية الملابس التي تحيط بهذا المصطلح في لغته الأصلية، فنراه يذكر أن مصطلح Context . مثلاً . جرى عند من كتب

⁵³ د. محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص228.

⁵⁴ اللغة العربية معناها ومبناها، ص20، 41، 337. وينظر: الأصول، ص333.

⁵⁵ اللغة العربية معناها ومبناها، ص20، 41، 337. وينظر: الأصول، ص333.

⁵⁶ ينظر: معجم المصطلحات اللغوية، ص466، معجم علم اللغة النظري، ص265، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ص85.

⁵⁷ مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً، ص175.

((في دراسة المعنى بمعان مختلفة باختلاف فرع المعرفة الذي يستعمل فيه الاصطلاح...، حتى لقد لحقه بعض الغموض))⁵⁸. كما كان يقوم بذكر سبب اختياره لترجمة بعض المصطلحات دون سواها من المترجمات، نلمس ذلك في قوله عن مصطلح المقام: ((أجد لفظ المقام أصلح ما أُعبر به عما أفهمه من المصطلح الحديث situation of context الذي يستعمله اللسانيون المحدثون))⁵⁹. وهو هنا يشير بوضوح إلى أن هذا المقابل التراثي العربي هو الأكثر استيعاباً لدلالة المفهوم الأجنبي.

وفي الحقيقة أنّ الدكتور تمام حاول المقاربة بين المصطلح الأجنبي والمصطلح الذي أورده البلاغيون العرب وهو المقام، والذي سبق أن وقع عليه اختياره ليكون ترجمة للمصطلح الأجنبي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى حاول أن يستثمر مصطلح البلاغيين العرب في هذا الصدد، ويضيف إليه ديناميّة ومعاني لم ينسبها إليه البلاغيون⁶⁰.

ولا شك أنّ محاولة الربط بين المصطلح التراثي والمصطلح الأجنبي في المفهوم والرؤية العامة للاستعمال الفعلي، لهي مما يحمد لمن يرومها، ويتخذها منهجاً أولياً في التعامل مع المصطلح الوافد، إن أمكن ذلك، وقد ثبت أن ((عدم الإفادة من التراث العربي في علوم اللغة من حيث النظرية والمصطلح، وذلك عند محاولة إيجاد المقابل العربي لمصطلحات أوروبية))⁶¹ من أهم المشكلات التي واجهت المصطلح اللغوي العربي المعاصر.

وأختتم الحديث عن هذا المصطلح بالإشارة إلى أنّ اللغويين المعاصرين العرب تفاوتت ترجماتهم له وكانوا فيه أخفاً، بل إنّ الواحد منهم ليستعمل عدة مفاهيم له في وقت واحد، على النحو الذي نلمسه لدى الدكتور كمال بشر، والدكتور حلمي خليل، والدكتور محمود جاد

⁵⁸ مناهج البحث في اللغة، ص 261.

⁵⁹ الأصول، ص 333.

⁶⁰ المصدر السابق، ص 333، وينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 337.

⁶¹ د. محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 229. وللمزيد حول المشاكل التي واجهت المصطلح العلمي ينظر: د. حمزة بن قبالن المزيني، التحيز اللغوي وقضايا أخرى، ص 217-220.

الرب⁶² ... إلخ.

ويتعامل الدكتور تمام أحياناً مع المصطلح الأجنبي بطريقة مغايرة لما سبق، فهو يشرح أولاً ذلك المصطلح، ثم يُردفه بذكره المجرد كما هو في لغته. نلمس ذلك في قوله: ((...وسنرى أنّ الحذف والاستتار هما طريقا الإفادة العدمية في اللغة العربية، وذلك ما تعبر عنه الدراسات اللغوية الحديثة بعبارة (zero morpheme))⁶³. والدكتور تمام هنا يبدو أنه لم يجد مقابلاً دقيقاً لصياغة عربية لهذا المصطلح فأثر الشرح دون تحديد المصطلح العربي له.

وينطلق الدكتور تمام في فكرته العامة لهذا المصطلح من اتجاه مهم في الدرس اللغوي الحديث يعرف بالاتجاه الصفري في بحث اللغة zero in linguistics، ويوصف أصحابه بأنهم أصحاب منهج الصفر، وهو منهج يقوم على أنّ الأفكار أو العناصر اللغوية على مستوى الأصوات والنحو والصرف، التي لا تحتاج إلى صورة مادية للتعبير عنها، يُكتفى فيها بالعدم أو الخلو أو الصفر⁶⁴.

وفي مجال صوغ المصطلح عند الدكتور تمام أيضاً نجد أنه في بعض الأحيان لا يجزم بوجود مقابل أجنبي خاص لمصطلح عربي، بل يأتي به ويورده على سبيل التقريب والتشبيه. نرى

⁶² تتنظر مؤلفاتهم على الترتيب: دراسات في علم اللغة، ق1، ص33، دراسات في علم اللغة، ق2، ص64، 129، 154، 172، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ص213، 218، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص133، 132، 135، 224، 237، علم اللغة نشأته وتطوره ص145، 149، 148. ولمزيد من التفاصيل حول رؤية اللغويين لهذا المصطلح ومفهومه وترجمته، ينظر: د. علي عزت، اللغة ونظرية السياق، مجلة الفكر المعاصر، العدد 76، 1971م، ص19-24، د. عبد الفتاح البركاوي، دلالة السياق...، ص28-30، 45، 57، د. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص337 فما بعدها، د. ردة الله الطلحي، دلالة السياق، ص51-53، 584-598، د. فريد عوض حيدر، توحيد ترجمة المصطلح في الوطن العربي، ص37.

⁶³ اللغة العربية معناها ومبناها، ص128. وينظر: المصدر السابق، ص36، مناهج البحث في اللغة، ص266 مقدمة ترجمته كتاب: النص والخطاب والإجراء، دي بيوجراند، ص34، مقالات في اللغة والأدب، ج2، ص111.

⁶⁴ ينظر: البحث القيم الذي كتبه الدكتور كمال بشر بعنوان (السكون في اللغة العربية)، ونشره ضمن كتابه: دراسات في علم اللغة، ق1، ص179-234.

ذلك في قوله: ((الخواالف كلمات تستعمل في أساليب إفصاحية، أي في الأساليب التي تستعمل للكشف عن موقف انفعالي ما والإفصاح عنه، فهي من حيث استعمالها قريبة الشبه بما يسمونه في اللغة الإنجليزية exclamation))⁶⁵، ويقول أيضاً في موضع ثان: ((والقسط المشترك في معاني هذه الخواالف جميعاً ما ذكرناه من أنّ لها طبيعة الإفصاح الذاتي عما تحيش به النفس، فكلها يدخل في الأسلوب الإنشائي، وتبدو شديدة الشبه بما يسميه الغربيون affective language))⁶⁶، ويقول في موضع ثالث: ((إنّ الياء والواو تُحتسبان حرفي لين في نظام الأصوات العربية، وهذه الكلمة قريبة الدلالة جداً من الاصطلاح الغربي -vowels semi-))⁶⁷.

ونلاحظ الدكتور تمام في بعض المواضع يقوم بترجمة المصطلح إلى العربية أولاً ثم يورده كما هو في لغته الأصلية. ومن أمثلة ذلك مصطلح الصوغ القياسي، فقد ذكره أولاً ثم أرفده بالمصطلح الأجنبي قائلاً: ((أو ما يسمونه analgic creation))⁶⁸ وفي موطن آخر يورد مصطلح الرد إلى الجدول (الرد إلى الأصل) ويردّفه بالقول: ((وكما يسمونه paradigm)). وفي موطن ثالث يعقب على مصطلح العلاقات السياقية قائلاً: ((أو ما يسميه الغربيون syntagmatic relations))⁶⁹، وفي موضع رابع يذكر وجود ((نوع من المقامات الاجتماعية يمكن أن نسميه مقامات اللغو الاجتماعي، أو كما يسميها مالفينوفسكي phatic communicatoin))⁷⁰، وفي موضع خامس يقول: ((... الأسلوب الإفصاحي الإنشائي التأثيري الانفعالي الذي يسمونه

⁶⁵ ينظر: البحث القيم الذي كتبه الدكتور كمال بشر بعنوان (السكون في اللغة العربية)، ونشره ضمن كتابه: دراسات

في علم اللغة، ق1، ص179-234.

⁶⁶ المصدر السابق، ص116. وينظر: ص88 من هذا الكتاب.

⁶⁷ المصدر السابق، ص70.

⁶⁸ اللغة بين المعيارية والوصفية، ص29.

⁶⁹ اللغة العربية معناها ومبناها، ص189.

⁷⁰ المصدر السابق، ص343.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

71 ((affective language))، وآخر النماذج لهذه الطريقة في وضع المصطلح اللغوي عنده ما ذكره عن ((الجزئيات الصغرى المكونة لهذا السياق، أو كما يسميها الأمريكيون من اللغويين segments))⁷².

وفي مقابل هذا نجد لا يتوانى عن ترجمة المصطلح الأجنبي إلى العربية متى ما أنس أو اطمأن إلى الترجمة، ووجد أنها تفي بالغرض، بيد أنه عندما يشعر أن الترجمة تعوزها الدقة، أو أنه غير مقتنع تماماً بها، فإنه يعمد حنيئذ إلى اختيار ترجمة مؤقتة له، تاركاً أمر ترجمته النهائية إلى مقام آخر. ومن أمثلة ذلك قوله: ((.. وهذه العناصر المترابطة تسمى Phrases في نحو اللغة الإنجليزية، دعنا مؤقتاً نسميها ضمام))⁷³، والدكتور تمام هنا حينما يقترح هذه التسمية المؤقتة إنما يُسَلِّم ضمناً بمرحلية الاصطلاح ((وما من شك أن المصطلح ينبت أو ينتقي أو تتحول وظيفته باعتبار الظرف، وأن المرحلية ملمحٌ يميّز حياة المصطلح في كثير من الأحيان))⁷⁴، على أن هذا التوجّه لم يكن ليُمثِّل اتجاهاً عنده كما بدا لي، بل هي حالة فريدة لم أجدها في غير هذا الموضع.

لكن الدكتور تمام لم يلتزم بهذه الطريقة الإجرائية في صوغ مصطلحاته؛ إذ إننا نجد في الغالب الأعم يورد الترجمة العربية التي ارتضاها للمصطلح الأجنبي مقرونة بهذا المصطلح مباشرة.

وهو لا يكتفي في بعض المواطن بذكر المصطلح الأجنبي ومقابله في العربية، ولكنه يلجأ إلى الخوض في القضايا المتصلة بذلك المصطلح، ونلمس ذلك مثلاً في عرضه لمسألة التفريق بين الصحاح (الأصوات الصامتة) والعلل (الأصوات الصائتة) في ضوء علمي الأصوات

⁷¹ المصدر السابق، ص 88.

⁷² مناهج البحث في اللغة، ص 146.

⁷³ مقالات في اللغة والأدب، ج 1، ص 65.

⁷⁴ د. عبد القادر الفاسي الفهري، المصطلح اللساني (مصدر سابق)، ص 140.

التعريب العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

والتشكيل الصوتي، ومن خلال الاستعمالات المصطلحية لكل من دي سوسير d.saussure، وكنيث بايك K.pike⁷⁵، وكذلك في مناقشته لمفهوم مصطلح العلاقة عند ترويتسكوي Troubetzkoy، وبيان وجهة نظره حول هذه المسألة⁷⁶، وكذلك في مصطلحي التركيب والتحليل اللذين استخدمهما هنري سويت H. Sweet في دراسة الموقعية⁷⁷.

ونجد الدكتور تمام يعمد أحياناً إلى توضيح الفروق اللغوية بين المصطلحات العربية، كما في تفريقه بين مصطلحي النغمة والحن⁷⁸، وهما مصطلحان صوتيان يردان عادةً مع ذكر مصطلح التنغيم Intonation. وهذا مما يحسب له؛ إذ إن ((وضع المصطلح يقتضي بالضرورة الرجوع إلى السياق الطبيعي الذي ورد فيه ضمن إطار نظرية لسانية معينة))⁷⁹.

ويراوح الدكتور تمام ((بين إيراد المصطلحات الأجنبية بحروفها الأصلية وكتابتها بحروف عربية، مع الإبقاء على صيغتها الأجنبية، والجمع بينهما بكتابة المصطلحات بصورتين: إحداها بحروفها الأجنبية، والأخرى بحروف عربية، جنباً إلى جنب))⁸⁰.

ويتصل بهذا تعريب المصطلح، أو الاقتراض المعجمي، كما يُسمّيه الدكتور محمود فهمي حجازي⁸¹، أو الاستعارة كما يُطلق عليه الدكتور محمد رشاد الحمزاوي⁸²، وقد كان هذا . كما سبق . إحدى الوسائل التي اتبعتها الدكتور تمام في صوغ مصطلحاته، وهي كثرة كثرة لافتة

⁷⁵ مناهج البحث في اللغة، ص 117- 119.

⁷⁶ المصدر السابق، ص 122- 123.

⁷⁷ المصدر السابق، ص 146.

⁷⁸ ينظر: المصدر السابق، ص 166.

⁷⁹ د. مصطفى غلفان، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (مصدر سابق)، ص 159.

⁸⁰ د. مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، 1/158، وتتنظر أمثلة ذلك في: مناهج البحث في اللغة، ص 240.

⁸¹ ينظر: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 226.

⁸² ينظر: مشاكل وضع المصطلحات اللغوية (مصدر سابق)، ص 265.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

للنظر، نلمس ذلك في تعريبه للمصطلحات التالية: السنتاجماتية، والبراديجماتية، والجراماطيقا، والأنثروبولوجيا، والإيتيمولوجيا، والسيمانتيم، والسيمانتيكية، والاستاتيكية، والديكروني، والسيمولوجيا، والسيمات، والإيتيمولوجيا⁸³... إلخ. وهذه الوسيلة كما يذكر الدكتور الحمزاوي ((تدل على فراغ اصطلاحي ناتج عن مفاهيم جديدة لا يمكن للغة المترجم إليها أن تُعبر عنها تعبيراً يؤدي تلك المفاهيم في مرحلة معينة))⁸⁴، أو كما يقول الدكتور كمال بشر: إنَّ ((علة الاتجاه إلى التعريب والعدول عن المصطلح العربي تتمثل في جملة أسباب منها دقة المصطلح الأجنبي في دلالاته على المقصود، هذا هو الأقل من وجهة النظر الحديثة في الدرس اللغوي))⁸⁵. وثمة مناقشات مستفيضة جرت حول هذه المسألة وجدوى استعمالها في المصطلح العلمي بعامة، لا أحسب أنَّ المقام يتسع لذكرها في هذا البحث⁸⁶.

ومن المصطلحات الأجنبية التي نقلها الدكتور تمام مترجمةً إلى العربية دون أن يذكرها في لغتها الأصلية مصطلح التطريز اللغوي language prosodic، أو الوظيفة والتوزيع كما أطلق عليه أيضاً⁸⁷، وهو أحد مصطلحات الفنونلوجيا (التشكيل الصوتي) التي استعملها فيرث، ويعني وجود عناصر لغوية كما لو كانت أشياء ثانوية من الناحية الصوتية والكتابية معاً، أو اللغوية بوجه عام⁸⁸، ويقع ضمن مفهوم هذا المصطلح جانب جزئي يطلق عليه التطريز الصوتي، وهو

⁸³ تنظر هذه المصطلحات في: مناهج البحث في اللغة، ص 177، 194، 208، 233، 234، 235، 240، 249، 250، 251، 252، 253، 259... إلخ.

⁸⁴ مشاكل وضع المصطلحات اللغوية، ص 265.

⁸⁵ دراسات في علم اللغة، ق، ص 28. وينظر: د. محمود السعران، علم اللغة...، ص 26.

⁸⁶ لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة ينظر: د. مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، 99/1، 119، د. محمد حسن عيد العزيز، المصطلحات اللغوية (مصدر سابق)، ص 312-314، د. محمد حلمي هليل، المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب (مصدر سابق)، ص 97 فما بعدها، د. جعفر عابنة، توحيد المصطلح في علم الأصوات، مجلة اللسان العربي، العدد 39، 1995م، ص 313-317.

⁸⁷ ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 113، 131، 141.

⁸⁸ للمزيد حول ظواهر التطريز أو التحليل التطريزي أو الفنونلوجيا البرسودية (التطريزية) ينظر: د. محمود جاد

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

يتمثل في عدة أنماط أو صور يعتمد عليها النحو في تحليل بعض مسائله وتفسيرها إلى حد بعيد . كما يقول الدكتور كمال بشر⁸⁹، كالنبر والتنغيم والوقفة.

والأمر اللافت للنظر في هذا المصطلح أن الدكتور تمام يورد ترجمته له . كما تقدم . ويذكر ترجمة أخرى مرادفة للترجمة الأولى في ظل غياب للمصطلح الأصلي في لغته الأجنبية يقول في ذلك: ((الوظيفة والتوزيع، أو كما يسمونه التطريز اللغوي))⁹⁰. وهذا على خلاف ماسبق بيانه من اتجاهات صوغ المصطلح عنده.

وقد استعمل هذه الترجمة أيضاً كثير من اللغويين المعاصرين⁹¹، وهناك من اكتفى بنقل هذا المصطلح وكتابته بحروف عربية (التعريب)⁹².

ويتصل بهذا المصطلح مصطلح آخر ورد عند الدكتور تمام هو prosodies، أو prosodic features، ويترجمه إلى الموقعيات أو الظواهر الموقعية، ويعني بها طائفة أو مجموعة من التغيرات الصوتية تحدث نتيجة لوجودها في مواقع معينة، كالتمائل، والنبر، والتنغيم، والترممين، والإيقاع، والإجهار، والإهماس... إلخ⁹³.

ومن صور ذلك أيضاً مصطلحا الإجهار voicing والإهماس unvoicing، وهما مصطلحان صوتيان وردا عند الدكتور تمام مترجمين أو منقولين إلى العربية- فيما أظن - دون الإشارة إليهما

الرب، علم اللغة، ص145 فما بعدها، د. رمزي بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، ص405، ر.ه. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص352-355، د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص201-210.

⁸⁹ دراسات في علم اللغة، ق2، ص25.

⁹⁰ مناهج البحث في اللغة، ص113.

⁹¹ ينظر - على سبيل المثال -: د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ق1، ص299، د. محمود جاد الرب، علم اللغة، ص147، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ص19، 72 - 73.

⁹² ينظر: د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص201.

⁹³ ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص119، مناهج البحث في اللغة، ص137، 146-170.

التعريب العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

في لغتهما الأصلية، مع أنه أوضح في هذا المقام أنه اختار هذين المصطلحين وفي نفسه شيء من عدم القناعة بهما أو رضاه عنهما⁹⁴.

ومن المصطلحات المبكرة التي استعملها الدكتور تمام مصطلح الاستدعاء الصوتي، وهو ترجمة للمصطلح الإنجليزي Onomatopoea، ويعني به وجود علاقة طبيعية بين الرمز ومعناه تحدث نتيجة استدعاء أصوات بعض الكلمات، كالضحيج والزئير والخير، للمعاني التي سبقت لها هذه الكلمات⁹⁵، إلا أن الدكتور تمام نجده يعدل عن هذه الترجمة بعد مدة قصيرة ويختار بدلاً عنها المحاكاة ودلالة الصوت على المعنى، وأحكاية الصوت للمعنى⁹⁶ وهو مصطلح دلالي تقاربت عبارات اللغويين المعاصرين في ترجمته، فبعضهم يطلق عليه محاكاة الصوت، أو تسمية محاكية، أو اسم الصوت⁹⁷، وبعضهم يطلق عليه التسمية بالمحاكاة الصوتية، أو حكاية صوت⁹⁸.

ومن المصطلحات أيضاً مصطلح Etymology، الذي ترجمه الدكتور تمام مرةً بتطور البنية، ومرةً ثانيةً بتطور صورة الكلمة⁹⁹، ومرةً ثالثةً بالتطور الصرفي لشكل الكلمة¹⁰⁰، ومرةً رابعةً بتطور استعمال الكلمة¹⁰¹، وكان قد سبق له أن أورد هذا المصطلح معرباً في باكورة مؤلفاته¹⁰².

⁹⁴ ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 151-152.

⁹⁵ اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 107.

⁹⁶ مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص 474، 375، 354، 475، ج2، ص 236.

⁹⁷ ينظر: معجم المصطلحات اللغوية، ص 347، معجم علم اللغة النظري، ص 193، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، 45.

⁹⁸ ينظر: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ص 63، المعجم الموحد للمصطلحات اللسانيات، ص 98، د. عليّة عزت عياد، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، ص 104.

⁹⁹ مقالات في اللغة والأدب، ج2، ص 144.

¹⁰⁰ ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 320، 333.

¹⁰¹ ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 90.

¹⁰² ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 235، 239.

أما الدكتور السعران فقد ترجمه إلى الاشتقاق¹⁰³، واعترض عليه الدكتور كمال بشر ولم يتفق معه بشأن هذه الترجمة، ورأى في ضوء استعمال بلومفيلد لهذا المصطلح والتعبير عنه أن الأنسب أن يترجم إلى علم تأريخ الكلمات؛ معللاً ذلك بأن هذه الترجمة الأخيرة تشمل البحث في أصلها الاشتقاقي والأطوار التي مرت بها من حين إلى آخر¹⁰⁴، وذلك يعني أن ترجمة الدكتور السعران أخذت بجانب واحد من مفهوم هذا المصطلح وهو الاشتقاق أو الأصل الاشتقاقي، وتركت الجانب الآخر منه وهو التطور التاريخي، وهذا ما حدا بالدكتور حلمي خليل إلى ترجمة هذا المصطلح إلى علم الاشتقاق التاريخي¹⁰⁵.

وأما معاجم المصطلحات اللغوية فمنها ما يذهب إلى ترجمته إلى علم تأريخ الكلمات، أو التأثيل، أو علم تأصيل الكلمات، أو علم الترسيص، أو علم الاشتقاق¹⁰⁶.

ويتصل بهذا المصطلح مصطلح آخر ورد لدى الدكتور تمام وهو Semantic Shift الذي يترجمه بتطور الدلالة¹⁰⁷. وقد لاحظت أنه في أحد مؤلفاته التي وضعها في مرحلة متقدمة زمنياً اختار مصطلح Semantics للدلالة على دراسة تطور الدلالة¹⁰⁸، وأحسب أن خطأً مطبعياً حدث هنا فأسقط كلمة Shift، أو كلمة أخرى تؤدي الدلالة نفسها وهي Change.

وهناك بعض المعاصرين من يفضل ترجمة هذا المصطلح بالتغير الدلالي¹⁰⁹ اتباعاً لما ورد

¹⁰³ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص349، 389.

¹⁰⁴ دراسات في علم اللغة، ق1، ص38.

¹⁰⁵ ينظر: الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ص91 - 92، 230.

¹⁰⁶ ينظر: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ص24، معجم علم اللغة النظري، ص88، معجم المصطلحات اللغوية، ص178، معجم اللسانية، ص74، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، ص423، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص47.

¹⁰⁷ ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص333، 320.

¹⁰⁸ ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص90.

¹⁰⁹ ينظر: د. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ص147، 153.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

في معجم المصطلحات اللغوية التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة¹¹⁰، ولست أرى هنا كبير فرق بين الترجمتين؛ إذ ليس التغير سوى نوع من التطوركما يقول أولمان¹¹¹.

ويلحق بهذا مصطلح Laut-Verschiebung، الذي يترجمه الدكتور تمام إلى التغير الصوتي¹¹²، وهو مصطلح مستعار من الألمانية وينسب للغوي الألماني يعقوب جريم -Grimm فيقال: قانون جريم Grimm slaw، ويندرج ضمن القوانين الصوتية التي أطلقها النحاة المحدثون (الشبان) من علماء اللغة الألمان سنة 1822م¹¹³.

ويذكر الدكتور رمزي بعلبكي أن هذا المصطلح مرادف للمصطلح الإنجليزي Mutation، الذي يعني . عنده . الإبدال والتحول والتغير الصوتي بتأثير من أصوات مجاورة¹¹⁴.

وفي نطاق علم الدلالة تبدو مصطلحات كُثُر استعمالها الدكتور تمام ونقلها مترجمةً إلى العربية، ويأتي في مقدمتها مصطلح semantics، الذي يصوغه بوسيلتين في آن معاً، إحداها التعريب فيقال: السيمانتيك، والأخرى الترجمة بـ/نظرية المعنى، أو علم الدلالة، أو علم المعنى¹¹⁵.

وكان العقاد قد أثر استعمال مصطلح السيمية في مقابل المصطلح الأجنبي Semantics، وألقى بحثاً في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1952م بعنوان (السيمية)، ووافق مجلس المجمع على هذا المصطلح، وأصدر قراراً خاصاً بذلك¹¹⁶، وهو مصطلح تراثي مأخوذ من الثقافة

¹¹⁰ ينظر: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد العاشر، ص133.

¹¹¹ دور الكلمة في اللغة، ص153. وللمزيد ينظر: د. عبد الرحمن أيوب، التطور اللغوي، ص9، د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ق2، ص124-125، د. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص9.

¹¹² اللغة بين المعيارية والوصفية، ص95.

¹¹³ ينظر: ر. ه. روينز، موجز تأريخ علم اللغة في الغرب، ص278 فما بعدها.

¹¹⁴ معجم المصطلحات اللغوية، ص277، 321.

¹¹⁵ ينظر: مقالات اللغة والأدب، ج1، ص329، مناهج البحث في اللغة، ص240، 242، اللغة العربية معناها ومبناها، ص325.

¹¹⁶ ينظر: د. بدروي زهران، العقاد وعلم السيمية، ضمن أبحاث المؤتمر العلمي الأول (عباس محمود العقاد في

العربية القديمة.

ونرى الدكتور تمام في موضع آخر يترجم مصطلح Semiology إلى سيماء، معللاً سبب اختياره لهذه الكلمة بقوله: ((انتفاعاً بقوله تعالى «سيماهم في وجوههم»)، وهو ما ينسجم مع المعنى المطلوب))¹¹⁷، فهو في هذا المقام يستلهم الدلالة القرآنية في صوغ مصطلحه، لكنني لست أدري على وجه التحديد لم أثر الدكتور تمام هنا الربط بين المصطلح الأجنبي والمدلول المعجمي للكلمة في القرآن والعربية، مع أحقية المصطلح السابق semantics بهذه التسمية الاصطلاحية!

وهذا المصطلح مما تفاوتت ترجمات اللغويين المعاصرين له، فبعضهم يترجمه ب/علم العلامة، أو علم الإشارة، أو علم الرموز¹¹⁸، وبعضهم يترجمه ب/علامية، ودلائلية، والنظم السيميائية¹¹⁹. ومما له صلة بهذا، المصطلح Semasiology الذي يترجمه الدكتور تمام ب/دراسة التغير في المعنى¹²⁰.

ومن هذه المصطلحات الدلالية مصطلح Functional Meaning الذي يترجمه الدكتور تمام ب/المعنى الوظيفي، ومصطلح Lexical Meaning الذي يترجمه ب/المعنى المعجمي، ومصطلح Semantic Meaning الذي يترجمه ب/المعنى الدلالي، ومصطلح Contextual Meaning الذي يترجمه ب/المعنى المقامي أو السياقي، ومصطلح Central Meaning الذي يترجمه ب/المعنى

ذكراه المثوية) ص 58-62.

¹¹⁷ الأصول، ص 371.

¹¹⁸ ينظر: د. محمد رشاد الحمزاوي، مشاكل وضع المصطلحات اللغوية (مصدر سابق) ص 267، د. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، ص 234، د. محمد حسن عبد العزيز، سوسير رائد علم اللغة الحديث، ص 168.

¹¹⁹ ينظر: د. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 140، 184، د. التهامي الراجي الهاشمي، معجم الدلائلية، مجلة اللسان العربي، العدد 24، ص 148، د. سمير ستيثية، السيميائية اللغوية وتطبيقاتها على نماذج من الأدب العربي، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 7، العدد 1990، ص 2م، ص 37.

¹²⁰ ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 265.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

المركزي، ومصطلح Marginal Meaning الذي يترجمه ب/المعنى الثانوي¹²¹. ومنها أيضاً مصطلح Conceptual الذي يترجمه ب/((المعنى) التصوري، ومصطلح Denotative الذي يترجمه ب/((المعنى) الإشاري¹²²، ومصطلح Associative الذي يترجمه ب/((المعنى) الاستدعائي¹²³. ومصطلح connotative الذي يترجمه ب/((المعنى) اللزومي¹²⁴، ومصطلح Stylistic الذي يترجمه ب/((المعنى) الأسلوبي، ومصطلح Affective الذي يترجمه ب/((المعنى) الإفصاحي¹²⁵، ومصطلح Reflected الذي يترجمه ب/((المعنى) الانعكاسي، ومصطلح Collocative الذي يترجمه ب/((المعنى) التواردي، ومصطلح Thematic الذي يترجمه ب/((المعنى) الشأني أو البؤري¹²⁶. ونلاحظ هنا أن الدكتور تمام لا يكتفي بإيراد المصطلح الأجنبي ومقابله في العربية وحسب، بل يردفه بشرح مفهومه، وضرب الأمثلة التوضيحية له. وقد لاحظت أن كثيراً من هذه المصطلحات مبنوثة في المعاجم الاصطلاحية اللغوية التي ظهرت

¹²¹ ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص39، مناهج البحث في اللغة، ص242، 250. ولموازنة هذه الترجمات بماورد في بعض المعاجم الاصطلاحية اللغوية ينظر: معجم المصطلحات اللغوية، ص86، 115، 120، 204، 281.

¹²² تُرجم هذا المصطلح عند بعض اللغويين المعاصرين ب/((المعنى الدلالي)، و((المعنى ذاتي الدلالة)، و((المعنى المعرفي). ينظر: معجم علم اللغة النظري، ص8، 69، معجم المصطلحات اللغوية، ص141.

¹²³ تُرجم هذا المصطلح في بعض المعاجم الاصطلاحية ب/((المعنى الترابطي)، و((المعنى الاقتراضي) ينظر: معجم المصطلحات اللغوية، ص60، معجم علم اللغة النظري، ص25.

¹²⁴ تُرجم هذا المصطلح في بعض المعاجم الاصطلاحية ب/((المعنى الضمني)، و((المعنى الإيجابي)، و((دلالة المعنى) ينظر: معجم المصطلحات اللغوية، ص115، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص30، معجم اللسانية، ص45.

¹²⁵ تُرجم هذا المصطلح في بعض المعاجم الاصطلاحية ب/((المعنى الوجداني أو العاطفي). ينظر: معجم علم اللغة النظري، ص7-8، معجم المصطلحات اللغوية، ص303.

¹²⁶ ينظر: الأصول، ص384-385. وقد وافق الدكتور سعد مصلوح الدكتور تمام في ترجمة مصطلح Thematic إلى المعنى الشأني أو البؤري، ووصف الترجمة بأنها موفقة. ينظر: العربية من نحو الجملة إلى نحول النص، ضمن الكتاب التذكاري (عبد السلام هارون معلماً ومؤلفاً ومحققاً)، ص419 (هامش رقم 20).

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

بأخرة، مع اختلاف يسير أو اتفاق تام في الترجمة، حسب ما هو مُتَوْن في هوامش هذا البحث، أما بعضها الآخر فلم أجد له ذكراً فيما بين يدي من هذه المعاجم!

وشيء آخر تبين لي وهو أن الدكتور تمام أورد هذه المصطلحات الدلالية في آخر مؤلفاته صدوراً (1427هـ) وهي مترجمة إلى العربية دون ذكر مقابلها في اللغة الإنجليزية¹²⁷، ولعل ذلك راجع إلى شعوره باستقرار هذه المصطلحات وشيوعها، أو لعدم الحاجة إليها.

ومن المصطلحات التي ينبغي التوقف عندها ملياً مصطلح Economy of Effort، الذي يترجمه ب/طلب الخفة¹²⁸، ويتصل به مصطلحان آخران هما مصطلح Euphony، ويترجمه إلى حسن التأليف، ومصطلح Cacophony، الذي يترجمه ب/تنافر الحروف¹²⁹.

فأما المصطلح الأول فهناك من اللغويين المعاصرين من يترجمه ب/التناغم، والتطريب، وعذوبة الصوت، ورخامة الصوت، وتحسين الصوت¹³⁰. ويبدو أن الدكتور تمام هنا فضّل ترجمة هذا المصطلح بعبارة تراثية تترد لدى المعجميين والبلاغيين ونقاد الأدب العرب. وأما المصطلح الآخر فهناك من يترجمه ب/تنافر الأصوات أو النغمات، أو التناشر، أو النشار¹³¹، وهنا أيضاً يستعمل الدكتور تمام وبعض من جاء بعده واقفياً أثره مصطلحاً أو مفهوماً تراثياً مقابلاً للمصطلح الأجنبي.

ومما يلاحظ على المصطلح المترجم ب/طلب الخفة Economy of Effort أنه ينزع نحو استلهم التراث العربي في وضع المصطلح أيضاً، وذلك ما كان يحاول الدكتور تمام تطبيقه في

¹²⁷ مقالات في اللغة والأدب، ج2، ص 240.

¹²⁸ مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص349، ج2، ص285.

¹²⁹ المصدر السابق، ج1، ص350، 352.

¹³⁰ ينظر: معجم المصطلحات اللغوية، ص 179، معجم علم اللغة النظري، ص 88-89، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ص24، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، ص214.

¹³¹ ينظر: معجم المصطلحات اللغوية، ص80، معجم علم اللغة النظري، ص37، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ص9، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، ص388-389.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

صوغ مصطلحه اللغوي، وإذا كانت الترجمة الحرفية لهذا المصطلح هي الاقتصاد في الجهد فإن التعبير عنه بطلب الخفة يؤدي المفهوم العام له، بل إنه يدل على مضمونه بشكل أو بآخر.

وهناك مصطلح آخر يستعمله بعض اللغويين للدلالة على طلب الخفة وهو Least of Effort الذي يمكن ترجمته ب/الحد الأدنى من الجهد، أو الجهد الأقل¹³²، في حين أننا نجد الدكتور تمام يترجم هذا المصطلح least effort principle ب/مبدأ الاقتصاد في الجهد¹³³.

ومن الوسائل التي اصطنعها الدكتور تمام في صوغ مصطلحه، الجمع أحياناً بين الترجمة والتعريب معاً، فنجد ذلك مثلاً في مصطلح syntagmatic relations، فهو يذكر مقابله العلاقات السنتاجماتية أو السياقية، وكذلك مصطلح paradigmatic relations الذي يورد إزاءه العلاقات البراديجماتية أو الجدولية¹³⁴. وهذه الوسيلة تُعدُّ إحدى صور الاقتراض في وضع المصطلح، وتقوم على اختيار مقابلات عربية للمصطلحات الأجنبية مع كتابة هذه المصطلحات بحروف عربية.

أما مصطلحات النحو النصِّي Text Grammar فهي من الكثرة بمكان، وتشيع بوجه خاص في الكتاب الذي ترجمه من الإنجليزية وعنوانه (النص والخطاب والإجراء) لمؤلفه دي بيوجراند، وتحديداً في تلك القائمة الاصطلاحية التي صُنعت وألحقت بآخر الكتاب، كما يمكن التماسها في محاضراته التي ألقاها في الموسم الثقافي لمعهد اللغة العربية بجامعة أم القرى سنة 1992م - 1413هـ، وعنوانها (نحو الجملة ونحو النص)، وقد أحصيت ماورد من مصطلحات مترجمة في هذا الكتاب فوجدتها تبلغ أكثر من خمسمئة مصطلح، ولذا فإنها تستحق - وحدها - وقفة مطولة تكشف عن منهجه في صياغة المصطلح، وكيفية تعامله معه، ولا إخال أن دراستي الحالية

¹³² ينظر: د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 331.

¹³³ ينظر ترجمته لكتاب: النص والخطاب والإجراء، ص 607.

¹³⁴ مناهج البحث في اللغة، ص 195.

تستطيع القيام بهذه المهمة، وعسى أن أفرغ لها فيما يستقبل من الأيام¹³⁵.

ومهما يكن من شيء فإن ما كشفت عنه الدراسة حتى الآن قد يصلح للتعميم على واقع مصطلحات النحو النصّي لدى الدكتور تمام، ومنهجه في سبكه وصناعته وصياغته.

وهكذا لاحظنا فيما تقدم من أمثلة ونماذج مصطلحية عند الدكتور تمام أنها لم تخرج عن نطاق مصطلحات المدرسة الإنجليزية في الأغلب الأعم، وبعضها منقول عن مدرسة براغ التشيكية، أو بوجه عام المدرسة الوصفية البنوية التي تميزت . كما يذكر ماريوباي . بكثرة مصطلحاتها وتعددتها بقدر ملحوظ¹³⁶، على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد فحسب، بل تجاوزه إلى مصطلحات المدرسة الأمريكية المعاصرة التي يتزعمها تشومسكي chomsky، وهي ما تعرف بالمدرسة التوليدية التحويلية، وبعض من مصطلحات المدرسة الألمانية، ولعلّ هذه هي السمة المميزة للمصطلح اللغوي عند الدكتور تمام، موازنةً بزملائه من جيل الرواد الألسنيين في العالم العربي، وهي ماتعرف بسمة التمثيلية¹³⁷.

وإنّ نظرة سريعة في عدد من البحوث التي كتبها ونشرها إبان وجوده في المغرب خلال السنوات (1973 1976م) لتدل على تلك النقلة النوعية في المصطلح اللغوي عنده، حيث نجد كثيراً من مصطلحات تشومسكي، أو المدرسة التوليدية والتحويلية بصفة أعم، تبرز بروزاً واضحاً في تلك البحوث، بعضها مترجم إلى العربية، وبعضها الآخر منقول كما هو في لغته الأصلية، كالبنية العميقة Deep structure، والبنية السطحية surface structure، والأجزاء المباشرة immediate constituents، والضمائم phrases، وقيود الاختيار selectional restrictions،

¹³⁵ للدكتور سعد مصلوح دراسة قيمة عن مصطلحات النحو النصّي عند الدكتور تمام حسان. ينظر: المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النص، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، المجلد 59، العدد 3، 1999م، ص 281-294

¹³⁶ أسس علم اللغة، ص 256.

¹³⁷ أعني بالتمثيلية هنا وجود اصطلاحات كثير من المدارس اللسانية الحديثة العهد داخل العمل المصطلحي بصفة خاصة، أو داخل الأعمال اللغوية بصفة عامة.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

وقواعد التحويل transformation rules، والثابت النحوية grammatical constants، والتأويل interpretation، وقواعد التفريغ branching rules، وقيود التوارد، وقيود الانتقاء selection restriction، وقواعد التوبيغ gategerial rules والكفاية التوضيحية، والتعميم المبني على الدلالة¹³⁸ significant generalization... إلخ.

وبعد، فقد تبين لنا من الرصد والعرض والتحليل لتلك العينات المصطلحية التي جمعت من الأعمال العلمية للدكتور تمام، أنّ المصطلح اللغوي كان له حضوره البارز في تلك الأعمال، وهو حضور يدل على احتفائه به، وإبلائه كبير عناية، وقد سار صوغ هذا المصطلح وفق اتجاهات مختلفة، ورؤى متعددة، ومناهج متباينة. كما لوحظ أنّ هذا المصطلح لم يتخذ طابعاً استقلالياً بادئ الأمر، وإنما كان مبنوياً في تضاعيف مؤلفاته ومترجماته، وإذا أردنا الدقة أكثر قلنا: إنّ هذا هو الطابع العام لواقع المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام، ولم يند عن هذا سوى ترجمته لكتاب دي بيوجراند (النص والخطاب والإجراء) 1998م، حيث نجده يولي المصطلح اللغوي عناية خاصة ذات صورة استقلالية متكاملة، متمثلاً ذلك في وضعه قائمة اصطلاحية لما ورد في الكتاب المترجم من مصطلحات. وقد اختار الدكتور تمام لهذه القائمة تسمية اصطلاحية أخرى أحسب أنها جديدة أو غير مألوقة فيما جرت عليه عادة المترجمين من تدويل أعمالهم المترجمة بما يطلقون عليه كشاف المصطلحات، أو قوائم المصطلحات، أو تثبت المصطلحات، أو مسرد المصطلحات، أو معجم المصطلحات، أو دليل المصطلحات، أو فهرس المفاهيم والمصطلحات... إلخ، وهذه التسمية هي (الألفاظ والتصورات)، وكأنني به يستلهم مؤلفات بعض القدماء في المصطلح الذين جعلوا عناوين كتبهم تحمل عبارة (الكلمات) أو (الألفاظ)، كما هي الحال لدى أبي حاتم الرازي وكتابه (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية)، وعلي بن يوسف الأمدى وكتابه (المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين)، والفارابي وكتابه (الألفاظ المستعملة

¹³⁸ ينظر كتابه: مقالات في اللغة والأدب، ج1، ص 65-67، 69-78، 138، 145، 212، 214، 216، 219، وبحثه: إعادة وصف اللغة العربية ألسنياً، ضمن (أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية) ص162.

في المنطق).

لقد اتخذت تلك المصطلحات لدى الدكتور تمام أشكالاً متعددة في النقل إلى العربية، مرةً بالترجمة، سواء كانت ترجمة مباشرة (لفظية) أو ترجمة جانبية (معنوية)، ومرةً بالتعريب الكلّي، وهو إدخال المصطلح الأجنبي بصورته التي ورد عليها في لغته الأم، مع كتابته بحروف عربية، ومرةً ثالثة باللجوء إلى المصطلح التراثي عند الشعور بمطابقة المفهوم الجديد للمفهوم التراثي أو مقاربتة له، ولذلك فإن منهجه بوجه عام كان كما يقول الدكتور عبد السلام المسدي: ((واضح المعالم منذ تصنيفه (مناهج البحث في اللغة)...، وكان محكماً لزاماً وضع الدوال الفنية وإن جنح إلى القالب الجاهز، وأحياناً أخرى إلى العبارات التحليلية مما ليس منه بد))¹³⁹.

وبطبيعة الحال لم يُسَلَّم للدكتور تمام، ومعه بقية جيل الرواد، بما ذهبوا إليه في تعاملهم مع المصطلح الوافد، بل هناك من انتقد صنيعهم في صوغ مصطلحاتهم، وحملهم مسؤولية ماساد مجال المصطلح اللغوي اليوم من الاضطراب والفوضى¹⁴⁰.

والواقع أنه كان حرياً بهؤلاء المنتقدين النظر إلى المرحلة المبكرة من تأريخ نشأة الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، والمناخ العام الذي هيمن على النواحي الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم العربي، وظَهَرَ تأثيره في كافة مجالات الحياة، وهذا ما كان يفرضه واقع الحكم على جهود أولئك الرواد؛ إذ الحكم على أي عمل أو رأي أو توجهٍ إنما هو فرعٌ من تصوره أولاً، ويكون صحيحاً ومقبولاً بالنظر إلى زمنه الذي صدر فيه، والظروف التي أحاطت به، وبغير ذلك يكون الحكم أو التقييم مجحفاً غير عادل. ثم إنّ مشكلة المصطلح اللغوي إنما هي جزء من مشكلة عامة تتصل بواقع المصطلح العلمي في الثقافة العربية، سواء أكان ذلك في القديم أم في

¹³⁹ قاموس اللسانيات، ص 75.

¹⁴⁰ ينظر: د. محمد حسن عبد العزيز، سوسير رائد علم اللغة الحديث، ص 162-163، د. فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 6، 55، د. مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة...، ص 192-193.

الحديث، وكل ذلك يجعلنا ننظر بعين الرضا لما قدمه جيل الرواد من جليل الأعمال في ميدان البحث اللغوي، فكراً ومنهجاً ومصطلحاً.

وأما مسألة تعدد المصطلحات لديهم واختلافهم حولها فذاك أمر طبعي في الأعمال الرائدة غير المسبوقة، وأستعير في هذا المقام قالة لابن خلدون أوردها في مقدمته وهي ((وبدل أيضاً على أن تعليم العلم صناعةً اختلافُ الاصطلاحات فيه، فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاحٌ في التعليم يختص به، شأن الصنائع كلها، فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم وإلا لكان واحداً عند جميعهم، ألا ترى إلى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين، وكذا أصول الفقه، وكذا العربية، وكذا كل علم يُتَوَجَّه إلى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة))¹⁴¹.

وأخيراً، فإن هذه الدراسة الأفقية لقضية المصطلح اللغوي عند الدكتور تمام إخالها لم تأت على جلٍّ ما كان مخططاً له في البدء؛ إذ الأمر كما تبين لي يحتاج لدراسة شاملة تستوعب مساحة هذا الموضوع، وتستوفي جميع جوانبه، ولعلي أجدها فرصة سانحة لأدعو إلى قيام أطروحة جامعية تُخصَّص لهذا الموضوع وحده؛ إذ هو من الأهمية بمكان، وفيه مُنْسَعٌ من القول والنظر والمعالجة، وعسى أن يكون في مقامنا هذا من يستمع القول أو يُلقي السمع وهو شهيد.

وفي ختام هذا البحث، هناك مقترحات آمل أن تجد طريقها لصياغة عملية وفق أسس علمية ومنظور شامل، وهي على النحو التالي:

أولاً: إنَّ هناك حاجة علمية ملحة لقيام دراسة، بل دراسات، عن واقع المصطلح اللغوي في مشرق الوطن العربي ومغربه، بصفة عامة، ودراسات أخرى في الموضوع نفسه تُخصَّص لمن أسهم بقدرٍ ملحوظ من جيل الرواد اللسانيين العرب في صوغ هذا المصطلح، وعُني به عناية خاصةً، وأنا هنا أدعو طلبة الدراسات العليا بأقسام اللغة العربية إلى تناول هذا الموضوع، وجعله ميداناً لرسائلهم العلمية.

¹⁴¹ مقدمة ابن خلدون، 3/985-986.

ثانياً: أن تُعنى الجامعات العربية وخاصة أقسام اللغة العربية بها بتدريس علم المصطلح ضمن مناهجها الدراسية، وجعله مادة أساسية، إما في مستوى المرحلة الأولى من المرحلة الجامعية، أو في مرحلة الدراسات العليا، وأن يُنشأ معهد للمصطلح في تلك الجامعات، وذلك على غرار معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس (المغرب).

ثالثاً: أن تحتضن جامعة أم القرى، أو غيرها من الجامعات السعودية، إقامة مؤتمر دولي يخصص لدراسة قضايا المصطلح في العلوم الإنسانية. وأشهد في هذا المقام أن جامعات المغرب العربي، وخاصة في المملكة المغربية بفاس ومكناس والرباط ومراكش، قامت . وما زالت تقوم . بجهود مباركة وثمررة في ميدان قضايا المصطلح بكافة فروع المعرفة¹⁴²، وإني لأتمنى أن يُعصّد هذا النشاط العلمي المتميز بشيء مثله في جامعات المشرق العربي؛ لتتواصل الجهود، وتُتبادل الخبرات، وتُتمى العلاقات، وتُوحّد المنهجية.

رابعاً: أن يُسخر الحاسوب بتقنياته الهائلة ونظمه وبرمجياته المختلفة لخدمة المصطلح وقضاياها الراهنة، وأن يجري ذلك بالتعاون الكامل بين خبراء الحاسوب ومهندسيه، من جهة، واللغويين من جهة أخرى، والاستفادة القصوى من تلك الإمكانيات التي توفرها التقنيات المعلوماتية الحديثة في هذا المجال.

خامساً: أن تُكثّف المجمع اللغوية، والجمعيات اللسانية، والمؤسسات العلمية، والمراكز الثقافية والبحثية المتخصصة في الوطن العربي، جهودها في سبيل توحيد المصطلح وتنظيمه، وإشاعته بين أهل العلم، ونشر الثقافة المصطلحية بين المهتمين.

¹⁴² كان من ثمرّة تلك الجهود إقامة مؤتمرات عدة في المصطلح وقضاياها، وصدر أعمالها في مجلدات، ومن ذلك حسب علمي:

. ندوة الدراسات المصطلحية والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية (ظهر المهرز - فاس) 1414هـ - 1993م.

. ندوة قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية (مكناس) 2000م.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

سادساً: أن تعتمد إحدى الهيئات العلمية أو الثقافية في المشرق العربي إصدار مجلة خاصة بالمصطلح، تكون مهمتها الرئيسة العناية بقضايا المصطلح ودراسة جوانبه المختلفة، كما هي الحال في مجلة اللسان العربي بالرباط، ومجلة الدراسات المصطلحية بفاس (المغرب).

التعريب العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

مصادر البحث ومراجعته

- ♦ إبراهيم أنيس (دكتور):
 - الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1971م.
 - اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف بمصر، 1971م.
- ♦ ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، ط 1 (الجزء الثالث) 1379 هـ - 1960م.
- ♦ أحمد مختار عمر (دكتور):
 - دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1396 هـ - 1976م.
 - المصطلح اللساني العربي وضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر (الكويت) المجلد 20، العدد 3، 1989م.
- ♦ أحمد نعيم الكراعي (دكتور): المصطلح اللغوي وسبل توحيده، مجلة اللسان العربي، العدد 39، 1995م.
- ♦ إدريس الطرح (دكتور): مفهوم المصطلح، ضمن أعمال ندوة (قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية) كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة مولاي إسماعيل، مكناس المغرب، سلسلة الندوات رقم (12)، إعداد: عز الدين البوشيخي محمد الوادي، 2000م.
- ♦ اميل يعقوب (دكتور) وزملاؤه: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان، ط1، 1987م.
- ♦ بدر اوي زهران (دكتور): العقاد وعلم السيمية، ضمن أبحاث المؤتمر العلمي الأول (عباس محمود العقاد في ذكره المئوية) جامعة أسيوط كلية الآداب بقنا، 1989م.
- ♦ بسام بركة (دكتور): معجم اللسانية، منشورات جروس . برس ، طرابلس لبنان، 1984م.
- ♦ تمام حسان (أستاذي الدكتور):
 - الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1401 هـ - 1981م.
 - إعادة وصف اللغة العربية ألسنياً، ضمن (أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية) الجامعة التونسية، تونس، 1981م.
- ♦ اللغة بين المعيارية والوصفية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958م.
- ♦ اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.
- ♦ مقالات في اللغة والأدب، الجزء الأول، جامعة أم القرى . معهد اللغة العربية، مكة المكرمة، 1405 هـ - 1985م/ الجزء الثاني، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1427 هـ - 2006م.
- ♦ مقدمة ترجمته كتاب: النص والخطاب والإجراء، دي بيوجراند، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418 هـ - 1998م.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

- مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1955م.
- ♦ النهامي الراحي الهاشمي (دكتور): معجم الدلالية، مجلة اللسان العربي، العدد 24، د.ت.
- ♦ جعفر عبانية (دكتور): توحيد المصطلح في علم الأصوات، مجلة اللسان العربي، العدد 39، 1995م.
- ♦ جفري سامسون: مدارس اللسانيات . التسابق والتطور، ترجمة د. محمد زيادكية، جامعة الملك سعود، الرياض ، 1417هـ.
- ♦ حلمي خليل (دكتور) :
- العربية وعلم اللغة البنوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م.
- الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980م.
- ♦ حمزة بن قبان المزيني (دكتور): التحيز اللغوي وقضايا أخرى، مؤسسة اليمامة الصحفية (سلسلة كتاب الرياض ، رقم (125) ط1، 1425هـ - 2006م.
- ♦ ردة الله بن ردة الطلحي (دكتور): دلالة السياق، مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1424هـ.
- ♦ رمزي بعلبكي (دكتور): معجم المصطلحات اللغوية ، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط1، 1990م.
- ♦ رمضان عبد التواب (دكتور):
- التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، مكتبة الخانجي بالقاهرة . دار الرفاعي بالرياض ، 1981م
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة . دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1982م
- 1403هـ.
- ♦ ر.هـ. روبنز: موجز تأريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة: د. أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، 1999م.
- ♦ سعد مصلوح (دكتور):
- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن الكتاب التذكاري (عبد السلام هارون معلماً ومؤلفاً ومحققاً)، إعداد: د. وديعه طه نجم - د. عبده بدوي، إصدار قسم اللغة العربية بجامعة الكويت، 1410هـ - 1990م
- المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النص، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، المجلد 59، العدد 3، 1999م
- ♦ سمير ستيتية (دكتور):
- السيميائية اللغوية وتطبيقاتها على نماذج من الأدب العربي، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 7، العدد 2، 1990م.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

- نحو معجم لساني شامل وموحد: مشكلات وحلول، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 10، العدد 2، 1413 هـ - 1992م.
- ♦ عبد الرحمن أيوب (دكتور): التطور اللغوي، دار الطباعة القومية، القاهرة، 1964م.
- ♦ عبد الرحمن حسن العارف (دكتور): اتجاهات الدراسات اللغوية المعاصرة في مصر، أطروحة دكتوراه بكلية اللغة العربية - جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1414 هـ - 1994م (تحت الطبع)
- ♦ عبد السلام المسدي (دكتور):
- الفكر العربي والألسنية، ضمن (أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية)، الجامعة التونسية، تونس، 1981م.
- قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، 1984م.
- ♦ عبد العزيز الصيغ (دكتور): المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر بدمشق، ط1، 1421 هـ - 2000م.
- ♦ عبد الفتاح البركاوي (دكتور): دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار بالقاهرة، ط1، 1411 هـ - 1991م.
- ♦ عبد القادر الفاسي الفهري (دكتور): المصطلح اللساني، مجلة اللسان العربي، العدد 23، 1984.
- ♦ علي عزت (دكتور): اللغة ونظرية السياق، مجلة الفكر المعاصر، العدد 76، 1971م.
- ♦ عليّة عزت عياد (دكتورة): معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، دار المريخ، الرياض، 1404 هـ - 1984م.
- ♦ فاطمة الهاشمي بكوش (دكتور): نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004م.
- ♦ فريد عوض حيدر (دكتور): توحيد المصطلح العلمي في الوطن العربي، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، 1422 هـ - 1423 هـ / 2001-2002م.
- ♦ كمال بشر (دكتور):
- دراسات في علم اللغة، القسم الأول & القسم الثاني، دار المعارف بمصر، ط1، 1971م.
- علم اللغة العام: الأصوات، دار المعارف بمصر، ط4، 1975م.
- ♦ ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة: د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس - كلية التربية، ليبيا، 1973م.
- ♦ مجمع اللغة العربية بالقاهرة:
- مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً: 1934 - 1985م، أخرجها وراجعها: محمد شوقي أمين - إبراهيم الترزي، القاهرة، 1404 هـ - 1984م.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد العاشر، 1388هـ - 1968م.
- ♦ محمد حسن عبد العزيز (دكتور):
- سوسير رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990م.
- المصطلحات اللغوية، ضمن الكتاب التذكاري (تمام حسان رائداً لغوياً)، إعداد وإشراف: د. عبد الرحمن بن حسن العارف، عالم الكتب، القاهرة ، ط1، 1423هـ - 2002م.
- ♦ محمد حلمي هليل (دكتور):
- دراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللساني في العالم العربي، ضمن ندوة (تقدم اللسانيات في الأقطار العربية)، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1991م.
- المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب، مجلة اللسان العربي، العدد 21، 1983م.
- ♦ محمد رشاد الحمزاوي (دكتور): مشاكل وضع المصطلحات اللغوية، ضمن (أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية)، الجامعة التونسية، تونس، 1981م.
- ♦ محمد علي الخولي (دكتور):
- الأصوات اللغوية، مكتبة الخريجي، الرياض، ط1، 1407هـ - 1987م.
- معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1991م.
- ♦ محمد محمد علي يونس (دكتور) أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، مجلة عالم الفكر (الكويت)، العدد 1، المجلد 32، 2003م.
- ♦ محمود جاد الرب (دكتور): علم اللغة: نشأته وتطوره، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985م.
- ♦ محمود السعران (دكتور): علم اللغة مقدمة للقارئ العرب ، دار المعارف بمصر، 1962م.
- ♦ محمود فهمي حجازي (دكتور):
- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة، سنة الإيداع 1993م.
- البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة، سنة الإيداع 1993م.
- ♦ محيي الدين محسب (دكتور): نقل المصطلح اللساني في مطلع القرن العشرين - قاموس النجاري نموذجاً، دار الهدى للنشر والتوزيع، ألمانيا، مصر، سنة الإيداع 2001م.
- ♦ مصطفى صادق أبو سليمان: الدراسات اللغوية الحديثة في مصر، رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1987م.
- ♦ مصطفى طاهر الحيادة (دكتور): من قضايا المصطلح اللغوي العربي، عالم الكتب الحديث، إربد . الأردن، 1424هـ - 2003م.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون جمادى الأولى / حزيران 2007

♦ مصطفى غلفان (دكتور):

- اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، منشورات جامعة الحسن الثاني - عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سنة الإيداع 1998م.
- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات: أيّ مصطلحات لأيّ لسانيات؟ مجلة اللسان العربي، العدد 46، 1419هـ - 1998م.

♦ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، تونس، 1989م.

♦ نخبة من اللغويين العرب: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، لبنان - بيروت ، ط1، 1983م.

تعريب الطب بين التمني والواقع

الفصل العظمي مثلاً

د. حسام لايقة

أستاذ في كلية الطب - جامعة دمشق

نتساءل باستمرار عن سبب إقحام كلمات أجنبية في كلامنا اليومي، وإطلاق تسميات أجنبية على مَحَالِّنا وبرامجنا وأولادنا، وينسحب ذلك على تشديد بعضهم على التعليم باللغة الأجنبية منذ الصفوف الابتدائية، حتى ليفخر بعض الآباء أن ابنه يجيد الإنكليزية أكثر من العربية، وهذا أمر شائع في البلدان المغلوبة على أمرها حضارياً، إذا كانت حضارتها عاجزة عن استيعاب ما أتت به الحضارات الأخرى، أما أن يسعى بعضهم إلى الاستسلام دون القيام بأدنى محاولة للمقاومة، وادعاء أن اللغة العربية عاجزة عن حَضْنِ ما أتت به العلوم بلغات أخرى فهذا تَجَنُّ واضح، سواء كان غير مقصود أم كان مقصوداً.

يدعو العديد من أفراد المجتمع إلى عدم تعريب العلوم، ومن حججهم أن التعليم باللغة العربية جعلهم يعيدون دراسة العلم باللغة الأجنبية، عندما تركوا بلادهم إلى البلدان الأجنبية ابتغاء الاستزادة والتخصص، وأنه سبب عدم القدرة على النشر والبحث العلمي ومتابعة الدوريات باللغات الأجنبية، ونجد في ذلك خلطاً واضحاً بين التعلم والتعليم باللغة الأجنبية من جهة، وإتقان اللغة الأجنبية من جهة أخرى.

إن تعريب العلوم وتعليمها بالعربية يمكن شريحة واسعة من المجتمع من الاطلاع على هذه العلوم وتشربها بسهولة، وهذا ما فعلته البلدان الأجنبية وما زالت؛ إذ نجد ما يترجم إلى التركية

والألمانية والفرنسية والإسبانية واليابانية والصينية وحتى الإنكليزية يشكل نسبة مهمة مما ينشر باللغة الأم لهذا البلد، ولا نجد في هذه البلدان من يدعو إلى تغيير لغة تعليمها إلى لغة أخرى، فهل يجب على الباحثين الفرنسيين مثلاً تعلم الألمانية واليابانية والإنكليزية والروسية والإسبانية حتى يلموا بما ينشر في العالم من أبحاث؟ أم يكفي أن تترجم الأبحاث الهامة من هذه اللغات إلى الفرنسية على أيدي فئة قليلة تتقن هذه اللغات، وينطبق الأمر على حجة نشر الأبحاث؛ إذ يكفي أن يتقن واحد من مجموعة البحث اللغة الأجنبية حتى يتمكن هذا الفريق من النشر بها.

إننا نلحُّ على تعليم اللغات الأجنبية وإتقانها، ونعتقد أن سوء مخططات تعليم هذه اللغة مسؤول عن عدم القدرة على التواصل بها عندما نبحث أو ننشر بحثاً ما في مجلة أجنبية، وقد قطعنا شوطاً معقولاً في مجال تعريب المصطلحات، بعيداً عن التعقيد الذي وقع فيه التعريب قبل عقود عدة؛ عندما كان يؤتى بكلمات مغرقة في الغرابة لا يستسيغها لافظها ولا سامعها، فأضحى المعربون يستخدمون كلمات سهلة، بل ويحتفظون بكلمات عديدة وجدها أفضل من تعريبها، ولا سيما فيما يتعلق بالتسميات، والمشكلة التي تواجهنا هي مشكلة تعريب العلوم وسرعة هذا التعريب وكميته.

إنني عندما أتقن لغة أجنبية لا أحتاج إلى تعريب العلوم منها حتى أستفيد علمياً، بل أفعل ذلك ليستفيد غيري، وهنا لا ينبغي الحديث عن المثاليات، فأنا أفعل ذلك سعياً وراء فائدتني حتماً مهما كانت طبيعة هذه الفائدة من مال وشهرة وحظوة وغير ذلك، وبالنتيجة يعد العطاء المجزي لقاء أتعاب التعريب أهم أسس تحسين القدرة على التعريب كمّاً ونوعاً وسرعة، ويخطئ من يظن أن التعريب الوافي لن يجد له سوقاً، بل إن نتائج هذا التعريب ستقطع الطريق على المشككين.

يعد تعريب الطب من جملة ما سبق، إذ يهاجمه كثيرون، فهم مستعدون لحفظ كلمة femur أكثر من عظم الفخذ الذي يفهمه حتى الأطفال العرب، وقد لا يعرف المقابل الإنكليزي حتى الإنكليز أنفسهم، ومثل ذلك كلمة ulna (الزند) وmandible (الفك السفلي) وderma (الجلد) وغيرها، ويقول هؤلاء إن تعريب كلمات ومصطلحات حديثة صعب أو مستحيل، متناسين أن أغلبها مشتق من اللاتينية مع وصل عدة جذور بعضها ببعض أو أنها مختصرات، فلماذا إصرار بعضهم على إتقان لغة أخرى قبل إتقان

لغتنا، ولا ينبغي إغفال دور الحكومات في التعريب، فهو سلبي أكثر من إيجابي، فقد أصبحنا نتحدث عن التعريب أكثر من التعريب، دون البحث في حل للمشكلات التي تواجهه وتطبيق الحلول المقترحة. إنني في الصفحات التالية أقدم مثلاً، مقالاً طبياً باللغة العربية يرجع إلى العديد من المصادر الإنكليزية، وقد اخترته لأنه يهم عدداً كبيراً من أفراد المجتمع، وغير مُغرق في صَعْب اللغة والعلم، لأنني أعلم أن قراء هذه المجلة هم من غير المتخصصين، وأقول إن قراءة صعب العلم وفهمه بالإنكليزية لا يقل عناء عن تعلم صعب العلم بالعربية.

الفُصال العظمي OSTEOARTHRITIS

توطئة:

توجد تسميات عدة للفُصال العظمي، إذ يدعى التهاب المفاصل الضموري أو التنكسي أو جفاف المفصل أو تَهَرُّؤُه أو خشونته، وقد يكتفي بعض الأطباء بإخبار المريض بوجود أذيةٍ عضروفية لديه دون أن يبتعدوا عن الحقيقة كثيراً، ولا يمكن إنكار أن هذا المرض يشكل الخبز اليومي لأطباء المفاصل والروماتزم وأطباء الجراحة العظمية، مهما كثرت تسمياته التي ربما تدل على شيوعه الواسع. وأشار إلى أن ما يقرب من 20% من الناس مصابون بفصال عظمي يدفعهم إلى مراجعة الطبيب، ونجد أكثر من نصف المرضى في عيادة طبيب المفاصل يشكون من أعراض الفصال العظمي، وقد ازداد فهم طريقة حدوث الداء في السنوات الأخيرة، مما حفز شركات الأدوية إلى صُنع مستحضرات جديدة قد تخفف أعراض المرض، ويؤمل أن تصل إلى علاج يوقف المرض أو يقي منه في المستقبل.

مقدمة:

بعد الفُصال العظمي osteoarthritis مرضاً روماتزمياً شائعاً يتصف بضيق الغضروف المفصلي cartilage تدريجياً، ويُحدث التهابَ المفصل لدى بعض الناس، ويُقدر أن عدد الأمريكيين المصابين بالفُصال العظمي يصل إلى 40 مليوناً من الأعمار كلها(1)، ويبلغ احتمال إصابة النساء المسنات بالفُصال العظمي في اليدين والركبتين ضعفي إصابة الرجال من العمر نفسه(2). وتزداد أهمية الفُصال العظمي من الناحية المرضية والاقتصادية مع استمرار زيادة عدد المرضى المُعَمَّرِينَ، وقد أصبح علاج الفُصال العظمي أكثر تعقيداً إبان ظهور المشاكل الحديثة التي رافقت العلاج بالأدوية الحديثة. ويناقش هذا المقال انتشار الفُصال العظمي prevalence، وتصنيفه، والفيزيولوجيا المرضية pathophysiology لحدوثه، وأسبابه، وعوامل الخطورة التي ربما تكون مسؤولة عن حدوثه أو تُوْهب له، ثم يشرح طرق تشخيصه قبل أن ينتهي إلى الطرق المتوفرة لمعالجته.

الانتشار Prevalence

يزداد عددُ حالات الفُصال العظمي osteoarthritis مع تقدم العمر، ويظن أن المرض يبدأ باكراً في العقد الثالث من العمر، وتشير الدراسات على الجثث إلى وجود دليل على أذية غضروفية لدى أغلب المتوفين بعمر يتجاوز 65 سنة تقريباً(3)، ويوجد دليل شعاعي radiographic على الفُصال العظمي لدى أغلب الناس الذين يتجاوز عمرهم 65 سنة ولدى 80% من الناس الذين تجاوز عمرهم 75 سنة(4)، وتغلب الشكوى من إصابة مفصل الركبة مع أن الفصال العظمي في اليدين أكثر شيوعاً يليه الفصال العظمي في الركبة فالورك Hip(3)، وقد لا تحدث أعراض لدى كثير من المرضى الذين توجد لديهم تبدلات شعاعية، أو قد تحدث أعراض الفُصال العظمي دون ظهور التبدلات الشعاعية في المفاصل المصابة؛ لذلك يجب أن يعتمد التشخيص الدقيق على أخذ القصة المرضية history والفحص السريري physical examination والموجودات الشعاعية radiographic findings.

التصنيف Classification

إن تشخيص الفصال العظمي معقد كما ذكرنا؛ لذلك حاول بعض المؤلفين وضع مجموعة معايير تشخيصية diagnostic criteria ومقاييس لتصنيف المرض classification criteria حتى تسهل مقارنته، وقد قسّم المرض إلى مجهول السبب idiopathic: موضعي localized يصيب الركبة والورك hip واليدين والقدمين والعمود الفقري spine أكثر من غيرها من المفاصل، أو مُعمّم generalized يصيب ثلاثة مفاصل أو أكثر؛ وثانوي secondary لحالات عديدة نذكر منها الرضوح trauma وداء ترسب بيروفسفات الكالسيوم calcium pyrophosphate deposition ومجموعة من الأمراض المفصليّة منها التهاب المفاصل الروماتويدي rheumatoid arthritis والنقرس gout والتهاب المفصل العدوائي infectious arthritis وأمراض غير مفصليّة منها السكري diabetes mellitus وقصور الدرقية hypothyroidism، ويجب البحث عن سبب ثانوي للفصال العظمي إذا أصيب أحد المفاصل التي لا يتوقع إصابتها ومنها الكتف ورسغ اليد wrist والكاحل ankle والمرفق elbow والمفصل الحرقفي العجزي iliosacral والمفصل الصدغي الفكي temporomandibular.

لقد وضعت لجنة خاصة تابعة لرابطة الروماتزم الأمريكية American College Of Rheumatology ACR مجموعة معايير وخوارزميات لتصنيف الفصال العظمي في الركبة والورك واليدين (16-18)، وتبقى هذه المعايير غير قابلة للتطبيق على كل مريض يراجعنا؛ إضافة إلى أنها لم تعالج موضوع الفصال العظمي الثانوي أو موضوع وجود تبدلات شعاعية لدى مريض دون أعراض سريرية، لكن وضع المعايير يساعد في توحيد طريقة تشخيص الفصال العظمي في الدراسات وقد يُتبع ذلك في الممارسة العملية بقصد أو دون قصد الطبيب.

الفيزيولوجيا المرضية Pathophysiology

يزيل الغضروف المفصلي joint cartilage والسائل الزليلي synovial fluid الاحتكاك الناتج عن حركة العظام المفصليّة المتلاقية تقريباً، ويتأذى الغضروف بسبب قيامه المستمر بهذه

الوظيفة، وترمم الخلايا الغضروفية chondrocytes الغضروف المتأذي، وتتضمن الفيزيولوجيا المرضية للفصال العظمي العمليات التي تشترك في تغيير تركيب الغضروف المفصلي وخصائصه؛ فيتخرب الغضروف cartilage تدريجياً وتتشكل النوبات العظمية osteophytes ويزول الغضروف، ويعود هذا التخرب إلى عدم كفاية آليات الإصلاح التي تؤديها الخلايا الغضروفية في سد الثغرات التي تتركها آليات التخرب.

ينتج الفصال العظمي بإحدى طريقتين؛ إذ غالباً ما تسبب القوى الفيزيائية physical forces الناتجة عن الرضوح trauma المتكررة الخفيفة أو الشديدة أذية الغضروف، ولا يترمم هذا الغضروف بالطريقة المناسبة الكافية، وقد يكون السبب اضطراباً غضروفياً خلقياً congenital يجعله أقل من الغضروف الطبيعي قدرة على تحمل القوى الفيزيائية حتى الطبيعية منها، وقد أظهرت الدراسات على التوائم وجود علاقة بين حدوث الفصال العظمي وعوامل جينية genetic (3)، وسنتناول دور العبء الميكانيكي mechanical load والرضوح التي تبدأ معظم حالات الفصال العظمي osteoarthritis.

تشير الوقائع إلى اختلاف تأثير التمارين والوزن على الفصال العظمي بحسب شدتها ومدتها، وتسبب هذه القوى الخارجية تبدلات في بنية structure وكمية المطرس الغضروفي cartilage matrix التي تنتجها الخلايا الغضروفية chondrocytes، وتزداد كمية جزيئات المطرس التي تنتجها الخلايا الغضروفية مع زيادة العبء الميكانيكي على المفصل مدة وشدة حتى الوصول إلى درجة معينة، إذا تجاوزها العبء الميكانيكي مدة أو شدة بدأ إنتاج الجزيئات السابقة بالانخفاض، مما يسبب بدء تخرب الغضروف، ويتشوه الغضروف المريض بسرعة أكبر من سرعة تشوه الغضروف السليم استجابة للحمل الميكانيكي نفسه (5). وما زالت الدراسات حول دور قوة العضلات وآلية هذا الدور غير كافية حتى الآن، وقد يكون لجملة الأعصاب nerves التي تحس بالمفصل وحركته دوراً في ذلك، كذلك تسبب الرضوح trauma والتبدلات المفصالية الداخلية تخرب الغضروف تخرباً مباشراً.

تؤدي الإنزيمات المعدنية (metallic enzymes) (ميتالوبروتيناز metalloproteinases (MMPs، الدور الرئيس في تخرب بنية الغضروف وحدوث الفصال العظمي، وتعاكس مثبطات نسيجية خاصة (TIMPs, tissue inhibitors of metalloproteinases) عمل هذه الإنزيمات ليكون التوازن بينهما المحدد للتأثير الفاعل، وتخضع هذه الإنزيمات والخلايا الغضروفية لتأثير منظم regulatory آخر تقوم به السيتوكينات cytokines التقويضية catabolic والابتنائية anabolic.

تبدأ التبدلات الغضروفية بتوادم الغضروف edema وتفتك شبكة الكولاجين collagen التي تشكله، ويزداد محتوى الغضروف من الماء، وتهضم الإنزيمات مادة البروتيوجلين الغضروفية cartilage proteoglycan التي تشكل العمود الفقري للمطرس الغضروفي؛ حتى يصبح التوازن بين إنتاجها من الخلايا الغضروفية وتخربها سلبياً فتتقص كميتها، ويرق الغضروف ويتشقق، وتُخفق آليات الإصلاح التي تقوم بها الخلايا الغضروفية، فيزول الغضروف وينكشف العظم تحته؛ مما يسمح بدخول السائل الزليلي synovial fluid إلى داخل العظم بتأثير ضغطه العالي أثناء الحركة؛ فتتشكل كيسات عظمية bone cysts ويتخرب العظم في مرحلة لاحقة.

الأسباب وعوامل الخطورة Etiology and Risk Factors

ينتج الفصال العظمي osteoarthritis عن تضافر عوامل عدة تشمل شكل المفصل morphology وعوامل جينية genetic والالتهاب الموضعي وقوى ميكانيكية وعمليات خلوية cellular وكيميائية حيوية biochemical، ويدعى الفصال العظمي ثانوياً إذا كشف العامل الذي سببه.

يعد التقدم بالعمر aging عامل خطورة هام لحدوث الفصال العظمي؛ إذ يزداد انتشار المظاهر الشعاعية للفصال العظمي مع تقدم العمر في المفاصل كلها، وقد أظهرت دراسة هولندية كبيرة وجود الفصال العظمي في المفاصل بين السلاميات القاصية DIP distal interphalangeal لدى 75% من النساء اللواتي تقع أعمارهن بين 60-70 سنة، وأصيب 35% من النساء بالفصال العظمي في الركبة في المجموعة ذاتها، في حين قارب الانتشار

prevalence صفراً في العشرين من العمر(6)، وتقدر إحدى الدراسات أن النساء يصبين بالفصال العظمي بمعدل 2.6 ضعف إصابة الرجال بعد تحييد عوامل العمر والوزن والتدخين(7)، ويتفاوت تأثير البدانة obesity في حدوث الفصال العظمي بحسب المفصل المصاب؛ إلا أن زيادة انتشار الفصال العظمي عند البدنيين مثبت في دراسات عدة؛ حتى في اليدين(8)، ويزداد حدوث الفصال العظمي مع ارتفاع كثافة العظم bone density في الورك والركبتين(9،10)؛ إلا أن تفاقم الإصابة deterioration يزداد تسارعاً بوجود نقص كثافة عظمية، ويزداد انتشار الفصال العظمي عند إرهاق مفصل ما لسبب العادة أو المهنة أو ممارسة رياضة معينة، ويسهل الضعف العضلي حدوث الأذية الغضروفية لأنه يحرم المفصل من آلية وقائية هامة تمتص الصدمات، ولا سيما إذا كان الحمل المطبق على المفصل أكبر من الحد الذي تَعَوَّده عليه المفصل والعضلات المحركة والداعمة له(11،12)، وتشير دراسات حديثة إلى أهمية سلامة وظيفة الأربطة المفصالية ligaments والأوتار العضلية tendons في الوقاية من حدوث الفصال العظمي(13).

المظاهر السريرية Clinical Manifestation

يعد الفُصال العظمي مرضاً موضعياً localized؛ وليس مجموعياً systemic، فهو "يفضل" إصابة الركبتين واليدين والوركين مع أنه لا "يتخلَّى" عن مفاصل أخرى، ولا تُحدث التبدلات المفصالية المبكرة أعراضاً لأن الغضروف المفصلي يفتقد الألياف العصبية nerve fibers، وينتج الألم في الفُصال العظمي من تآكل العظم erosion، والكسور العظمية المجهرية microfractures، وإجهاد الأربطة بسبب فقد الغضروف، والتهاب الزليل المنخفض الدرجة low grade synovitis، وتشنج العضلات المحيطة spasm مع تقدم المرض، ويحدث الألم في المراحل اللاحقة في المناطق المحيطة بالمفصل المصاب.

يتفاقم ألم الفصال العظمي بالحركة ويخف بالراحة عادة، وتقتصر المدة اللازمة لبدء الألم مع تقدم المرض ليصل إلى درجة يحدث فيها في الراحة أيضاً، ويترافق الألم مع تيبس مفصلي

stiffness قصير الأمد أحياناً، ولاسيما صباحاً وبعد الراحة، ويظهر الفحص السريري مضمض tenderness المفصل المصاب كله أو بعض أجزائه، وقد يحدث تورم مفصلي ناتج عن انصباب فيه effusion، وقد تحدث فرقة عظمية crepitus، ويمكن جس النوبات العظمية osteophytes حول المفصل أحياناً، وتختلف الأعراض symptoms والعلامات signs بحسب المفصل المصاب، وبحسب مدة المرض وشدته.

يجب تمييز ألم المفصل الناتج عن الفصال العظمي عن الألم الناتج عن التهاب بنية حول مفصالية periarticular structure؛ ولاسيما التهاب الجراب bursitis الذي لا يسبب تحدد الحركة المنفصلة للمفصل passive، ويزداد مع بعض حركات المفصل دون غيرها عادة.

التصوير والوسائل التشخيصية المساعدة

Radiography and accessory diagnostic tools

تعد المظاهر الشعاعية والموجودات المختبرية laboratory findings غير أساسية في تشخيص الفصال العظمي، ومن المظاهر الشعاعية ضيق المسافة المفصالية دون حدوث قسط ankylosis وتشكل النوبات العظمية osteophytes، وقد تظهر كيسات عظمية تحت الغضروف subchondral bone cysts، لكن غياب هذه التبدلات لا ينفي تشخيص الفصال العظمي، وقد نُشر عن وجود علاقة بين كل من التآكلات العظمية erosions ووذمة نقي العظم bone marrow edema بالتصوير بالرنين المغناطيسي magnetic resonance imaging من جهة؛ وألم الركبة الناتج عن الفصال العظمي من جهة أخرى (14)، ويظهر الرنين المغناطيسي إصابة البنى المفصالية وحول المفصالية الأخرى التي قد تسبب الألم، ويمكن لتصوير المفاصل بالصدى ultrasound أن يكشف بعض التبدلات المفصالية، ووجود انصباب مفصلي effusion، أو التهاب أجربة bursitis أو أوتار tendonitis حول مفصالية، أو كيسة بيكر Baker's cyst، ويعد رشف aspiration وفحص السائل الزليلي synovial fluid ضرورياً في التهاب المفصل الوحيد monoarthritis، ويظهر تحليل هذا السائل في الفصال العظمي لزوجة جيدة viscosity، وأن عدد كريات الدم البيضاء white blood cells لا يتجاوز 2000 في المليمتر المكعب (15)،

وقد يكشف بلورات بيروفسفات الكالسيوم calcium pyrophosphate crystals.

المعالجة Management

تهدف معالجة الفُصال العظمي osteoarthritis إلى السيطرة على الألم والتورم، وإنقاذ العجز، وتحسين جودة الحياة، إضافة إلى إرشاد المرضى إلى دورهم في معالجة المرض. وتُفصّل المعالجة بحسب وظيفة المريض وفعاليته وتوقعاته واحتياجاته المهنية، والمفاصل المصابة وشدة المرض والمشاكل الصحية المرافقة المحتملة. ولا بد من محاولة تجنب أو إزالة عوامل الخطورة لحدوث المرض إن أمكن، ويجب تجنب فرط معالجة المرضى إذا كانت شكاوهم بسيطة، حتى لو كانت التبدلات الشعاعية شديدة، وتختلف طريقة المعالجة بحسب المفصل المصاب؛ إلا أن الخطوط العريضة لهذه المعالجة واحدة، وينتقل العلاج من الإجراءات البسيطة إلى المعقدة بعد إخفاق الأولى في العلاج أو عدم كفايتها(19).

المعالجة غير الدوائية Nonpharmacological Treatment

تعد المعالجة غير الدوائية الركن الأساسي في علاج هذا المرض، وتشمل هذه المعالجة إرشاد المريض، والتمارين، وإنقاص الوزن، والأجهزة المساعدة، ومتممات المعالجة الأخرى.

إرشاد المريض Patient Education

يعد من الضروري إرشاد المريض إلى أسباب الفُصال العظمي، وتأثيره، وأعراضه، وتقديم إيضاح عملي لأقصى ما يمكن تحقيقه بالعلاج المثالي، ويساعد ذلك على تجنب الوضعيات التي يحتمل أن تزيد من سرعة تفاقم الفصال العظمي، وفي تخفيف الوزن، والالتزام بالمعالجات المقترحة، وأيضاً تزداد مشاركة المرضى في العناية بأنفسهم ويزداد تفاؤلهم بالحصول على نتائج علاجية مقبولة مع زيادة فهمهم للمرض.

التمارين Exercise

يهدف برنامج التمرين إلى الحفاظ على مدى حركة المفصل وقوة العضلات والصحة العامة، وغالباً ما يخاف مرضى الفُصال العظمي من أن استعمال المفصل سيخرب المناطق المتأذية سلفاً؛ علماً أن الدلائل تشير إلى عدم تسارع تفاقم الإصابة بالفُصال العظمي لدى المرضى الذين يمارسون التمارين المنتظمة القليلة الإجهاد low-impact exercise؛ ومنها ركوب الدراجة والأجهزة الإهليلجية elliptical machines (20)، بل يخف ألم الفصال العظمي باتباع التمارين المقوية للعضلات والتمارين الهوائية aerobics؛ ومنها السباحة والمشي (21)، ويجب تشجيع المرضى على المشاركة في هذه التمارين التي يمكن أن تساعد على التخلص من الكآبة التي قد ترافق الحالة الألمية المزمنة الناتجة عن الفُصال العظمي (22)، ولا بد من الإشارة إلى أن إجهاد المفصل المصاب أمر غير محبذ لأنه قد يزيد الإصابة والألم، ويمكن أن تشكل درجة إحساس المريض بالألم مقياساً له بمدى الحاجة إلى إراحة المفصل.

إنقاص الوزن Weight Loss

توجد علاقة بين البدانة obesity والفُصال العظمي عند كلا الجنسين؛ علماً بأن البدانة عامل خطر لحدوث الفُصال العظمي لدى النساء أكثر مما لدى الرجال على ما يبدو (23)، وقد ثبت أن إنقاص الوزن يسبب تراجع وقوع incidence أعراض الفصال العظمي (24، 25). وتتفاقم أعراض التهاب مفاصل الوركين والركبتين والقدمين بوجود البدانة، لذلك يجب أن تشمل إجراءات الوقاية الأولية primary preventive measures إنقاص الوزن أو تجنب زيادته على الأقل لدى مفرطي الوزن overweight، ولعل هذا الإجراء من أكثر ما يشكو المرضى من عجزهم عن تحقيقه نظراً لصعوبة حركتهم، ولذلك يجب أن تشمل المعالجة النفسية دعماً وإرشاداً خاصاً بتخفيض الوزن.

الأجهزة المساعدة Assistive Devices

تساعد أنواع مختلفة من الأجهزة على تخفيف أعراض الفُصال العظمي بوساطة دعم العضلات المتعلقة بالمفصل المصاب، ومن هذه الأجهزة المساعدة العكازات crutches، وأجهزة المشي، و"ضبان" الحذاء (shoes inserts)، والجبائر splints، والدعائم braces، وأنواع النعل الخاصة، ويهدف استعمال هذه الأجهزة إلى جعل المريض يُحسُّ بالراحة، ومساعدته على التجول معتمداً على نفسه، وتحسين أدائه لوظيفته. ويمكن أن تفيد المعالجة الفيزيائية والمهنية المرضى الذين أحدث الفُصال العظمي إعاقه جسدية لديهم؛ فيشعرون بالاستقلال أكثر، ويقل شعورهم بالعجز، ويجب تطبيق برامج تدريب خاصة بكل مريض وتعليمه طريقة التعامل مع فعاليات الحياة اليومية.

العلاج البديل Alternative Therapy

يسعى أغلب المرضى للاستفادة من العلاج البديل بعد إصابتهم بالآثار الجانبية للمعالجات التقليدية، أو عدم تحسنهم عند تناولها تناولاً كاملاً. وقد تزايد استعمال المواد البديلة المفصلية المختلفة بعد أن راج أنها أدوية مغذية للغضروف وتبطئ سير الفصال العظمي، واقتُرحت آليات مختلفة لتأثير هذه المواد، منها معاكستها لأنواع الأكسجين التفاعلية reactive oxygen المؤذية للغضروف المفصلي، ومساهمتها في تشكل المطرس الغضروفي cartilage matrix ونمو الخلايا الغضروفية؛ من ثم الحفاظ على وظيفة الغضروف سليمة. ومن المواد التي يقال أنها مفيدة في علاج الفصال العظمي مضادات التأكسد antioxidants، والفيتامين C، والسيلينيوم selenium، وحمض الفوليك، والكوبالامين cobalamine، ويبقى سلفات الغلوكوزامين glucosamine sulfate وسلفات الكوندرويتين chondroitin sulfate من أكثر المواد المدروسة، وربما المفيدة (26).

يشتق سلفات الغلوكوزامين من أصداف سرطان البحر والمحار، وقد توصلت الدراسات اللاحقة meta-analysis إلى أن الغلوكوزامين قد يكون مفيداً في تخفيف الأعراض الألمية أكثر

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى/ حزيران 2007

من الغُفل placebo (27)، ويعطى الغلوكوزامين بجرعة 500 ملغ ثلاث مرات يومياً، ويجب أن تؤخذ المادة شهراً على الأقل قبل حدوث التحسن المفترض، ويبقى تأثير هذه المادة الإيجابي على سير المرض وفائدتها في الفصال العظمي الشديد موضع شك.

لقد ظهرت فائدة سلفات الكوندرويتين في بناء تجمعات جزيئات البروتيوغليكان؛ ومن ثم أدت إلى تحسن أعراض الفُصال العظمي (28)، ويشترك الكوندرويتين من غضروف القرش والبقر غالباً، ويعطى الكوندرويتين بجرعة 400 ملغ ثلاث مرات يومياً، ولا تظهر نتائج المعالجة قبل شهر من إعطائه على الأقل.

تشير دلائل قليلة إلى أن إعطاء مشاركة من الغلوكوزامين والكوندرويتين أشد فعالية من إعطاء أي منهما مفرداً (29)، وقد أجريت دراسة على إعطائهما معاً Glucosamine/ Chondroitin Arthritis Intervention Trial (GAIT) مدة ستة أشهر، وضمت الدراسة 1500 مريض مصاب بالفُصال العظمي ولديه ألم متفاوت من بسيط إلى شديد، وتوزعت الدراسة في خمسة أفرع؛ فأعطى المرضى غلوكوزامين، أو كوندرويتين، أو مشاركة الغلوكوزامين مع الكوندرويتين، أو سيليكوكسيب celecoxib أو غفلاً placebo يومياً، وتوصلت دراسة GAIT إلى أن المشاركة بين الغلوكوزامين والكوندرويتين مفيدة في معالجة ألم الركبة المعتدل إلى الشديد الناتج عن الفُصال العظمي (30).

يوجد المركب الطبيعي س-أدينوزيل ميثيونين S-adenosylmethionine (SAME) في المزارع الخلوية الفطرية yeast-cell cultures، وقد وجدته بعض الدراسات أشد فعالية من الغفل placebo في تخفيف ألم وتيبس الفُصال العظمي (31، 32)، ووجدت إحدى الدراسات تشابه تأثير س-أدينوزيل ميثيونين وسيليكوكسيب celecoxib بجرعة 200 ملغ يومياً في تخفيف ألم الفصال العظمي في الركبة، برغم تأخر بدء تأثير س-أدينوزيل ميثيونين نسبياً (33)، وتقع جرعة س-أدينوزيل ميثيونين بين 400 و1200 ملغ يومياً.

المعالجة الدوائية Pharmacological Treatment

لا يوجد علاج دوائي نوعي يقي من ترقى الأذية المفصلية الناتجة عن الفُصال العظمي، ولم يَظهر أي دواء شاف للمرض حتى الآن، لذلك يجب أن يقوم الطبيب بتبصير المرضى بمخاطر وفوائد خيارات المعالجة المتوفرة لهم، ويعد تخفيف الألم الاستطباب الأول primary indication لاستعمال الأدوية عند مرضى الفُصال العظمي الذين لا يتحسنون على الإجراءات غير الدوائية. ومن المناسب البدء بالمعالجة الدوائية عند عدم قدرة المريض على القيام بوظائفه دون ألم بهدف تقليل العجز والسيطرة على الألم، ويركز هذا المقال على المسكنات analgesics ومضادات الالتهاب اللاستيرويدية nonsteroidal anti-inflammatory drugs ومثبطات كوكس-2 (COX-2 inhibitors) وحقن القشرانيات السكرية glucocorticoids والهيالورونات hyaluronate داخل المفصل.

المسكنات ومضادات الالتهاب اللاستيرويدية ومثبطات كوكس-2:

Analgesics, nonsteroidal anti-inflammatory drugs and COX-2 inhibitors تعد المسكنات ومضادات الالتهاب اللاستيرويدية خيار المعالجة الأول في معظم حالات الفُصال العظمي، ويختلف الدواء الذي يحتل المركز الأول ضمن هذه المجموعة بحسب تفضيل الطبيب وخبرته بدواءٍ ما أكثر من غيره وبحسب اختيار المريض، إضافة إلى أخذ العمر النُصفي للدواء (وتأثيره على الأمراض الأخرى التي قد يكون المريض مصاباً بها) بعين الاعتبار. ويعد المسكن أسيتامينوفين acetaminophen (باراسيتامول paracetamol) الذي يباع دون الحاجة إلى وصفة طبية، الدواء المختار لتسكين الألم في الفُصال العظمي غير المترافق مع التهاب غالباً، ويعطى هذا الدواء بجرعة 1000 ملغ أربع مرات يومياً أو 650 ملغ كل أربع ساعات (أي تبلغ جرعته القصوى 4 غ يومياً)، وتُلجُّ الدلائل الإرشادية guidelines لرابطة الروماتزم الأمريكية على استعمال أسيتامينوفين في المقام الأول في معالجة الفُصال العظمي في الركبة والورك (34) لأنه قادر على تحسين الوظيفة وإنقاذ الألم أكثر من الغفل placebo؛ وإن كان الفرق ليس كبيراً (35)، ولا تحدث الجرعات العلاجية من أسيتامينوفين تأثيرات جانبية side effects إلا نادراً،

وقد تحدثت سمية كبدية liver toxicity ولاسيما لدى المرضى الذين يتناولون كميات كبيرة من الكحول، أو قد تحدث اضطرابات هضمية gastrointestinal disturbances وحتى نزف هضمي علوي bleeding عند بعض المرضى الذين يتناولون جرعة تتجاوز غرامين يومياً (36)، وما زال إثبات أمان أسيتامينوفين الهضمي مطلوباً.

تعد مضادات الالتهاب اللاستيرويدية خياراً مناسباً لعلاج الألم المفصلي الالتهابي المتوسط والشديد، وعلاج التورم والتيبس والسخونة الناتجة عن الالتهاب عند حدوثه، وقد أشارت دراسات إلى أن مضادات الالتهاب اللاستيرويدية أفضل قليلاً من إعطاء أسيتامينوفين (باراسيتامول paracetamol) في علاج الفصال العظمي (37،38)، ولم تثبت أفضلية أي دواء على غيره ضمن هذه المجموعة إبان وصفه للمرضى؛ مع أن بعض المرضى قد يتحسنون على دواء ما ولا يتحسنون على آخر. ويجب الحذر من خطر السمية المعدية المعوية gastrointestinal لمضادات الالتهاب اللاستيرويدية حتى بجرعاتها المنخفضة، وتحدث المضاعفات المعدية المعوية complications لدى 2% إلى 4% من المرضى الذين يتناولون هذه الأدوية سنوياً، ويزداد حدوثها مع تقدم العمر (22،39)، وتنتج هذه الآثار الجانبية عن نقص البروستاغلاندينات prostaglandins في مخاطية المعدة mucosa بسبب تثبيط السيكلوأوكسيجيناز (COX) بالدرجة الأولى، وتساعد مثبطات مضخة البروتون proton pump inhibitors في السيطرة على الأعراض المعدية المعوية المترافقة مع الاستعمال المزمن لمضادات الالتهاب اللاستيرويدية، كذلك يقي البروستاغلاندين E₁ ميزوبروستول Misoprostol من القرحة المعدية gastric ulcer لدى المرضى الذين يتناولون مضادات الالتهاب اللاستيرويدية مدة طويلة، في حين لا تفيد مضادات مستقبلات H₂ عادة، H₂ antagonists (43)، ومن المرجح أن تزيد عوامل عديدة خطر السمية الهضمية الناتجة عن مضادات الالتهاب اللاستيرويدية من أهمها: تجاوز عمر المرضى 65 سنة، أو إصابتهم بقرحة أو بنزف هضمي علوي upper gastrointestinal bleeding سابقين، أو تناولهم قشرايات سكرية glucocorticoids أو مضادات تخثر الدم anticoagulants أو مضادات التهاب اللاستيرويدية أخرى بشكل مرافق (42،41،40،43)، وتتصح الدلائل

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

الإرشادية لرابطة الروماتزم الأمريكية بالبدء بإعطاء مضادات الالتهاب اللاستيرويدية بجرعات مسكنة منخفضة، وتزداد الجرعة حتى الوصول إلى الجرعات العليا المضادة للالتهاب إذا لم تحدث الراحة الكافية بتناول جرعات أخفض(44)، ويمكن لاستعمال أسيتامينوفين مع مضادات الالتهاب اللاستيرويدية أن يسمح بتخفيض جرعة مضادات الالتهاب اللاستيرويدية وتقليل سميتها.

يمكن البدء بمثبطات كوكس-2 COX-2 لدى المرضى الذين يشتكون من ألم متوسط إلى شديد إذا لم تعد مثبطات COX غير الانتقائية nonselective، أو لدى المرضى الذين يشتكون من مرض معدي معوي، وتنشط هذه الأدوية إنزيم enzyme سيكلوأوكسيجيناز-2 بمعدل 200 - 300 ضعفاً على الأقل أكثر من تنشيطها لإنزيم سيكلوأوكسيجيناز-1، وقد ثبت أن فائدة هذه المركبات معادلة لفائدة مضادات الالتهاب اللاستيرويدية الأخرى، لكن مثبطات كوكس-2 أقل خطورة هضمية من مثبطات كوكس غير الانتقائية(45،46)، وينصح بإعطاء سيليكوكسيب celecoxib من هذه المجموعة بجرعة 200 ملغ يومياً لعلاج ألم الفصال العظمي osteoarthritis، وقد سببت زيادة خطر الحوادث القلبية الوعائية cardiovascular accidents المرافقة لتناول مثبطات كوكس-2 سحب بعض أدوية هذه المجموعة من الأسواق، لذلك يجب أن يفهم الطبيب المسنين الذين يخشون تأثيرات الأدوية المعدية المعوية ويختارون تناول سيليكوكسيب خطورة وفوائد الدواء قبل بدء المعالجة.

إن زيادة الخطر القلبي الوعائي المحتمل المترافق مع تناول نابروكسين naproxen ومضادات الالتهاب اللاستيرويدية الأخرى قد صعب الانتقاء من بين خيارات معالجة الفصال العظمي، وقد وُضع تحذير من المخاطر القلبية الوعائية والمخاطر المعدية المعوية في نشرات مضادات الالتهاب اللاستيرويدية كلها بما يشمل مثبطات كوكس-2(44).

يعطى ترامادول Tramadol لتخفيف الأعراض إذا أخفقت مضادات الالتهاب اللاستيرويدية، وقد يسمح إعطاء هذا المسكن الفموي المركزي central-acting بتخفيض جرعة مضادات الالتهاب اللاستيرويدية، وينصح بإعطاء 50 ملغ منه كل 4 - 6 ساعات دون أن تتجاوز الجرعة

اليومية 400 ملغ(22)، ويمكن إعطاء الأفيونيات opiates للمرضى المصابين بالفصال العظمي الذين يشكون من ألم مبرح لا يخف استعمال المسكنات غير الأفيونية، ولا ينصح بتناول هذه الأدوية مدة طويلة من الزمن لأنها تسبب الإمساك، وتزيد خطر السقوط ولاسيما لدى المسنين، إضافة إلى أثرها المسبب للإدمان addiction.

تبين أن تطبيق كابسيسين capsaicin المشتق من نبات الفلفل يخفف ألم الفصال العظمي أكثر من الغفل placebo، وقد أثبتت دراسة ذات شاهد randomized controlled معشاة double-blind فعالية مرهم كابسيسين 0.025% أربع مرات يومياً في علاج ألم الفصال العظمي في الركبتين والكاحلين والرسغ والكتف (47)، ومن الآثار الجانبية الشائعة لهذا الدواء حس الحرق الموضعي، ويجب غسل اليدين بعد تطبيقه لتجنب انتشاره إلى العينين والأغشية المخاطية mucous membranes الأخرى.

حقن القشريات السكرية Glucocorticoids والهيالورونات Hyaluronate داخل

المفصل:

من المحتمل أن يستفيد بعض المرضى الذين يعانون من الفصال العظمي في مفصل الركبة من حقن القشريات السكرية داخل المفصل، ومن هذه المركبات ميثيل بردينزولون methylprednisolone وتريامسينولون triamcinolone، ويخف الألم مدة قصيرة إذا كان المفصل متورماً مؤلماً برشف سائل المفصل aspiration ثم حقن القشريات السكرية glucocorticoid، وقد بينت دراسة مُعشاة ذات شاهد randomized controlled أن ألم الفصال العظمي في الركبة يخف مدة تقع بين أسبوع وشهر بعد حقن القشريات السكرية (48)، ولا ينبغي حقن المفصل أكثر من ثلاث إلى أربع مرات في السنة لتجنب الأذى الغضروفية المحتملة التي قد تنتج عن الحقن المتكرر، ويجب التفكير بالجراحة إذا احتاج المريض إلى أكثر من ثلاث إلى أربع حقن مفصلية سنوياً للسيطرة على أعراضه.

يمنح حمض الهيالورونيك hyaluronic acid المفصل صفات لزجة مزلفة، ويظن أن الوزن

الجزئي molecular weight لحمض الهياالورونيك وتركيزه ينقصان لدى مرضى الفُصال العظمي، لذلك تحقق الهياالورونات hyaluronate لعلاج ألم الفُصال العظمي في الركبة، وتوجد مركبات عديدة من الدواء تختلف فيما بينها بوزنها الجزيئي على وجه الخصوص، وتحقق الركبة أسبوعياً بجرعة 2 مل مدة 3-5 أسابيع متتالية، ويتحمل المريض الحقن جيداً رغم حدوث بعض التفاعلات الجلدية skin reactions والألم أحياناً، وقد أظهرت إحدى الدراسات أن هذا الدواء ليس أفضل من باراسيتامول paracetamol أو غلوكوزامين في المعالجة(49).

الجراحة Surgery

يرشّح للجراحة العظمية المرضى الذين لم يمكن السيطرة على أعراضهم بالمعالجة الدوائية وغير الدوائية، والمرضى الذين يشكون من ألم معتدل إلى شديد أو من عجز وظيفي، وينصح بعض الدارسين بالجراحة التنظيرية arthroscopic في بعض حالات الفصال العظمي الخفيف إلى المعتدل، لكن دراسات مضبوطة controlled نفت أن تكون لهذه المعالجة فائدة سريرية هامة(50)، وقد أصبحت بعض عمليات استبدال المفصل replacement روتينية تقريباً بحسب المفصل المصاب، وثبتت فائدتها في معالجة الفصال العظمي الشديد في مفصل الركبة والورك hip(51)، ويجب توضيح مخاطر وفوائد الجراحة العظمية كلها للمرضى قبل اتخاذ القرار، ولا يستفيد 10% من المرضى حتى بعد تعويض المفصل، وبعد التقلقل الطاهر aseptic loosening سبباً رئيسياً لتصحيح الجراحة revision في مفصل الورك خلال 10 سنوات(52)، ومن العوامل التي تنتبأ بنتيجة جيدة للجراحة عمر المريض بين 50-75 سنة، وانخفاض منسوب كتلة الجسم body mass index، وعدم وجود تحدد وظيفي هام functional impairment، وإمكان تراجع هذا التحدد، وعدم إصابة المريض بأمراض أخرى يمكن أن تسيء إلى النتيجة.

علاج هجمات المرض Treatment of the Exacerbations

تحدث هجمات الفصال العظمي بين الحين والآخر، ومن أهم أسباب هذه الهجمات التهاب الزليل البلوراني crystal-induced synovitis الناتج عن ترسب بلورات البيروفسفات

pyrophosphate crystals غالباً، والنخر العظمي الطاهر aseptic osteonecrosis، والكسور التي قد تحدث خلال سير الفصال العظمي. كذلك قد يحدث التهاب زليلي synovitis بسبب حطام المفصل debris، والرضوح trauma، وأذية إحدى بنيات المفصل ومنها الهالة المفصالية meniscus، والأربطة ligaments، وتحدث هجمة ألم مفصلي بسبب التهاب حول المفصل كالتهاب الأجرية bursitis، وبعد تشخيص ومعالجة هذه المضاعفات complications والمرافقات هاماً جداً حتى نتجنب تفاقم المرض، إضافة إلى تخفيف ألم المريض.

سير المرض Natural History

يترقى الفصال العظمي ببطء خلال سنوات عديدة، ويختلف السير الشعاعي radiographic عن التطور السريري clinical والوظيفي functional إلى درجة كبيرة؛ إذ لا يترافق التدهور الشعاعي radiographic deterioration مع أعراض هامة في كثير من الحالات، وتزيد عوامل الخطورة المذكورة سابقاً من سرعة تدهور حال المفصل، في حين يُتوقع أن يُنقص تجنب عوامل الخطورة ومحاولة عكسها من هذه السرعة، ولا يصل إلا النزر اليسير من المصابين بالفصال العظمي إلى مرحلة الحاجة إلى الجراحة مهما كان التدهور سريعاً.

الخلاصة

الفصال العظمي مرض شائع متروك ببطء يصيب مفاصل الجسم، ويجب توجيه معالجته نحو تخفيف الألم وإنقاذ العجز الوظيفي إلى أقصى حد ممكن، وتقارب approached حالة كل مريض منفردة، ويجب وضع أهداف المريض أولوية قبل انتقاء الخطة العلاجية، وتعد المعالجة غير الدوائية أساس معالجة هذا المرض، ومن المحتمل أن تتوفر أدوية جديدة في المستقبل تقي من تفاقم الأذية الغضروفية، ومن المهم أن يولي الأطباء المرضى العناية والفهم للهواجس العاطفية والجسمية التي قد تكون لدى المرضى.

المراجع

1. Oddis CV. New perspectives on osteoarthritis. Am J Med. 1996;100:S10-S15.
2. Solomon L. Clinical features in osteoarthritis. In: Kelly WN, Harris ED, eds. Textbook of Rheumatology. 6th ed. Philadelphia: Saunders; 2001:1409-1418.
3. Arden N. Osteoarthritis: Epidemiology. Best Practice & Research Clinical Rheumatology 2006. Vol. 20, No. 1, pp. 3-25.
4. Lawrence RC, Hochberg MC, et al. Estimates of the prevalence of selected arthritic and musculoskeletal diseases in the United States. J Rheumatol. 1989;16:427-441.
5. Mizrahi, J, Maroudas, A, Lanir, Y, Ziv, I. The instantaneous deformation of cartilage: effects of collagen fibre orientation and stress. Biorheology 1986; 23:311.
6. van Saase JL, van Romunde LK, et al. Epidemiology of osteoarthritis: Zoetermeer survey. Comparison of radiological osteoarthritis in a Dutch population with that in 10 other populations. Annals of the Rheumatic Diseases 1989; 48(4):271-280.
7. Davis, MA, Gttunger, WH, Newhaus, JM, Hauck, WW. Sex differences in osteoarthritis of the knee: The role of obesity. Am J Epidemiol 1988; 127:1019.
8. Oliveria SA, Felson DT, et al. Body weight, body mass index, and incident symptomatic osteoarthritis of the hand, hip, and knee. Epidemiology 1999; 10:161-166.
9. Hart, DJ, Mootoosamy, I, Doyle, DV, Spector, TD. The relationship between osteoarthritis and osteoporosis in the general population: the Chingford Study. Ann Rheum Dis 1994; 53:158.
10. Zhang, Y, Hannan, MT, Chaisson, CE, et al. Bone mineral density and risk of incident and progressive radiographic knee osteoarthritis in women: the Framingham Study. J Rheumatol 2000; 27:1032.
11. Jones CM, Watt DG. Muscular control of landing from unexplained falls in man. J physiol 1071;219:729-37
12. Slemenda C et al. Quadriceps weakness and osteoarthritis of the knee. Ann Intern Med. 1997;127:97-104
13. Tan AL et al. Combined high-resolution magnetic resonance imaging and histology to explore the role of ligaments and tendons in the phenotypic expression of early hand osteoarthritis. Ann Rheum Dis 206; 65:1267-72
14. Felson, DT, McLaughlin, S, Goggins, J, et al. Bone marrow edema and its relation to progression of knee osteoarthritis. Ann Intern Med 2003; 139:330.
15. Pelletier JP, DiBattista, et al. Cytokines and inflammation in cartilage degradation. Rheum Dis Clin North Am. 1993;19:545-568.
16. Altman R, et al. The American College of Rheumatology criteria for classification and reporting of osteoarthritis of the hip. Arthritis Rheum. 1991;34:505-514.
17. Altman R, Asch E, et al. The American College of Rheumatology criteria for classification and reporting of osteoarthritis of the knee. Arthritis Rheum. 1986; 29:1039-1049.

18. Altman R, Alarcon G, et al. The American College of Rheumatology criteria for the classification and reporting of osteoarthritis of the hand. *Arthritis Rheum.* 1990;33:1601-1610.
19. Jüni P et al. Osteoarthritis: rational approach to treating the individual. *Best Practice & Research Clinical Rheumatology.* Vol 20, No 4, PP 721-40, 2006
20. Lane NE. Exercise: a cause of osteoarthritis. *J Rheumatol.* 1995;22:3-6.
21. van Baar ME, Assendelft WJ, Dekker J et al. Effectiveness of exercise therapy in patients with osteoarthritis of the hip or knee: a systematic review of randomized clinical trials. *Arthritis Rheum* 1999; 42: 1361-1369.
22. De Angelo NA, Gordin V. Treatment of patients with arthritis-related pain. *J Am Osteopath Assoc.* 2004;104:2-5.
23. Felson DT, Anderson JJ, et al. Obesity and knee osteoarthritis. The Framingham Study. *Ann Intern Med.* 1988;109:18-24.
24. Felson DT, Zhang Y, Anthony JM, Naimark A and Anderson JJ. Weight loss reduces the risk for symptomatic knee osteoarthritis in women. The Framingham Study. *Ann Intern Med* 1992; 116(7): 535-9.
25. Ravaud P. Non-drug treatments for osteoarthritis. *Presse Med.* 2002;31:4S10-4S12.
26. McAlindon TE. Nutraceuticals: do they work and when should we use them? *Best Practice & Research Clinical Rheumatology* 2006. Vol. 20, No. 1, pp. 99-115
27. McAlindon TE, LaValley MP, et al. Glucosamine and chondroitin for treatment of osteoarthritis: a systematic quality assessment and meta-analysis. *JAMA.* 2000;283:1469-1475.
28. Bourgeois P, Chales G, et al. Efficacy and tolerability of chondroitin sulfate 1200 mg/day vs chondroitin sulfate 3 x 400 mg/day vs placebo. *Osteoarthritis Cartilage.* 1998 (supple A);6:25-30.
29. Kelly GS. The role of glucosamine sulfate and chondroitin sulfate in the treatment of degenerative joint disease. *Altern Med Rev.* 1998;3:27-39.
30. Clegg DO et al. Glucosamine, Chondroitin Sulfate, and the Two in Combination for Painful Knee Osteoarthritis. *N Engl J Med* 2006. 354;8:795-808.
31. Di Padova C. S-adenosylmethionine in the treatment of osteoarthritis: review of the clinical studies. *Am J Med.* 1987;83:60-65.
32. Bradley JD, Flusser D, et al. A randomized, double blind, placebo controlled trial of intravenous loading with S-adenosylmethionine (SAM) followed by oral SAM therapy in patients with knee osteoarthritis. *J Rheumatol.* 1994;21: 905-911.
33. NajmWI, Reinsch S, Hoehler F et al. S-adenosyl methionine (SAmE) versus celecoxib for the treatment of osteoarthritis symptoms: a double-blind cross-over trial. *BMC Musculoskeletal Disorder* 2004; 5(1): 6 [ISRCTN36233495].
34. Recommendations for the medical management of osteoarthritis of the hip and knee: 2000 update. American College of Rheumatology Subcommittee on Osteoarthritis Guidelines. *Arthritis Rheum.* 2000;43:1905-1915.

35. Zhang W, Jones A & Doherty M. Does paracetamol (acetaminophen) reduce the pain of osteoarthritis?: a meta-analysis of randomized controlled trials. *ann rheum dis* 2004; 63: 901–907.
36. Garcia-Rodriguez LA & Hernandez-Dias S. Relative risk of upper gastrointestinal complications among users of acetaminophen and nonsteroidal anti-inflammatory drugs. *Epidemiology* 2001; 12: 570–576.
37. Eccles M et al. North of England evidence based guideline development project: summary guidelines for non-steroidal anti-inflammatory drugs vs basic analgesia in treating the pain of degenerative arthritis. *BMJ* 1998; 317:526 – 30.
38. Pincus M et al. A randomized double-blind, crossover clinical trial of diclofenac plus misoprostol vs acetaminophen in patients with osteoarthritis of the hip or knee. *Arthritis Rheum* 2001; 44: 1587-98
39. Laine L. Gastrointestinal effects of NSAIDs and coxibs. *Journal of Pain and Symptom Management* 2003; 25(supplement): S32–S40.
40. Lichtenstein DR, Syngal S, Wolfe MM. Nonsteroidal anti-inflammatory drugs and the gastrointestinal tract: a double-edged sword. *Arthritis Rheum.* 1995;38:5-18.
41. Wolfe MM, Lichtenstein DR; Singh G. Gastrointestinal toxicity of nonsteroidal antiinflammatory drugs. *N Engl J Med* 1999 Jun 17;340(24):1888-99.
42. Piper JM; Ray WA et al. Corticosteroid use and peptic ulcer disease: role of nonsteroidal anti-inflammatory drugs. *Ann Intern Med* 1991 May 1;114(9):735-40.
43. Cryer B. Nonsteroidal anti-inflammatory drug gastrointestinal toxicity. *curr. opin. gastroenterol.* 1999, 15(6): 473.
44. Olsen NJ. Tailoring arthritis therapy in the wake of the NSAID crisis. *N Engl J Med.* 2005;352:2578-2580.
45. Jüni P, Rutjes AW & Dieppe PA. Are selective COX 2 inhibitors superior to traditional non steroidal anti-inflammatory drugs? *BMJ* 2002; 324: 1287-1288.
46. Hochberg MC. What have we learned from the large outcomes trials of COX-2 selective inhibitors? The rheumatologist's perspective. *Clinical and Experimental Rheumatology* 2001; 19(supplement 25): S15–S22.
47. Altman RD, Auen A, Holmburg CE. Capsaicin cream 0.025% as monotherapy for osteoarthritis: a double-blind study. *Semin Arthritis Rheum.* 1994;23: 25-33.
48. Arroll B & Goodyear-Smith F. Corticosteroid injections for osteoarthritis of the knee: meta-analysis. *BMJ* 2004; 328: 869.
49. Lo GH, LaValley M, McAlindon T & Felson DT. Intra-articular hyaluronic acid in treatment of knee osteoarthritis: a meta-analysis. *JAMA* 2003; 290: 3115-3121.
50. Moseley JB, O'Malley K, Petersen NJ et al. A controlled trial of arthroscopic surgery for osteoarthritis of the knee. *N Engl J Med* 2002; 347: 81-88.
51. Fortin PR, Penrod JR, Clarke AE et al. Timing of total joint replacement affects clinical

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

outcomes among patients with osteoarthritis of the hip or knee. Arthritis and Rheumatism 2002; 46: 3327-3330.

52. Neumann et al. Total hip arthroplasty with the Charnley prosthesis in patients fifty-five years old and less. Fifteen to twenty-one-year results. The Journal Of Bone And Joint Surgery 1996. 78 (1): 73-79.

بحوث في الترجمة

التحريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

الترجمة العربية في عصر العولمة

أ. شحادة الخوري

عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق

المقدمة:

إن الحديث عن الترجمة حديث شائق وممتع ومفيد. هو شائق لأن المترجم مغامر جريء كمن يسبح في بحر واسع، عميق غوره، بعيد ساحله، يغالب الأمواج ليفوز بلؤلؤة ثمينة يتوق إلى امتلاكها، وهو ممتع لأن الترجمة منبع ثقافة وبسطة علم، وكل نجاح يحرزها المترجم في اصطيد المعاني والكلمات يفعم صدره مسرة، ويملاً خافقه بهجة، وهو مفيد لأن الترجمة جسر عبور للأفكار والمشاعر من جماعة إلى جماعة، ومن بلد إلى آخر، فتقرب ما هو بعيد، وتكشف عما هو مجهول، وتبني علاقات تفاهم بين الأمم والشعوب، وترسي أسساً للتصالح والتعاون والأمن والسلام.

1. قدم الترجمة:

إن الترجمة حاجة أساسية ودائمة ما دام البشر يتكلمون ويكتبون بلغات متعددة. إنها قديمة قدم المجتمعات البشرية، إذ كانت وسيلة التخاطب والاتصال بين كل جماعة تستعمل لساناً ما، والجماعات الأخرى التي تتكلم باللسنة مختلفة. وكم هي أساسية الحاجة إلى التخاطب والاتصال بين الأفراد والمجموعات في أيام السلام وأيام الخصام على السواء، بغية جلب الوثام ودعمه، وإبعاد التنازع وإزالته!

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

لقد دَلَّتِ التَّنْقِيبَاتُ الأَثَرِيَّةُ فِي بِلَادِ مِصْرَ وَالرَّافِدِينَ عَلَى أَنَّ التَّرْجِمَةَ كَانَتْ قَائِمَةً لَدَى حُكَّامِ هَذِهِ الْبِلَادِ لِفَهْمِ الرِّسَالِ الْوَحْدِيَّةِ الَّتِي كَانُوا يَتَبَادَلُونَهَا، وَأَنَّ اللُّغَةَ الْأَكَادِيَّةَ كَانَتْ لُغَةً دَوْلِيَّةً يُتْرَاوَلُّ بِهَا وَيُتَرْجَمُ إِلَيْهَا مِنَ اللُّغَاتِ الْآخَرَى.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُؤَرِّخُونَ عَلَى أَنَّ قِيَاصِرَ الرُّومِ وَأَكَاسِرَ الْفَرَسِ كَانُوا يَتَّخِذُونَ فِي دَوَائِبِهِمْ تَرْجُمَةً، بَلْ يَسْتَعِينُونَ بِهِمْ فِي صُفُوفِ الْجَيْشِ، وَيَذْكُرُ شَاعِرُ الْعَرَبِيَّةِ الْأَكْبَرُ أَبُو الطَّيِّبِ الْمَتَنِّي ذَلِكَ فِي قَصِيدَتِهِ الرَّائِعَةِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ أَمِيرَ حَلَبَ لِانْتِصَارِهِ فِي مَعْرَكَةِ الْحَدَثِ الشَّهِيرَةِ عَلَى بَيْزَنْطَةَ، فَيَقُولُ فِي جَيْشِ الرُّومِ الَّذِي يَضُمُّ جُنُودًا يَتَكَلَّمُونَ لُغَاتٍ مُخْتَلَفَةً:

خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ رَحْفُهُ وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ
تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَانٍ وَأُمَةٍ فَمَا يُفْهَمُ الْحَدَاثُ إِلَّا التَّرَاجِمُ

وَيَقُولُ فِي قَصِيدَةٍ وَصَفَ بِهَا شُعْبَ بَوَانَ فِي بِلَادِ فَارَسَ أَيَّامَ عِضْدِ الدَّوْلَةِ:

مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سَلِيمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانٍ

2. معنى الترجمة:

جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ: "يَتَرْجَمُ الْكَلَامُ أَيْ يَنْقَلُ مِنْ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى، وَالشَّخْصُ يُسَمَّى التَّرْجُمَانُ، وَهُوَ الَّذِي يَفْسِرُ الْكَلَامَ".

وَجَاءَ فِي الْقَامُوسِ الْمَحِيطِ لِلْفَيْرُوزِ أَبَادِي: "التَّرْجُمَانُ هُوَ الْمَفْسَرُ، وَتَرْجُمُهُ وَتَرْجَمَ عَنْهُ وَالْفِعْلُ يَدُلُّ عَلَى أَصَالَةِ النَّاءِ".

وَجَاءَ فِي "الْمَعْجَمِ الْوَسِيطِ" الَّذِي وَضَعَهُ مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ: "تَرْجَمَ الْكَلَامَ بَيْنَهُ وَوَضَحَهُ، وَتَرْجَمَ كَلَامَ غَيْرِهِ عَنْهُ: نَقَلَهُ مِنْ لُغَةٍ إِلَى أُخْرَى، وَتَرْجَمَ لِفُلَانٍ: ذَكَرَ تَرْجُمَتَهُ، وَالتَّرْجُمَانُ أَوْ التَّرْجُمَانُ هُوَ الْمُتَرْجِمُ وَجَمْعُهُ تَرَاجِمٌ وَتَرَاجِمَةٌ، وَتَرْجُمَةُ فُلَانٍ: سِيرَةُ حَيَاتِهِ وَجَمْعُهَا تَرَاجِمُ".

قال الشاعر لبيد بن ربيعة:

إن الثمانين، وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

إن كلمة ترجمة وما يتصل بها من ألفاظ، كلمات عربية مشتقة من فعل ترجم الرباعي المجرد، وليست من أصل أعجمي أو محولة عن معنى آخر.

وإذا كانت الترجمة تعني نقل الكلام من لغة إلى أخرى، وتفسيره وتوضيحه، كما ورد في المعجمات، فمن الممكن أن نقدم تعريفاً أوسع لها بقولنا: إنها نقل التعبير الإنساني سواءً أكان مكتوباً أو منطوقاً به من لغة إلى أخرى، دون المساس بالبنية الرئيسية للفكرة، ودون إضافة أي تعليق آخر، والاكتفاء بجعلها مفهومة في اللغة الهدف المنقول إليها، كما نفهم في لغتها الأصل أو المصدر.

هذا وللترجمة أنواع عديدة: الترجمة الكتابية، وتشمل جميع الموضوعات الأدبية والعلمية: الشعرية والروائية، والطبية والهندسية، والفنية والإعلامية... إلخ والترجمة الشفوية وتكون بطريق السماع والإلقاء، ومنها التنبؤية والفورية.. إلخ وعنايتنا في هذه الدراسة إنما تنصرف إلى ترجمة العلوم والآداب والفنون.

3. في النهضة العربية الأولى:

ونود أن نشير إلى حقيقة ساطعة، وهي أن العرب كانوا السباقين إلى القيام بترجمة علمية واسعة في القرنين الثامن والتاسع للميلاد، فكانت المنطلق في نهضتهم الأولى.

إن التاريخ لم يذكر ما يشبه عملهم، ولم يفدنا إلا عن ترجمتين هامتين جرتا في القرن الثالث قبل الميلاد، أولاهما ترجمة اندونيكوس للأوديسة، لهوميروس الشاعر الإغريقي، من اليونانية إلى اللاتينية في منتصف القرن الثالث الميلادي، وثانيتهما: الترجمة السبعينية للعهد القديم، التي قام بها عدد من العلماء اليهود بطلب من بطليموس فيلادلفوس عام 285 ق.م في الإسكندرية بمصر. وسُميت كذلك إذ بلغ عدد المترجمين اثنين وسبعين رجلاً، وهي التي ترجمت إلى

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

اللاتينية بعد ذلك أواخر القرن الثاني للميلاد.

أما الفرس فقد عرف عنهم أن الطبيب بَرَزَوِيَه قد نقل كتاب "كليلة ودمنة" الذي كتبه الفيلسوف الهندي بيدبا لدبشليم الملك من اللغة السنسكريتية إلى اللغة الفهلوية، ثم نقله عبد الله ابن المقفع من الفهلوية إلى العربية في مطلع العصر العباسي وزاد عليه ستة أبواب.

لقد تنبه العرب المسلمون بعد الفتوح وبناء الدولة، إلى دور الترجمة وأهميتها، رغبة في الاطلاع على معارف من سبقهم من الأمم والإفادة منها، فقاموا بحركة ترجمة واسعة تميّزت بأمرين:

أ. **اتساعها:** ترجم العرب عن الهندية والفارسية والسريانية والنبطية، ولكن المصدر الأساسي لترجمتهم كانت اليونانية. يذكر ابن النديم في كتابه "الفهرست" نحواً من أربعمئة كتاب نقلها العرب من اللغة اليونانية وحدها، منها (114) كتاباً في الفلسفة (123) كتاباً في الرياضيات و(149) كتاباً في الطب...الخ وكان من أشهر من ترجمت كتبهم: أرسطو (المعلم الأول) وأفلاطون، وبطليموس، وأبوقراط، وجالينوس...الخ

ومما كان الفكر اليوناني قد وصل إليه، انطلق العلماء العرب بحثاً وتجريباً وتأليفاً وكشفاً وإبداعاً، مدة من الزمن بلغت ستة قرون (750-1350م) كانوا فيه رواد العلم والمعرفة. وأما الأدب اليوناني فلم ينقلوه لمخالطته الأساطير، واعتزازهم بأدبهم، شعره ونثره.

ب. **تنظيمها:** بدأت في عصر بني أمية بفضل خالد بن يزيد بن معاوية، ثم نشطت في عهد الدولة العباسية، وصارت منشطاً حكومياً ترعاه الدولة وتتفق عليه بسخاء: أنشأ المنصور ديوان الترجمة، فوسعه الرشيد، ثم أقام المأمون "بيت الحكمة" الذي كان بمثابة مجمع علمي ومرصد فلكي ودار ترجمة ومكتبة عامة.

4. في النهضة العربية الحديثة (المرحلة الأولى 1805 - 1954):

إن حركة الترجمة ملازمة لحركة المجتمع الشاملة: الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

والسياسية، تنشط مع نشاط المجتمع وتخدم مع خموده.

وقد تتالت على العرب حروب وغزوات من الغرب ومن الشرق بعد القرن الرابع الهجري، صرفتهم عن النشاط الفكري بل أضعفت قواهم وشنتت جهودهم، فخبأ الألق بضعة قرون وانتقلت المعرفة إلى الغرب بعدما قبس من علوم العرب وثقافتهم وبنى عليها.

وفي مطلع القرن التاسع عشر عادت حركة الترجمة إلى الظهور مع بداية النهضة العربية الحديثة، ولكن خط سيرها لم يكن شاملاً بل مجزئاً ولم يكن متصلاً بل متقطعاً، إذ فرض الاستعمار الغربي سلطانه على أكثر البلدان العربية، وحال دون تقدمها العلمي والثقافي والاجتماعي.

ومن مظاهر هذه المرحلة التي امتدت نحو قرن ونصف القرن، من حملة نابليون إلى الحرب العالمية الثانية السمات الآتية:

1. ارتبطت حركة الترجمة بهدف التقدم العلمي الذي يوفر القوة والمَنعة للوطن العربي، وبالرغبة في استعادة العصر الذهبي، عصر الريادة العلمية والحضارية العربية، وللحاق بالغرب الذي أوجد الصناعات الحديثة.
2. استهدفت حركة الترجمة نقل العلوم الأساسية والتطبيقية والاجتماعية من الغرب، وبالأخص فرنسة وتمثلها وجعلها نقطة ارتكاز وانطلاق، واعتماد اللغة العربية لغةً يُترجم إليها ويؤلف ويدرس ويعلم بها، مع ما يتطلب ذلك من وضع المصطلحات الحضارية والعلمية.
3. ظهر في هذه الحقبة رجال أعلام خدموا العلم والتعليم في مجال الترجمة (رافع الطهطاوي) كما ظهرت مؤسسات حكومية للترجمة (دار الألسن) وصمدت اللغة العربية في وجه من أرادوا بها سوءاً، وكان لها حُماتها ومعانقها (الأزهر، الزيتونة، القرويين... الخ).
4. كان حاملها الاجتماعي ضعيفاً لانتشار الجهل بين أبناء الشعب، فقويت الترجمة عندما دعمها الحكم وتراخت عندما تخلى عنها الحكام (نفي الطهطاوي مدة من الزمن من مصر وأغلقت دار الألسن).

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

5. لم يكن تعثر النهضة، والترجمة إحدى تجلياتها، مصادفةً، بل عمد الغرب وبالأخص بريطانيا وفرنسا إلى عرقلتها، وإعداد المكائد لها، حتى سنحت الفرصة لهاتين الدولتين أن تحتلا بلاد المغرب العربي وأكثر بلدان المشرق العربي، وتقمعاً بالقوة كل جهد لغوي أو ثقافي أو علمي يبذله الأهليون الذين أيقنوا وبحق أن لا تقدم بلا حرية، ولا نهضة في ظل الاستعمار، فتحولوا إلى الكفاح الوطني والقومي وقدموه على كل أمر آخر (فرض تعليم العلوم بالإنكليزية بمصر عام 1887 بعد أن دُرس بالعربية ابتداءً من عام 1826، وفي الكلية الإنجيلية السورية ببيروت عام 1884 بعدما درس فيها بالعربية ابتداءً من 1886، واستمر التدريس في معهدي الطب والحقوق بدمشق المحدثين عام 1919 لانشغال الانتداب الفرنسي بقمع الثورات والانتفاضات المتتالية عليه في سورية...).

6. لم تكن حركة الترجمة متماثلة في جميع الأقطار العربية، إذ كان في مصر والشام سعي لتعريب التدريس العلمي والاستعانة بالترجمة لإغناء التعليم وتحديثه، وكانت أقطار أخرى منصرفة إلى رد غائلة التعريب والحفاظ على الهوية الوطنية واللغة العربية. وفي الحالين، كان ثمة نجاحات في التعريب ومقاومة التعريب، وكان ثمة إخفاقات، إذ لم يكن مشروع النهضة، والترجمة من أدواته، مشروعاً يحظى بالدعم السياسي الفاعل إلا في أوقات متقطعة وأقطار قليلة، في حين حالت دون تحقيقه عوامل خارجية وداخلية عديدة.

وفي هذا السياق ظهر علماء أعلام وأدباء ومبدعون ومفكرون كبار في هذه الحقبة من الزمن، وألفت وترجمت كتب عديدة ووضعت مصطلحات وصنفت معجمات يضيق المجال عن تعدادها.

5. في النهضة العربية الحديثة (المرحلة الثانية 1945- اليوم):

كانت الحرب العالمية الثانية نقطة تحول في تاريخ العالم الحديث، تحول سياسي وعسكري بانتصار دول الحلفاء على دول المحور، فحدثت تحولات متنوعة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على صعيد العالم بأسره.

ونستطيع أن نشير إلى ظاهرتين مهمتين إيجابيتين في المنطقة العربية الممتدة من المغرب

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

إلى اليمن هما نشوء جامعة الدول العربية علم 1945، وانحسار الاستعمار البريطاني والاستعمار الفرنسي والاستعمار الإيطالي عن المنطقة، ونيل الأقطار العربية استقلالها وحريتها تبعاً، وظاهرة مهمة سلبية هي قيام الدولة الصهيونية بقرار دولي جائر في فلسطين العربية وتوجه الولايات المتحدة الأمريكية للحلول محل الاستعمار القديم، متخذة من إسرائيل قاعدة ومرتكزاً، وذلك تحقيقاً لمطامعها الاقتصادية.

إن هذه الخريطة السياسية الجديدة رُتبت على العرب أن يستكملوا استقلال أقطارهم وحريتها من جهة، ويستأنفوا سعيهم لتحقيق نهوض اقتصادي واجتماعي وثقافي شامل، وأما الجامعة العربية فلم تحقق مطامعهم بتحقيق الوحدة أو الاتحاد، ولكنها غدت بيتاً يجمعهم وقد يعين على لَمّ الشمل وتوحيد الصف وتوفير بعض التضامن والتعاون.

آ. الترجمة على صعيد جامعة الدول العربية:

إن الترجمة بوصفها أداة من أدوات التقدم الاجتماعي والثقافي لم تغب عن بال مؤسسي الجامعة، فقد تضمنت المعاهدة الثقافية، وهي أول معاهدة أبرمت بين الدول الأعضاء في الجامعة عام 1945 ما يلي: "...أن تعمل الدول العربية على تنشيط الجهود التي تبذل لترجمة عيون الكتب الأجنبية، القديمة والحديثة، وتنظيم تلك الجهود..." وجاء في ميثاق الوحدة الثقافية الذي وضع عام 1964 ما يلي: "...توافق الدول العربية على أن تسعى إلى توحيد المصطلحات العلمية والحضارية، وعلى أن تساعد حركة التعريب بما يحقق إغناء اللغة العربية مع المحافظة على مقوماتها..."

ونوجز فيما يلي أهم ما قامت به جامعة الدول العربية ومنظماتها وأجهزتها في السنوات الستين الأخيرة:

1. ترجمت الإدارة الثقافية فيها بين عامي 1945-1970 بعض الأعمال العلمية والأدبية المهمة بمثابة نماذج يقتدى بها، ومنها: مسرحيات شكسبير وراسين وقصة الحضارة لول ديورانت، وتاريخ العلم لسارتون والرياضيات لرسل وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

2. أصدرت عشرة معاجم تعين على الترجمة، منها المعجم العسكري ومعجم الألفاظ الزراعية.
3. ألحقت 1972 مكتب تنسيق التعريب بالرباط المنشأ علم 1961 بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وقد عني هذا المكتب بإعداد وإصدار المعاجم الموحدة التي يضعها خبراء وتعرض على الجهات المختصة في الدول العربية، وتراجع في مؤتمرات التعريب الدورية. وقد بلغ عددها حتى الآن (35) خمسة وثلاثين معجماً، ويصدر المكتب مجلة مهمة هي "اللسان العربي".
4. أحدثت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق" عام 1990 ومن مهامه توفير المراجع العلمية التي تساعد على تعريب تدريس المواد العلمية في الجامعات والمعاهد العربية. وقد أصدر حتى الآن (80) كتاباً في العلوم المختلفة أكثرها مترجم و(23) كتاباً تريبياً، ويصدر مجلة محكمة تدعى "التعريب" ويقوم ندوات في البلدان العربية بقصد التبصير وتنشيط التعريب.
5. قامت وحدة الترجمة بإدارة الثقافة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خلال الأعوام (1981-1989) بوضع خطة قومية للترجمة طبعت عام 1985 وتضمنت عرض واقع الترجمة في الوطن العربي، ثم بينت ملامح العمل المستقبلي: منطلقاته وأهدافه وأسس ووسائله ومراحله وطرائق تنفيذه. وبعد عشر سنوات قامت المنظمة العربية بتحديث هذه الخطة مستعينة بلجنة من الخبراء العرب، ثم أصدرتها في كتاب بعد أن أقرها مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي في دورته العاشرة عام 1996 وقد شكلت المنظمة أخيراً لجنة جديدة لتحديثها مرة ثانية.
- كذلك قامت وحدة الترجمة بوضع مشروع النظام الأساسي والنظام الداخلي للمعهد العربي العالي للترجمة، الذي رغبت جامعة الدول العربية - الأمانة العامة - في إنشائه واختيرت الجزائر مقراً له، ولكنه لم يقم لأسباب تتعلق بالتمويل.
- ثم يمضي الزمن وتعود الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ثانية إلى إحداث هذا المعهد في

الجزائر بالذات وبدأ عمله عام 2003.

كذلك وضعت الوحدة دليل المترجمين ومؤسسات الترجمة في الوطن العربي الذي صدر عام 1987 متضمناً معلومات وافية عن نحو ألف من المترجمين.

وأعدت كتاباً من واقع الترجمة بعنوان "دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي" ضم سبع عشرة دراسة مع دراسة تحليلية لها. وقد صدر الجزء الأول منه عام 1985 والثاني 1987.

ب. الترجمة على صعيد الدول العربية:

ومنذ خمسينيات القرن الماضي نشطت الترجمة في البلدان العربية بدافع الحاجة الملحة إليها، بسبب ازدياد التواصل بينها وبين البلدان الأخرى، والرغبة العارمة في الاطلاع على العلوم والتقنيات والتقانات الحديثة، وعلى روائع الإنتاج الفكري والأدبي في العالم، ونمو العلاقات السياسية والتجارية بين الدول، واتساع السياحة الثقافية والأثرية والترفيهية، والحرص على نقل الدراسات والمقالات في جميع حقول المعارف ونشرها في الصحف والمجلات، ليطلع عليها القراء العرب بلغتهم، لأن ذلك أدعى إلى الفهم والاستيعاب. وثمة صنف من الترجمة يستهدف نقل أمهات الكتب وأفضل المراجع المكتوبة بلغات البلدان المتقدمة، لتكون هذه المؤلفات داعمة لحركة التعريب في البلدان التي تستعمل اللغة العربية في التدريس العلمي أو التي شرعت في استعمالها.

ومن أجل ذلك أحدثت في البلدان العربية، إلى جانب دور التأليف والترجمة والنشر الخاصة والأهلية التي عُيّنت وتُعنى بترجمة الكتب الأدبية والعلمية التي تتوقع لها رواجاً في السوق، مؤسسات أو إدارات رسمية حكومية تهتم بالترجمة، ولاسيما في نطاق وزارات الثقافة والإعلام والتربية والتعليم العالي والجامعات والمجالس الأدبية والعلمية واتحادات الكتاب. إن هذه المؤسسات والإدارات منها ما ينجح للتخصص في نوع معين من الترجمة، ومنها ما يمارس الترجمة لأنواع محددة من المؤلفات: قصص للأطفال، روايات، كتب مبسطة في العلوم للمراهقين والشبان..الخ.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

وتبعاً لذلك فقد ازداد عدد المترجمين وتعددت اللغات التي ينقلون منها، وتنوعت المترجمات وموضوعاتها، ونشط النشر والتوزيع، وتزايد عدد القراء وكذلك صارت الترجمة علماً وأضحى لها مدارسها ومعاهدها وتخصصاتها.

إن هذا التطور الذي حصل خلال نصف قرن أو أكثر يعد تطوراً كبيراً إذا قيس بما كانت عليه حال الترجمة من قبل، ولكنه ليس مَرَضِيّاً البتة إذا قيس بما يحتاج إليه الوطن العربي بدوله الاثنين والعشرين وعدد سكانه البالغ (300) مليون نسمة، وليس مَرَضِيّاً البتة إذا قيس بما تحقق من تطور في بلدان أقل من الوطن العربي سكاناً، وأقل منه حاجة إلى اكتساب المعارف الحديثة، وأقل منه قدرة بشرية ومالية.

وإنه ليحسن بنا أن نلقي نظرة تقويمية على الترجمة والترجمات في الوقت الراهن نتناول الكم والكيف.

6. التقويم الكمي:

تدل الإحصاءات التي نشرها الدليل الذي تصدره المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) Index translationum في 2007/4/9، على ما يلي:

1. إن عدد الكتب التي ترجمت من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، بكل أنواعها منذ عام 1979 إلى 2002 بلغ (8829) كتاباً أي بمعدل (384) كتاباً سنوياً.

وإن عدد الكتب التي ترجمت إلى اللغة العربية قد بلغ عددها في الأقطار التالية ما يلي: مصر (3490)، سورية (1373)، السعودية (292)، والأردن (279)، والكويت (214) والجزائر (189) وتونس (168)...

2. يأتي ما ترجم من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، في الترتيب، في المرتبة السادسة عشرة بعد الإنكليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية والروسية، بل بعد البولونية والنشيكية والهنغارية والدانمركية وغيرها، وقريباً من الكرواتية والبرتغالية والعبرية، مع الفارق بين عدد السكان في الوطن العربي وبين عدد السكان الناطقين بتلك اللغات ولا سيما إسرائيل، الدولة المصنوعة

صنعاً. فأَيّ تقصير هذا!

3. يذكر بعض الباحثين أن العدد التراكمي لما ترجم بداية من عصر المأمون حتى الآن هو في حدود عشرة آلاف كتاب، بيد أن هذا العدد يقل عما تترجمه إسبانيا اليوم في أربع سنوات!

ويذكر في حساب نصيب السكان من الكتب المترجمة أنه يصيب كل مليون عربي (1,25) كتاب في حين يصيب كل مليون من سكان إسرائيل (150) كتاباً، وكل مليون من سكان إسبانيا (112) كتاباً!

وبعد فإن الوطن العربي يتحدث عن الترجمة والمثاقفة والتطور المعرفي والتقني والتطور الفكري والانفتاح على الآخر كثيراً، ولكنه لا يفعل إلا القليل، وستظل نسبة ما يترجم إلى عدد السكان، ونسبته إلى حاجاتهم الأساسية وإلى ما يترجم في البلدان الأخرى قليلة، إن لم توضع خطط تربوية وثقافية ولغوية محكمة، وتنفذ تنفيذاً تاماً في كل الأقطار العربية، وترصد الأموال الكافية لها كيما تحقق أهدافها المنشودة.

إن الوطن العربي، في جميع جامعاته وكلياته ومعاهده يستعمل اللغات الأجنبية في تدريس العلوم، وتتبعها الكتب المنهجية والمرجعية والبحوث وأطروحات التخرج، ما عدا الكليات والمعاهد العلمية الحكومية في سورية وبعض الكليات والمعاهد في بعض أقطار أخرى، ومن ثم لا يحتاج طلاب العلوم ومدرسوها والباحثون إلى كتب مترجمة إلى العربية، هذا في وقت تدرس فيه العلوم باللغات القومية في اليونان والسويد وهنغاريا وفيتنام واليابان وإسرائيل الدولة المركبة من هويات ولغات متعددة.

ألا يسهم هذا في إضعاف الثقافة الوطنية ويزعزع ثقة العرب بلغتهم، ويمس الهوية والذات القومية، ويبطئ حركة النقل والترجمة ويعوق المشاركة في حركة هذا العصر الحافل بالإبداع والاختراع وابتكار الجديد وارتداد المجهول!

7. التقويم النوعي:

ليس الكم والعدد هو معيار التقدم في الترجمة، بل المعيار أيضاً هو مقدار استجابتها لحاجات المجتمع وفئاته وشرائحه المختلفة وخططه المستقبلية، كما هو جودة الترجمة من حيث الأمانة في النقل والدقة في الأداء، والسلامة من الخطأ أياً كان نوعه.

فما حال ما يترجم إلى العربية في ضوء هذه المواصفات؟

أ. اختيار الكتاب للترجمة:

إن الترجمة استثمار رابح، ويكون رابحاً عندما يؤثر الكتاب المترجم في القارئ تأثيراً إيجابياً: يكسبه معرفة جديدة، يقدم له معلومات يجهلها، يوسع أفق معرفته، يغني تفكيره، يوسع خياله، يشحن إرادته... الخ.

وبكلمة، يكون رابحاً إذا استطاعت المترجمات أن تقدم للقارئ العربي أفضل ما لدى الآخر وتقدم له خير ما يحتاج إليه، أياً كان هذا القارئ، طفلاً أو شاباً، كهلاً أو شيخاً، رجلاً أو امرأة، وأياً كانت مهنته أو هوايته.

ولذا نجد أن حجر الأساس في الترجمة هو اختيار الكتاب المراد ترجمته وفقاً لسلم أولويات، ومن أمثلة ذلك ما ترجمه الطهطاوي ومدرسته في الترجمة: القانون المدني الفرنسي، وروح الشرائع لمونتسكيو ومؤلفات مهمة في الجغرافيا والتاريخ والهندسة والمعادن... وما ترجمته مديرية الترجمة بوزارة التعليم العالي السورية في السبعينيات: الرياضيات لسميزنوف، وفينمان في الفيزياء، وهاريسون في الطب... وما ترجمه المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق وبيت الحكمة في تونس، والمنظمة العربية للترجمة ببغروت، وما ترجم في السودان من كتب علمية وفنية وثقافية وروائع أدبية...

لم يكن هذا المعيار مجهولاً، ولكننا اليوم أكثر من أي وقت مضى بحاجة إلى التدقيق فيما نترجم، وأن نصل بين الترجمة وبين الحاجات الحالية والتطلعات المستقبلية.

ب. اختيار المترجم:

لقد قيل الكثير عن الشروط التي ينبغي توفرها في المترجم ليكون الرسول الأمين بين الثقافات واللغات المتنوعة.

أ. أن يكون متقناً اللغة الأجنبية التي يترجم منها - لغة المصدر - إن هذا الشرط ليس سهلاً كما يبدو لأول وهلة، فالكتاب المترجم ليس مجموعة كلمات وجمل، بل هو نتاج ثقافة تسكن تلك اللغة، فلا بد للمترجم من أن يكون مطلعاً على ثقافة أهل اللغة التي ينقل منها، والثقافة تشمل جملة القيم والعادات والتقاليد وطُرُز العيش للإنسان، كما تشمل معتقداته الروحية والفكرية وموروثه الأدبي والشعبي... الخ.

ب. أن يكون مختصاً أو ذا اطلاع واسع على موضوع الكتاب الذي يترجمه، فالشعر لا يترجمه إلا شاعر أو هاوٍ للشعر، والطب لا يترجمه إلا طبيب أو من يملك ما يقارب معرفة الطبيب.

ج. أن يملك رغبة في الترجمة ويشعر باعتزاز بممارستها والانصراف إليها، فلا يؤديها وجلاً أو مكراً أو طامعاً في مال... فإن فعل ذلك، في ظرف من الظروف لم يبلغ الغاية المرجاة. وأما إذا ترجم مختاراً رغباً مزوداً بمعرفة الموضوع ومتقناً للغتين، فإنه يستطيع أن يذلل ما يعترضه من عسر، ويتفاد له المعاني والعبارات فيداني التأليف ويقارب الإبداع.

د. أن يكون متقناً اللغة العربية التي يترجم إليها - لغة الهدف - إتقاناً لا خلل فيه: بصرفها ونحوها وإملائها، وملماً ببيانها وبلاغتها، وأن يكون مطلعاً على المصطلحات الواردة في الكتاب المترجم ومقابلاتها العربية التي أقرتها مجامع اللغة العربية في الوطن العربي أو مكتب تنسيق التعريب بالرباط، أو تضمنتها المعاجم المتخصصة الموثوق بها أو اعتمدت في التعليم العالي المعرب أو استعملها العلماء والأدباء والكتاب الثقات.

إن الترجمة ينبغي أن تكون إحدى الطرائق في تنمية اللغة العربية الفصيحة وتقويتها وإشاعتها بين القراء، لا أن تكون سبباً في إضعافها وإفقارها.

إن الترجمة معرفة وممارسة، ولا يصح أن تترجم مؤلفات علمية أو روائع أدبية هي خير ما

في ثقافات الأمم المتقدمة في مضمار الحضارة بدافع التعلم أو التدريب أو التكسب.
إن عدم ترجمة كتاب ما، خير من ترجمته ترجمة رديئة تشوه معانيه وتُهزل عباراته وتسيء إلى المؤلف والقارئ بإساعتها إلى قواعد اللغة العربية ونظمها وبنائها.

نظرة إلى المستقبل:

إذا كنا نحن العرب، شأنا شأن الأمم الأخرى، بحاجة دائمة إلى ترجمة علوم الآخرين وآدابهم لنتعرف بالآخر، ونتواصل معه فإننا اليوم أشد حاجة من أي وقت مضى، لأن العالم لم يعد مجموعات منغلقة أو شبه منغلقة على نفسها، بل تحول إلى "قرية إلكترونية" يتراعى فيها الناس ويتسامعون، وتحتاج كل مجموعة بشرية إلى غيرها من المجموعات لتوفير مستلزماتها المادية والمعنوية، وسلوك طريق التقدم المتسارع الذي نشهده في العقود الأخيرة.

إن الجهود والأموال التي تبذل للترجمة والتي ينبغي أن تزداد أضعافاً مضاعفة، لا تذهب سدىً، لعلاقة الترجمة بالتطور العلمي والتقني، وبناء الإنسان وتزويده بالمعرفة والدربة والمهارة، والرقى الحضاري المرتجى تحقيقه، كيلا نكون في غربة عما يستجد في العالم، مشدودين إلى الماضي أكثر من المستقبل.

إننا في مجال الكيف نحتاج إلى حسن اختيار الكتب التي نترجمها، وأن يجري ذلك وفق خطط قطرية وقومية، وتنسيق محكم في العمل درءاً للتكرار والهدر، وأن نختار لكل كتاب نريد ترجمته المترجم القادر الأمين، والعارف المؤهل الذي يحسن الأداء اللغوي السليم، واستعمال المصطلح الملائم، مع عدم إهمال المراجعة العلمية والتدقيق اللغوي عندما نرى ضرورة لذلك.

أما في مجال الكم، فالتقصير فاضح، إذ تبلغ نسبة الكتب المترجمة التي تطبع في البلدان العربية إلى مجموع ما يطبع: 7.4 % في مصر و6.7 في العراق، و3.2 في لبنان، على حين تبلغ هذه النسبة 48% في إسرائيل الدولة المصنوعة بقرار فرض على الأمم المتحدة.

ألا يحفزنا هذا الوضع المتهاوي الضعيف إلى الانتقال إلى موقع سليم وقوي تكون فيه فائدتنا

وتقدمنا، في وقت نملك فيه كل القدرات البشرية والمادية اللازمة.

الخاتمة:

إن الأهداف المتوخاة من الترجمة واضحة وجلية، فقد نصت عليها الخطة الشاملة للثقافة العربية التي أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1990 بعد أن أقرها مؤتمر وزراء الثقافة العرب، على أن الترجمة عمل أساسي من أعمال التنمية الثقافية وإغنائها، ولقاح لا بد منه لتوالد الأفكار وتوسيع آفاق العلم والفكر والفن.

ونشير إلى أهم هذه الأهداف:

1. تأكيد وحدة اللغة العربية وقدراتها على التعبير عن حاجات العصر.
2. إغناء اللغة العربية وتطويرها والحفاظ على بقائها.
3. تعرّف الفكر الإنساني الحديث والانفتاح عليه، ونقله إلى الأجيال الناشئة لمواكبته باستمرار.
4. القضاء على التبعية وتأكيد الحرية والاستقلالية في الفكر.
5. تعريب التعليم بكل مراحله.....

إن هذه الأهداف المهمة تدخل في سياق المشروع النهضوي العربي، حلم الأجيال العربية منذ عشرة قرون، المشروع الذي يقوم على قاعدتين اثنتين:

- أ. الوحدة القومية، أو الاتحاد أو التضامن الصحيح على الأقل، لتكون وحدة الأمة الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والثقافية ماثلة في صورة سياسية مقبولة.
- ب. النهضة العلمية والتقنية، التي تعني تجاوز التخلف الذي تراكم ألف عام، لندرك نهضة الآخرين التي ولدت وترعرعت في حضن نهضتنا العربية الأولى في القرون الوسطى، مع المحافظة على لغتنا وتراثنا وهويتنا الحضارية.

ونتساءل، ما عُدّتنا للسير بالترجمة قدماً في هذه المرحلة من البناء القومي والصراع المضاد لقوى الطغيان والعولمة الطامعة ببلادنا وثرواتنا؟

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

1. **التخطيط:** ثمة خطة قومية للترجمة صدرت محدثة عام 1996 وستحدث مجدداً في هذا العام، ويحسن أن يُسترد بها في نطاق الترجمة على كل المستويات.
2. **التشريع:** أصدرت بعض الدول العربية تشريعات للترجمة والتأليف والنشر وحماية الملكية الفكرية، ومن الضرورة بمكان مراجعة هذه القوانين وتحديثها كيما تكون حافزة إلى الإنتاج والعطاء.
- إن التوسع في تعريب التعليم العلمي في الجامعات والمعاهد العلمية . والترجمة أحد مقوماته . لا يمكن أن يتحقق إلا إذا دعمته تشريعات قطرية لتنفيذه، ولا يصح في اعتقادي، أن تحمي الدولة أرضها وحريتها وتترك لغتها وتراثها رهن الظروف والأهواء.
3. **التنظيم:** إن تنظيم المترجمين في جمعيات وروابط واتحادات تستهدف جمع شملهم والدفاع عن حقوقهم والارتقاء بمهنة الترجمة وإبراز أثرها الثقافي والتنموي أمر عظيم الأهمية، إن "اتحاد المترجمين العرب" الذي أسس في بيروت عام 2002 قد حصل على ترخيص قانوني من الدولة اللبنانية بموجب مرسوم جمهوري صدر في أيلول/سبتمبر 2006، ويستعد لمباشرة أعماله. ولا بد من أن تؤسس في كل قطر عربي هيئة أو أكثر تضم المترجمين فيه على اختلاف تخصصاتهم لتكوين قاعدة صلبة للاتحاد.
4. **التنفيذ:** ثمة مؤسسات ومراكز للترجمة في جميع البلدان العربية: قومية أو حكومية أو أهلية أو فردية. وإذا كانت الأجهزة الحكومية منها بحاجة إلى دعم كامل وتمويل كافٍ، فإن الأجهزة الأخرى الأهلية والفردية تستأهل كذلك التشجيع والتأييد. ولا بد من توفر تعاون بينها وتنسيق يحول دون الازدواجية وتكرار العمل.
- ... لقد كانت الترجمة، زمن المنصور والرشيد، والمأمون خاصة، مشروعاً للدولة حظي بمساعدتها ودعمها، ومشروعاً للمجتمع العربي الإسلامي، ولأسيما النخبة منه، تمتع بمساندته وعنايته... ومن أجل ذلك أزهى وأثمر، وأعطى العرب القدرة على الكشف والإبداع فكانوا للعلم والثقافة رواداً وللحضارة والمدنية بناءً طيلة ستة قرون أو أكثر.

التعريب..... العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

فهل لنا أن نأمل في هذه الحقبة من الزمن، ونحن في غمرة الكفاح، للذود عن كياننا ووجودنا وهويتنا، المضاد للقوى الطامعة والمتغترسة في الغرب، أن نجد الدولة العربية الموحدة القادرة التي ننتظر؟ وإذا كان ذلك عسيراً في الوقت الحاضر فهل ينهض المجتمع العربي بنفسه وبأسره، جماعات وأفراداً، ومؤسسات رسمية ومنظمات مدنية وشعبية واتحادات علمية وأدبية ونوادٍ ثقافية وفنية، بمتابعة ما بدأ به الرواد المخلصون في القرنين الأخيرين لوضع حجر الأساس لنهضة نتوق إليها ونتطلع لتحقيقها، وتكون الترجمة لبنة من لبناتها، فنستعيد دورنا التاريخي ونشارك الأمم الأخرى مسيرتها الحضارية الخلاقة؟

المراجع:

1. الخطة الشاملة للثقافة العربية، إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ط2، عام 1990.
2. الخطة القومية للترجمة (المحدثة) إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1996.
3. كتاب "الثقافة العربية وعصر المعلومات" تأليف د. نبيل على، العدد 276 من عالم المعرفة، الكويت عام 2001.
4. كتاب "أوراق ثقافية" للأستاذ شحادة الخوري، دار الطليعة الجديدة، بدمشق/ سورية عام 2001.
5. كتاب "الترجمة قديماً وحديثاً" للأستاذ شحادة الخوري من منشورات دار المعارف بتونس عام 1988 والأجزاء الثلاثة من كتابه "دراسات في الترجمة والتعريب والمصطلح" إصدار دار طلاس ودار الطليعة الجديدة في دمشق.
6. دراسة حول "لأطروحة اللغوية في ظل العولمة" إعداد د. عبد الله حمد الأستاذ في جامعة النجاح الوطنية، نابلس / فلسطين.
7. دراسة حول "العرب في مواجهة العولمة بين التبعية والاحتواء" للدكتور عبد المنعم السيد علي، مجلة المستقبل العربي العدد 290 تاريخ 2003/4.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

من أنشطة المركز

خلال النصف الأول من عام 2007

التحريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

من أنشطة المركز

خلال النصف الأول من عام 2007

تابع المركز خلال هذه المدة تنفيذ مشروعاته وبرامجه المقررة للدورة المالية 2007-2008، نجلها فيما يلي:

أولاً: المشروعات والبرامج:

1. مشروع ترجمة الكتب والمراجع الهامة في مجال التعليم:

أصدر المركز الكتابين التاليين:

أ. علم الأدوية السريري

ب. طب النساء

ويجري حالياً إخراج كتابي:

أ. طب التوليد

ب. المعلومات الطبية من الانترنت

ويجري حالياً أيضاً مخاطبة دور النشر العالمية لنيل حقوق الترجمة والنشر للكتب التربوية

التالية:

أ. الكلمات المهاجرة

ب. المدرسة الفضلى

وللكتب الطبية التالية:

- الكيمياء البيولوجية المتكاملة

2. دعم الجامعات والهيئات التي تعمل في مجال التعريب

قام المركز بتحقيق طلبات جامعتي:

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى/ حزيران 2007

1. السورية الدولية للعلوم والتكنولوجيا
 2. جامعة القلمون
 3. مجلة المركز:
- يجري حالياً تسلم الدراسات الخاصة بالعدد 33 الذي يتوقع صدوره في ديسمبر/كانون الأول 2007.

ثانياً: أنشطة المركز خارج البرامج:

1. شارك مدير المركز في ورشة العمل حول تقييم العملية التربوية في جامعة دمشق بتاريخ 2007/1/9 برعاية الأستاذ الدكتور رئيس جامعة دمشق.
2. حضور مدير المركز ورشة تطوير مناهج التعليم المهني والتقني برعاية معالي وزير التربية في الجمهورية العربية السورية، دمشق في المدة من 22 إلى 2007/1/24.
3. شارك المركز في ندوة اليوم العالمي للغة الأم، التي أقامها التلفزيون العربي السوري في 2007/2/22.
4. شارك المركز في معرض الرياض الدولي للكتاب في آذار/مارس 2007.
5. شارك المركز في معرض أكاديميا . دمشق في المدة 4-2007/3/7.
6. شارك مدير المركز في ندوة إذاعية أقامتها إذاعة دمشق تحت عنوان "اللقاء العربي" بتاريخ 2007/3/9 للتعريف بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبالمركز وأنشطته وإصداراته من الكتب المرجعية بهدف الإسهام في تعريب التعليم العالي.
7. شارك المركز في معرض تونس للكتاب نيسان/إبريل 2007.
8. شارك مدير المركز في مؤتمر عمداء كليات الطب العربي في المدة 2-4/ 5/ 2007 المنعقدة في رحاب كلية الطب بجامعة دمشق.
9. شارك مدير المركز في ندوة خبراء المعجم الحاسوبي للغة العربية التي أقامها مجمع اللغة العربية بدمشق وإدارة العلوم في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الفترة من 11 إلى 13/جون/ 2007.

قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

- 1 - ألا يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدما للنشر في أي من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه تصريحاً خطياً يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.
- 2 - أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.
- 3 - ترسل المادة المراد نشرها مرقونة بالحاسوب باستخدام برنامج مايكروسوفت word بمسافات مزدوجة بين الأسطر، وترسل نسخة إلكترونية (قرص مرن أو قرص مكتنز CD) أو بواسطة البريد الإلكتروني إلى عنوان المركز acatap@net.sy، ويراعى في حجمها ألا يتجاوز عدد صفحاتها 20/ صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة).
- 4 - تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه، مكتوبة باللغة العربية، على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.
- 5 - ترفق المادة المقدمة للنشر بنبذة من سيرة المؤلف متضمنة اسمه بالعربية وبالحروف اللاتينية مع عنوانه البريدي الكامل.

6 - تُستهل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل بثبت للمصادر والمراجع المستخدمة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور ورقم الصفحة.

7 - تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها، على أوراق منفصلة بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة، ويقدم كل شكل أو رسم على ورقة منفصلة بحجم الورق المستخدم في كتابة نص المادة على أن يشار إشارة واضحة إلى أمكنتها في متن النص.

8 - تُعرَّب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز، والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرَّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9 - تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة، التي لا يتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:

- أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.
- أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.
- ألا يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.
- أن يصحَّب العرض معلوماتٌ ببيوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.

10 - يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتسليم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على

النشر، وذلك خلال شهرين من تاريخ تسلم المجلة لها.

11 - تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سري، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها، ومن ثم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتخذ قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.

12 - يحق للمجلة - إذا رأت ضرورة لذلك - إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر، فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.

13 - يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.

14 - تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزيع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.

15 - لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة، وبموافقة خطية من رئيس التحرير، مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

التعريب العدد الثاني والثلاثون - جمادى الأولى / حزيران 2007

16 - إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17 - تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى /200/ دولار أمريكي.

18 - ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم الأستاذ الدكتور عادل نوفل مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق . ص.ب: 3752

هاتف: 3334876 (11. 963+)

فاكس: 3330998 (11 . 963+)

البريد الإلكتروني: E-mail: acatap@net.sy

الموقع على الإنترنت: www.acatap.net



إصدارات المركز من الكتب

1 . هندسة الفيزياء النووية

1 - Nuclear Physics Engineering

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 232 - السعر 12 دولاراً

2 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الأول

2 - Nuclear Reactors Engineering - Part 1

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 208 - السعر 12 دولاراً

3 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الثاني

3 - Nuclear Reactors Engineering - Part 2

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 186 - السعر 12 دولاراً

4 . الإشعاع النووي والوقاية من الإشعاع والتلوث

4 - Nuclear Radiation and Protection

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 448 - السعر 20 دولاراً

5 . دليل التنمية المائية في الوطن العربي

5 - Water Development guide in Arab World

تأليف: د. محمد شفيق الصفدي - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 78 - السعر 3 دولارات

6 . الاتصالات بالألياف البصرية

6 - Fiber Optic Communications

تأليف: جوزيف باليه - ترجمة: أ.د. جورج صنيح - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 608 - السعر 18 دولاراً

7 . معالجة الصور الرقمية

7 - Digital Image Processing

تأليف: ر. غونزاليز & ب. وينتزر - ترجمة: د. معن عمار - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 728 - السعر 20 دولاراً

8 . الجيوفيزياء التطبيقية

8 - Applied Geophysics

تأليف: فريق من المختصين الألمان - ترجمة: أ.د. فارس شقير - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 384 - السعر 21 دولاراً

9 . عروبة البربر

9 - The Berbers are Arab in Origin (the Ignored Fact)

تأليف: أ. محمد علي مادون - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 240 - السعر 12 دولاراً

10 . الأسس الفيزيائية لليزر التكنولوجية

10 - Physical Fundamentals of Technological Lasers

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 224 - السعر 12 دولاراً

11 . الأسس الهندسية لإنشاء الليزر التكنولوجية

11 - Engineering Fundamentals of Technological Lasers Buildup

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 240 - السعر 12 دولاراً

12 . طرائق المعالجة السطحية بالليزر

12 - Methods of Surfaces Treatment by Lasers

تأليف: آ. غريغوريانتس & آ. سافونوف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 264 - السعر 12 دولاراً

13 . معالجة المواد غير المعدنية بالليزر

13 - Treatment of Non-metallic Materials by Lasers

تأليف: آ. غريغوريانيس & آ. سافونوف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 256 - السعر 12 دولاراً

14 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الأول

14 - Methods of Social Sciences-Book 1

تأليف: مادلين غراويتز - ترجمة: د. سام عمار - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 454 - السعر 14 دولاراً

15 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الثاني

15 - Methods of Social Sciences-Book 2

تأليف: مادلين غراويتز - ترجمة: د. سام عمار - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 200 - السعر 10 دولارات

16 . نظم التصوير الطبي

16 - Medical Imaging Systems

تأليف: ألبيرت ماكوفسكي - ترجمة: د. محمد موسى - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 336 - السعر 18 دولاراً

17 . المدخل إلى ميكانيك الكم

17 - Introduction to Quantum Mechanics

تأليف: ر. ديكه & ج. ويتكه - ترجمة: د. آخو يوسف - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 474 - السعر 15 دولاراً

18 . الاتصالات الراديوية المتنقلة . أسس التصميم

18 - Mobile Communications Design Fundamentals

تأليف: وليم لي - ترجمة: د. زياد سيد سليمان - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 480 - السعر 20 دولاراً

19 . أنظمة الاتصالات الالكترونية المتقدمة – نفذ –

19 - Advanced Electronic Communications Systems

تأليف: وين توماسي - ترجمة: د. عمر شابسيغ - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 448 - السعر 15 دولاراً

20 . كهربة الريف

20 - Electrification of Rural Areas

تأليف: كشيشتوف مايكا - ترجمة: أ.د. عبد الله سعيد - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 576 - السعر 15 دولاراً

21 . الاستشعار عن بعد وتفسير المرئيات

21 - Remote Sensing and Image Interpretation

تأليف: ت. ليليساند & ر. كيپر - ترجمة: أ.د. حسن حلمي خاروف - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 984 - السعر 30 دولاراً

22 . طب الأمراض المعدية والتغذية – نفذ –

22 - Tropical and Geographical Medicine

تأليف: وارن & محمود - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية الطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 1200 - السعر 32 دولاراً

23 . المعالجات الراهنة في الممارسة السنية

23 - Current Treatment in Dental Practice

تأليف: نورمان ليفين - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 624 - السعر 25 دولاراً

24 . الآلات الكهربائية والميكروية – نفذ –

24 - Electric Machines and Micromachines

تأليف: د. بروسكين - ترجمة: د. عبد المطلب أبو سيف - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 480 - السعر 18 دولاراً

25 . التجاوب المغنطيسي النووي

25 - Magneto - nuclear Resonance

تأليف: د. سهام طرابيشي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 232 - السعر 8 دولارات

26 . حفظ اللحوم بالتبريد والتجميد - نفذ -

26 - Meat Conservation

تأليف: د. عبد العزيز عروانة - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 128 - السعر 4 دولارات

27 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الأول - نفذ -

27 - Differential Equations - Part I

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 288 - السعر 12 دولاراً

28 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الثاني - نفذ -

28 - Differential Equations - Part II

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 176 - السعر 8 دولارات

29 . الكيمياء التحليلية - نفذ -

29 - Analytical Chemistry

تأليف: ج.د. كريستيان - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 760 - السعر 30 دولاراً

30 . الكيمياء الفيزيائية - نفذ -

30 - Physical Chemistry

تأليف: ألبيرتي & سيلبي - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 1136 - السعر 36 دولاراً

31 . الكيمياء الحيوية المصورة

31 - Biochemistry Illustrated

تأليف: كاميل & سميث - ترجمة: أ.د. أبو سمرة & د. حمود - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 304 - السعر 15 دولاراً

32 . علم البيولوجيا . الجزء الأول - نفذ -

32 - Biological Science - Part I

تأليف: سوير وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1997
عدد الصفحات: 620 - السعر 25 دولاراً

33 . علم البيولوجيا . الجزء الثاني - نفذ -

33 - Biological Science - Part II

تأليف: سوير وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1997
عدد الصفحات: 704 - السعر 25 دولاراً

34 . الفيزياء المتقدمة - نفذ -

34 - Advanced Physics

تأليف: ك. جيبس - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 616 - السعر 20 دولاراً

35 . بحوث العمليات

35 - Operations Research

تأليف: رافيندران وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي الهندسة والاقتصاد بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 640 - السعر 25 دولاراً

36 . كيمياء تحليل الأغذية

36 - Analytical Chemistry of Food

تأليف: سيروين س. جيمس - ترجمة: أ.د. العودة & أ.د. سمينة - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 208 - السعر 8 دولارات

37 . الكيمياويات الزراعية والبيئة

37 - Agricultural Chemicals and the Environment

تأليف: هيستر & هاريسون - ترجمة: د. عبيدو & د. حجار - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 184 - السعر 7 دولارات

38 . معالجة الاضطرابات الفكية والإطباق

38 - Management of Temporomandibular Disorders and Occlusion

تأليف: جيفري ب. أوكسون - ترجمة: لفيف من أستاذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1999
- عدد الصفحات: 616 - السعر 25 دولاراً

39 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الأول

39 - Advanced Chemistry – Volume 1

تأليف: فيليب ماتهيو - ترجمة: د. توفيق ياسين . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 952 - السعر: 35 دولاراً

40 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الثاني

40 - Advanced Chemistry – Volume 2

تأليف: فيليب ماتهيو - ترجمة: أ.د. هيام بيرقدار . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 700 - السعر: 28 دولاراً

41 . توليد الطاقة الكهربائية بالديناميك الهيدروطيسي

41 – Magnetohydrodynamic Electrical Power Generation

تأليف: هوغو ميسيرل - ترجمة: أ.د. محمد هاشم أبو الخير & د. محمد نوار العوا - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 268 - السعر 10 دولارات

42 . الكيمياء العضوية

42 - Organic Chemistry

تأليف: موريسون & بويد - ترجمة: لفيف من كبار أساتذة كليات العلوم في الجامعات السورية - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 1416 - السعر 50 دولاراً

43 . الكيمياء العامة في سؤال وجواب

43 – General Chemistry – Questions and Answers

تأليف: أ.د. عبد الحليم منصور - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 452 - السعر 12 دولاراً

44 . الطاقة وسلامة البيئة

44 – Umweltschonende Energietechnik

تأليف: نيكولاي خارتشينكو – ترجمة: د. بسام حمود . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 476 – السعر: 18 دولاراً

45 . التطبيقات العملية في معالجة اللثة

45 – Periodontal Instrumentation

تأليف: باتيسون & باتيسون – ترجمة: د. ميسون صيداوي خوري – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 516 – السعر: 15 دولاراً

46 . المدخل إلى الإحصاء الطبي

46 – An Introduction to Medical Statistics

تأليف: مارتن بلاند – ترجمة: أ.د. أحمد ديب دشاش & أ. شفيق ياسين & د. وائل الإمام – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 516 – السعر: 15 دولاراً

47 – حقن البنزين وتقانة الحفازات

47 – Benzineinspritzung und Katalysatortechnik

تأليف: يورجن كازيدورف – ترجمة: د. بسام حمود – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 392 – السعر: 12 دولاراً

48 – الأتمتة الصناعية والمؤتمتات القابلة للبرمجة PLC

48 – Industrial Automation and PLCs

تأليف: د. نور الدين شيخ عبيد – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 224 – السعر: 6 دولارات

49 – الوجيز في الصرف الصحي في المدن

49 - Taschenbuch der Stadtentwässerung

تأليف: كارل وكلاوس إمهوف – ترجمة: د. غسان دره الحداد ود. جورج زهر – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 456 – السعر: 15 دولاراً

50 - الأشكال الصيدلانية الجرعية ونظم إيتاء الدواء

50 - Pharmaceutical Dosage Forms and Drug Delivery Systems

تأليف: هاوارد آنسل وآخرون - ترجمة: نخبة من أساتذة كليات الصيدلة في الجامعات العربية - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 896 - السعر 25 دولاراً

51 - التركيب - دليل تدبير المريض

51 - SEDATION - A Guide to Patient Management

تأليف: ستانلي مالاميد - ترجمة: د. محمد كامل التيناوي - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 920 - السعر 27 دولاراً

52 - الشبكات العصبونية الصناعية بين النظرية والتطبيق - الجزء الأول

52 - Artificial Neural Networks: Theory and Applications - Part I

تأليف: د. أحمد الكرمو - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 364 - السعر 10 دولارات

53 - الشبكات العصبونية الصناعية بين النظرية والتطبيق - الجزء الثاني

53 - Artificial Neural Networks: Theory and Applications - Part II

تأليف: د. أحمد الكرمو - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 424 - السعر 12 دولاراً

54 - منشآت تجميع مياه الأمطار - إرشادات تنفيذية

54 - Regenwasser Sammelanlage

تأليف: فولفجانج بريدوف - ترجمة: أ. نزيه يانس - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 160 - السعر 5 دولارات

55 - الهندسة

55 - Geometry

تأليف: ديفيد برانان وآخرون - ترجمة: د. مها النبهان و د. محمود باكير - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 628 - السعر 20 دولاراً

56 - الأمراض حيوانية المصدر - الأمراض الخمجية التي تنتقل من الحيوان إلى الإنسان

56 - Zoonosen Von Tier zu Mensch übertragbare Infektionskrankheiten

تأليف: ه. كراوس وآخرون - ترجمة: د. مروان الوزه و د. رضوان حاغور - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 688 - السعر 15 دولاراً

57 – مواد البناء واختباراتها – شروح ومسائل وتمارين

57 – Building Materials Testing

تأليف: د. أسامة صالح ميرو – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 272 – السعر 6 دولارات

58 – أساسيات ضبط الجودة الإحصائي

58 - Fundamentals of Statistical Quality Control

تأليف: روبرت بوند – ترجمة: د. حسن السيد و أ. شفيق ياسين – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 432 – السعر 14 دولاراً

59 – جيوتقنية مكبات النفايات ومطامرها

59 – GDA-Empfehlungen Geotechnik der Deponien und Altablaster

تأليف: مجموعة من الخبراء الألمان التابعين للمؤسسة الجيوتقنية الألمانية – ترجمة: د. منذر عمران و د. سعيد العاقل – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 864 – السعر 25 دولاراً

60 – التنمية الزراعية المستدامة

60 – Agricultural Sustainable Development

تأليف: أ.د. محمود الأشرم – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 264 – السعر 7 دولارات

61 – تنظيم الحاسوب وبنائه

61 – Computer Organization and Architecture: Designing for Performance

تأليف: ويليام ستولنغر – ترجمة: د. محمد نوار العوا ود. جورج صنيح ود. فيصل العباس – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 748 – السعر 21 دولاراً

62 – أسس الاتصالات اللاسلكية لـ لي

62 – Lee's Essentials of Wireless Communications

تأليف: ويليام لي – ترجمة: م. محمد موفق العوا – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 344 – السعر 12 دولاراً

63 – التطبيب والرعاية الصحية عن بُعد

63 – Telemedicine and Telehealth

تأليف: داركنز وكيري – ترجمة: د. محمد فراس الحناوي ود. مروان الوزه – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 424 – السعر 14 دولاراً

64 – طب العيون العام

64 – General Ophthalmology

تأليف: فاوغهان وآسبوري وريوردان – ترجمة: لفيف من أطباء العيون السوريين – تاريخ الإصدار: 2002 –
عدد الصفحات: 696 – السعر 18 دولاراً

65 – اقتصاديات البيئة والزراعة والغذاء

65 – Economics of Environment, Agriculture and Food

تأليف: أ.د. محمود الأشرم – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 640 – السعر 14 دولاراً

66 – مبادئ تحلية المياه المالحة

66 – Principles of Salt Water Desalination

تأليف: أ.د. معن العظمة – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 232 – السعر 5 دولارات

67 – التقانات العالية والمجتمعات ذات الدخل المنخفض

67 – High Technology and Low-Income Communities

تأليف: دونالد سشون وآخرون – ترجمة: د. راكان رزوق – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 428 –
السعر 9 دولارات

68 – علم العقاقير لـ تريز وإيفانز

68 - Trease and Evans Pharmacognosy

تأليف: و.س. إيفانز – ترجمة: نخبة من أساتذة كليات الصيدلة في الجامعات العربية – تاريخ الإصدار: 2003 –
عدد الصفحات: 1044 – السعر 28 دولاراً

69 – محاضرات في الطب الجزيئي

69 – Lecture Notes on Molecular Medicine

تأليف: جون برادلي وآخرون – ترجمة: أ.د. وفيقة زرزور – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 244 –
السعر 6 دولارات

70 – نظم الطاقات المتجددة – التكنولوجيا – الحسابات

70 – Regenerative Energiesystem

تأليف: فولكار كاشنينغ – ترجمة: د.م. بسام حمود – تاريخ الإصدار: 2004 – عدد الصفحات: 414 – السعر
7 دولارات

71 – الاقتصاد الهندسي

71 – Engineering Economy

تأليف: وليام ج. سوليفان & جيمس ت. لوكسوج ويكس - ترجمة: د. محمد نايفة ود. محمد جلالى و د. لبانة مشوح و د. محمد نوار العوا - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 744 - السعر 19 دولاراً

72 – التقانات الحيوية من الألف إلى الياء

72 – Biotechnology from A to Z

تأليف: وليامز بنز - ترجمة: أ.د. عبد العزيز محمد البوني - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 544 - السعر 13 دولاراً

73 – تكنولوجيا تنفيذ وتنظيم الأعمال الترابية في المشاريع الهندسية

تأليف: د.م. محمد بشار الحفار و د.م. نبيل غازي الهزيم - مراجعة: د.م. رياض الحسين - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 267 - السعر 6 دولارات

74 – الأساليب المتغيرة لدراسة تعليم الكبار

74 - Changing Approaches to Studying Adult Education

تأليف: هوي ب. لونغ وآخرون - ترجمة: الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 170 - السعر 5 دولارات.

75 – طب الأسنان الوقائي الأولي

75 – Primary Preventive Dentistry

تأليف: نورمان هاريس وآخرون - ترجمة: د. ميسون صيداوي خوري - تاريخ الإصدار: 2005 - عدد الصفحات: 653 - السعر 19 دولاراً.

76 – الوجيز في الفيضانات . التأثيرات والحماية

76 - Hochwasser-Handbuch: Auswirkungen und Schutz

تأليف: هاينز بات - ترجمة: أ.د. عز الدين درويش حسن - تاريخ الإصدار: 2005 - عدد الصفحات: 723 - السعر 23 دولاراً.

77 – علم الجنين الطبي لِ لانغمان

77 – Langman's Medical Embryology

تأليف: ت. و. سادلر – ترجمة: أ.د. الطاهر عثمان علي & أ.د. ضياء الدين الجمّاس & د. محمد فريد السباعي
- تاريخ الاصدار: 2005 - عدد الصفحات: 606 - السعر 17 دولاراً.

78 – التصميم الرقمي

78 – Digital Design

تأليف: م. موريس مانو – ترجمة: أ.د. جبر راجح الرمحين - تاريخ الاصدار: 2006 - عدد الصفحات: 552 -
السعر 30 دولاراً.

79 – أن تغدو مدرساً في التعليم العالي

79 – Devenir Enseignant Du Supérieur

تأليف: آلان كولون وآخرون - ترجمة: أ.د. سام عمار - تاريخ الاصدار: 2006 - عدد الصفحات: 190 - السعر
6 دولاراً.

80 – علم الأدوية السريري

80 – Clinical Pharmacology

تأليف: ب.ن. بينيت - م.ج. براون - ترجمة: أ.د. الأمين إبراهيم النعمة - د. عبد الناصر عمرين - د. خالد
حسن - تاريخ الاصدار: 2006 - عدد الصفحات: 880 - السعر 30 دولاراً.

الكتب قيد الإصدار

1 – طب النساء، النسائيات Gynaecology by 10 Teachers

2 – طب التوليد Obstetrics by 10 Teachers

3 – المعلومات الطبية من الإنترنت Medical Information on the Internet

الكتب التربوية

T1 - تكوين معلمين مهنيين . الاستراتيجيات والكفايات

T1 - Former Des Enseignants Professionnels: Quelles stratégies? Quelles Compétences?

تأليف: ليوبولد باكي وآخرون - ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 276 - السعر 10 دولارات

T2 - تدخلات الصحة النفسية في أطفال ما قبل المدرسة

T2 - Mental Health Interventions with Preschool Children

تأليف: ليمان & كيجن - ترجمة: أ.د. سليمان ربحاني وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 340 - السعر 12 دولاراً

T3 - إعداد التلاميذ للقرن الحادي والعشرين

T3 - Preparing Students for the 21st Century

تأليف: دونا أوتشيدا وآخرون - ترجمة: أ.د. محمد نبيل نوفل - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 112 - السعر 4 دولارات

T4 - تطوير نظم الجودة في التربية

T4 - Developing Quality Systems in Education

تأليف: جيفري دوهيرتي - ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 388 - السعر 12 دولاراً

T5 - صعوبات القراءة . منظور لغوي تطوري

T5 - Reading Disabilities: A Developmental Language Perspective

تأليف: كامحي & كاتس - ترجمة: أ.د. حمدان علي نصر وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 408 - السعر 13 دولاراً

T6 – تعليم العلوم لجميع الأطفال

T6 - Teaching Science for all Children

تأليف: مارتن وآخرون - ترجمة: أ.د. هاشم إبراهيم وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 608 - السعر 20 دولاراً

T7 – التصميم المنظم للتعليم

T7 - The Systematic Design of Instruction

تأليف: ديك & كيري - ترجمة: أ.د. محمد ذيبان غزاوي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 392 - السعر 15 دولاراً

T8 – التربية الأساسية النخبة . تطوير الكفاءات

T8 - Quality Basic Education: The Development of Competence

تأليف: جوان فريمان - ترجمة: أ.د. صالحة سنقر - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 288 - السعر 9 دولارات

T9 – إدارة نظم التعلم عن بعد

T9 - The Management of Distance Learning Systems

تأليف: غريفييل رامبل - ترجمة: أ.د. فاطمة الجبوشي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 100 - السعر 3 دولارات

T10 – المرجع في جهود محو الأمية

T10 - A Source Book for Literacy Work

تأليف: ه. س. بولا - ترجمة: أ.د. صالح عزب - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 220 - السعر 8 دولارات

T11 – الانترنت للمعلمين واختصاصيي المكتبات المدرسية

T11 – The Internet for Teachers and School Library media Specialists

تأليف: إدوارد فاللاوسكاس & مونیکا إرثل - ترجمة: د. عبد الرزاق يونس - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 280 - السعر 8 دولارات

T12 – تشكيل المستقبلات . التعلم من أجل الكفاية والمواطنة

T12 – Shaping Futures: Learning for Competence and Citizenship

تأليف: كارين إيفانس - ترجمة: أ.د. خميس بنحميده - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 208 - السعر 6 دولارات

T13 – سيكولوجيا التربية والتكوين

T13 – Manuel de Psychologie de L'Éducation et de la Formation

تأليف: ألان ليوري وزملاؤه - ترجمة: أ.د. وجيه أسعد - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 484 - السعر 14 دولاراً

T14 – الدافعية والنجاح المدرسي

T14 – Motivation et Réussite Scolaire

تأليف: ألان ليوري & فابيان فونوييه - ترجمة: أ.د. محمد الطيب سعداني - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 132 - السعر 5 دولارات

T15 – تنمية التفكير المنطقي عند الأطفال

T15 – Developing Logical Thinkers

تأليف: داريل فيلبس & ديل فيلبس - ترجمة: د. إبراهيم المومني - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 540 - السعر 15 دولاراً

T16 – تعليم الموهوبين والمتفوقين

T16 - Education of the Gifted and Talented

تأليف: كيري ديفيز وسيلفيا ريم - ترجمة: د. عطوف ياسين - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 704 - السعر 15 دولاراً

T17 – التقويم الصفّي والتعلم

T17 – Classroom Assessment and Learning

تأليف: مارغريت غريدلر - ترجمة: أ.د. كمال رفيق الجراح - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 340 - السعر 8 دولارات

T18 – من أجل نظرية في البيداغوجيا

T18 – Pour une theorie de la Pedagogie: Recherches Contemporaines sur le savoir des enseignants

تأليف: كليروا غوتيه وآخرون – ترجمة: أ. وجيه أسعد – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 380 – السعر 8 دولارات

T19 – تكوين المعلمين المستمر وجدواه

T19 – La formation continue des enseignants est elle utile?

تأليف: ماري – ميشيل كوترمان وآخرون – ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 240 – السعر 6 دولارات

T20 – المتعلم الكبير – الأثر الكلاسيكي المتميز في تعليم الكبار وتطوير الموارد البشرية

T20 - The Adult Learner: The Definitive Classic in Adult Education and Human Resource Development

تأليف: مالكوم نوليس وآخرون – ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 336 – السعر 8 دولارات

T21 – نحو فهم لقيادة المناهج الديمقراطية

T21 – Understanding Democratic Curriculum Leadership

تأليف: هندرسن وكيسون – ترجمة: أ.د. خميس بنحميده – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 192 – السعر 5 دولارات

T22 – التعليم التحويلي – رؤية تربوية للقرن الحادي والعشرين

T22 – Transformative Learning - Educational Vision for the 21st Century

تأليف: ادموند او سيلفان – ترجمة: أ.د. عبد الله العابد أبو جعفر – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 400 – السعر 9 دولارات

T23 – تكيف مناهج الطفولة المبكرة في بيئات شاملة

T23 – Adapting Early Childhood Curricula for Children in Inclusive Settings

تأليف: كوك وآخرون – ترجمة: د. مطانيوس مخائيل ود. علي سعود حسن – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 720 – السعر 18 دولاراً